

محمد أنور

الطبعة

2

مقتل

يسرا سليمان

رواية



GR7742375



إهداء

إلى كُلِّ عُشَّاقِ روايات الجريمة، والإثارة، والغُمُوض، إلى كل مُحِبِّي التَّفَاصِيلِ الصَّغِيرَةِ.. إذا كُنْتُمْ تَظُنُّونَ أن عَصْرَ «أَجَاثَا كَرِيسْتِي» قد انْتَهَى، أو أَنَّ «شَرْلُوكْ هُولْمِز» قد ذَهَبَ بِلا رَجْعَةٍ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ الْآنَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أن تَخُوضُوا مَعِيَ مُغَامَرَةً بُولِيسِيَّةً جَدِيدَةً قد تَنْفِي ظُنُونَكُمْ مِنْ خِلَالِ قِرَاءَةِ تِلْكَ الرِّوَايَةِ.

فَمَنْ يَعْلَمُ؟ رُبَمَا كُنْتُمْ أَكْثَرَ حَظًّا مِنِّي خِلَالِ رَحْلَةِ الْبَحْثِ عَنْ ذَلِكَ الْقَاتِلِ شَدِيدِ الذَّهَاءِ، الَّذِي ارْتَكَبَ جَرِيمَتَهُ فِي ظِلِّ ظُرُوفٍ تَكَادُ تَكُونُ مُسْتَحِيلَةً.

فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الرَّحْلَةِ، سَتَغُوصُ دَاخِلَ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَلِئَةِ بِالْأَسْرَارِ، وَرُبَمَا تَتَشَابَهَ عَلَيْكَ شَخْصِيَّاتُ تِلْكَ الرِّوَايَةِ، وَتَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ التَّقَيْتَهُمْ، أَوِ التَّقَيْتَ أَشْبَاهَهُمْ مِنْ قَبْلِ، وَلَكِنْ هَلْ تَظُنُّ أَنَّكَ تَعْرِفُ حَقًّا كُلَّ مَنْ حَوْلَكَ؟!

انْظُرْ جَيِّدًا، اقْتَرِبْ أَكْثَرَ.. وَالْآنَ، فَكِّرْ مَرَّةً أُخْرَى.

مُقَدِّمَةٌ

التفاصيل الصغيرة دائماً ما تصنع الفارق في أشياء عدّة.. فكل مِنَّا لديه وجهٌ به عَينان، وأنف، وفم، وشفَتان، ولكن حجم كل عضو من تلك الأعضاء، ومدى تناسقه مع بقية ملامح الوجه، هو ما يجعلنا نميِّز الأشخاص الذين نعرفهم من هؤلاء المجهولين.

وقد تُعطي نصيحةً لأحد أصدقائك بطريقة ما، وقد تُعطي النصيحة نفسها للشخص نفسه، ولكن بطريقة مختلفة، فيتقبلها في المرة الأولى، بينما ينفر منها في المرة الثانية، وربما تخسر صداقته للأبد كذلك؛ فالاختلاف هنا يكمن في أسلوب إعطاء النصيحة، وليس في نوعها.

وربما تنام على فراشك في إحدى الليالي، فتستيقظ على ألمٍ في رقبتك في الصباح التالي، على الرغم من أنك كنت تستيقظ سليماً مُعافى في جميع الأيام السابقة، فتدرك لاحقاً أن كل ما في الأمر أنك استبدلت بوسادتك أخرى جديدة لم يعتدها رأسك بعد؛ ولذلك يجب عليك دائماً أن تلاحظ هذه التفاصيل الصغيرة الموجودة في كل شيء من حولك.. تلك التفاصيل التي تغفل عنها يومياً مئات المرات، وربما إذا انتبهت إلى بعضها، لتغيّرت حياتك إلى الأفضل، فقد تسوق الأقدار يوماً إلى الالتحاق بالشرطة، وتجد نفسك

فجأةً أمام جثة سيدة قُتلت بطريقة غريبة في ظروف تكاد تكون مستحيلةً، وحينها لن يُخرجك من ذلك المأزق إلا تلك التفاصيل الصغيرة فقط، ولا شيء آخر.

الفصل الأول

كانت ليلةً صاخبةً للغاية.. وقد بدت ملامح السعادة والبهجة على أغلب المدعوين إلى الحفل؛ فكانوا يتغنون، ويرقصون على أنغام الموسيقى، فرحين بزواج هذين العروسين المتحابين: «يوسف» و«يسرا».. ذلك الثنائي المتناغم الذي طالما تمنى كثير من أقاربهما وأصدقائهما إن يحضروا عرسهما، وقد انتظروا هذا اليوم كثيرًا على أحر من الجمر، واستعدوا له جيّدًا، فاختروا ملابس السهرة، ووضعوا زينتهم، وأعدّوا الفقرات والرقصات التي سيؤدونها خلال الاحتفال.

حضر المأذون في تمام الساعة التاسعة مساء الجمعة، ٥/٥/٢٠١٧، إلى قاعة الاحتفال الخاصة بنادي المهندسين، الكائن في أحد أحياء القاهرة الراقية، وهو حي «الزمالك». وعلى الرغم من مستوى النادي المتواضع نسبيًا، فقد كانت قاعته رائعة ومنسقة بحرفية شديدة في تلك الليلة، لا تقل في جاذبيتها عن قاعات الفنادق الكبرى بالقاهرة.

كانت القاعة كبيرة ذات سقف مرتفع تتدلى منه أشرطة مضيئة مبهرجة، ونجف كريستالي مُتألئ، تتخللها زهور وردية، وتزين جدرانها بستائر ذهبية براقّة مُنسدة بعناية، وتصطف الموائد الدائرية بداخلها على كلا الجانبين، مُغطاة

بمفارش حريرية بيضاء، وتتوسط كلاً منها مزهريّة صغيرة بها زهور بيضاء، وأوراق خضراء مُنسدة، وتتراصّ عليها أطباق من الخزف، وكؤوس زجاجيّة زرقاء.

كان المهنئون يجلسون على مقاعد مغلقة بقماش أبيض تلتف حول المائدة، معقود على ظهورها أشرطة قماشية وردية اللون.

أما في منتصف القاعة، فكانت هناك ساحة رقص زجاجيّة مُضيئة ذات إطار مربع، ترتفع عن الأرض قليلاً، وفي خلفيتها أريكة بيضاء مُنبعجة الظهر، يُحيطها إطار نصف دائري من الورد الأبيض الذي نشر البهجة في أماكن متفرقة وكثيرة داخل القاعة.

كان العروسان حينها ينتظران بلهفة على تلك الأريكة بابتسامة مشرقة تنم عن سعادتهما البالغة، وبعد قليل دخل المأذون إلى القاعة، وصفّق له الجميع بحرارة شديدة، وتعالّت الأصوات والهتافات في المكان، وتوقف صوت الموسيقى الكلاسيكيّة الهادئة التي تعمل في الخلفيّة، ثم ذهب المأذون ليجلس إلى جوار منضدة مستطيلة مُعدّة مُسبقًا لإبرام عقد الزواج في أحد أركان القاعة، وانضمّ إليه العروسان وأبواه بعد ذلك، وبعد أن ردد المأذون تلك المقدمة المعهودة، وأخرج دفتره وعقود الزواج، شرع بالبدء

في مراسم الزواج.

- قول ورايا يا أستاذ «شريف».. توكلت على الله، وزوجتك ابنتي وموكلتي.

- توكلت على الله، وزوجتك ابنتي وموكلتي.

بعد دقائق كان المأذون قد انتهى من إتمام عقد الزواج، وأصبح «يوسف» و«يسرا» الآن زوجين رسميًا، أمام الله، وأمام الجميع، وهزت زغاريد السيدات والفتيات الموجودات أرجاء القاعة، كما هزّ التصفيق الحار أرجاء النادي بأكمله، وغمرت الدموع أعين والدتي العروسين كعادة الأمهات المصريات المعهودة في مثل هذه المناسبات.

عادت الأغاني مجددًا تصدر من مكبرات الصوت الخاصة بالفرقة الموسيقية القائمة على إحياء الحفل، فاصطحب كل رجل زوجته إلى ساحة الرقص، وظل الجميع يتمايل على أنغام موسيقى الرقصة الأولى، وحينما تغيرت الموسيقى، وتسارعت وتيرتها، صعد أغلب المدعوين إلى الساحة، وظلوا يرقصون، ويتغنون لوقت طويل.

كانت السعادة جليّةً تمامًا على ملامح الجميع، ما عدا شخصًا واحدًا فقط، ذلك الشاب البائس الذي غلبت على ملامحه علامات الضيق والحزن الشديد، فقد كان، دون

جميع الشباب والفتيات الموجودين في الحفل، يجلس بمفرده بجوار إحدى الموائد القابعة في أحد أركان القاعة، يتجرّع كأسًا من العصير في صمت وهدوء، ويتابع الاحتفال من بُعد بكل الأسى والحسرة اللذين لم يستطع أن يخفيهما داخل قلبه، وأن يتظاهر مثلما يفعل بعض المدعوين بالبهجة والسرور.

ظلّ الشاب جالسًا لبعض الوقت، لكنه لم يستطع أن يتحمّل طويلًا، فترك مقعده، وغادر القاعة فجأةً، دون أن يلاحظه أحد، أو يتنبه أي شخص إلى حضوره منذ البداية.

استمرّ الرقص مدةً طويلةً قبل أن يحين موعد الـ«أوبن بوفيه»، ويتوجه الجميع لتناول وجبة العشاء المعهودة، وكعادة أغلب المناسبات المشابهة يبدأ المدعوون بالانصراف رويدًا رويدًا، بعد الانتهاء من تناول الطعام، ومُصافحة العروسين، والتقاط بعض الصور التذكارية معهما، ليتبقى في النهاية بعض الأهل والأصدقاء المقربين من العروسين، ويستمرّوا في الاحتفال معهما حتى النهاية.

كان «يوسف» وزوجته حينها في غاية السعادة؛ لأن قصة حبهما الطويلة كلّت بالزواج أخيرًا، بعد أن واجها كثيرًا من الصعاب والتحديات من الأهل في بداية الأمر؛ نظرًا لوجود فارق اجتماعي ومادي كبير بين العائلتين.

مرّ الوقت سريعًا، وانتهى الحفل، وانصرف الجميع، ثم توجه العروسان إلى الإقامة بإحدى غرف الطابق الأرضي بفندق النادي، الذي كانا قد قرّرا مُسبقًا أن يقضيا به ليلتهما حتى يغادرا في الصباح التالي إلى مطار القاهرة لقضاء إجازة شهر العسل في إحدى الدول الآسيوية.

بعد أن دخل «يوسف» وزوجته الغرفة بقليل، فوجئ «علي»، موظف استقبال الفندق، بأن «يوسف» يتصل به من غرفته، وظل يصرخ، ويستنجد به، قائلاً إن زوجته قد قُتلت!

انتفض «علي» واقفًا من مقعده عندما سمع صراخ الزوج، وأغلق الهاتف سريعًا وهو يلهث من أثر المفاجأة غير المتوقّعة، وحاول ابتلاع ريقه الذي جفّ في حينه من شدة الذعر، واتصل على الفور بالأستاذ «ياسر إبراهيم»، مسؤول أمن الفندق، وأخبره بما حدث بصوت مُتهدّج مذعور، فوثب الأخير من مقعده بدوره، وأمر «علي» أن يتصل بالشرطة، ويبلغهم بما حدث على الفور، ثم يتصل بعد ذلك بأسرتي العروسين اللذين تحول زفافهما إلى مأتم فجأةً بعد دقائق قليلة فقط من انتهاء الاحتفال!

فعل «علي» ما طُلب منه، قبل أن يصل إليه «ياسر» مباشرة، ثم توجه الاثنان إلى غرفة العروسين للتأكد مما حدث، وما إن فتحا باب الغرفة وذهبا إلى الداخل، حتى رأيا

مشهدًا يشيب له الولدان.

كانت «العروس» مستلقيةً على ظهرها بفستان الزفاف أعلى الفراش، مغمضة العينين، وكان هناك سكين كبير مغروس في صدرها، وقد تحوّل أغلب فستانها الأبيض إلى اللون الأحمر حتى منطقة الفخذين، كما أحاطتها بقعة دائرية منبعجة وقطرات صغيرة متناثرة من الدماء في أماكن متفرقة على ملء الفراش، بينما كان زوجها مُستلقيًا بجوارها على وجهه يرتدي منامته، وكأنه لم يتحمّل تلك الصدمة، وسقط على الفراش مغشيًا عليه.

توقف الاثنان مكانهما للحظات من هول المشهد وهما جاحظا الأعين، ثم ردّد «ياسر» وهو يلهث:

- لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. ماتلمسش حاجة يا «علي»..
ماتلمسش حاجة لحد ما يبجي البوليس.

أخرج «ياسر» جهازه اللاسلكي، ونادى على جميع أفراد الأمن، وطلب منهم أن يبحثوا داخل النادي عن أي شخص غير مألوف أو غريب عن المكان، ويستوقفوه إن وُجد حتى قدوم الشرطة، ثم توجه هو وموظف الاستقبال ناحية باب الغرفة، ومكثا بجواره دون حراك حتى حضرت الشرطة إلى المكان بعد دقائق معدودة.

دخل الرائد «عاصم الأعصر»، رئيس مباحث القسم، من خلال باب الغرفة الذي تركه «ياسر» مفتوحًا حينما دخلها منذ قليل، وأشار إلى باقي معاونيه من الضباط والأفراد بأن ينتظروا في الخارج. ألقى نظرة متفحصة إلى الفراش الذي يرقد عليه العريس والعروس، ثم دسَّ يده في جيبه، وأخرج قفازًا بلاستيكيًا، وبدأ في ارتدائه، وهو يسأل «ياسر» و«علي» عمّا حدث، فقَصَّ عليه «علي» ما حدث تفصيليًا منذ أن تلقى اتصال «يوسف» على هاتف الصالة، حتى وصل هو بضحية «ياسر» إلى الغرفة.

نظر إليهما «عاصم» بدهشة متعجبًا من تلك الرواية الغريبة التي سمعها للتو، ثم مدَّ أصابعه تجاه رقبة العروس ليتحسَّس نبضها حتى يتأكَّد من وفاتها، وعندما أدرك أنها قد فارقت الحياة بالفعل، تحسَّس نبض زوجها ليدرك أنه ما زال على قيد الحياة، فوضع يده على كتفه وهزَّه مرَّتين برفق وهو يناديه باسمه، لكن الأخير لم يحرك ساكنًا، فنادى على أحد معاونيه، وأخبره بأن يستدعي المسعفين من سيارة الإسعاف التي تقف في فناء الفندق بالخارج.

دارت عينا الضابط داخل تلك الغرفة الكبيرة التي كانت أشبه بشقة صغيرة من كونها مجرد غرفة فندقية، ومكث يتأمل محتوياتها بعناية، فلاحظ أن هناك غرفة حمَّام على

الناحية اليمنى، عقب باب الغرفة بمسافة قصيرة، وفي
مواجهته على يسار الباب توجد منضدة خشبية صغيرة، إلى
جوار تسريحة، ومقعد صغير أمامها، يعقبها فراش كبير تحدّه
خزانتان صغيرتان من الجهتين يعلوهما مصباحان كهربائيان
مُضيئان، ثم مقعدا صالون إلى جوار نافذة الشرفة، أما في
ناحية الحَمَّام فكان هناك منضدة صغيرة أيضًا على شاكلة
الأولى بجوار باب الحَمَّام مباشرةً، وحقيبة سفر صغيرة إلى
جانبها، يليها دولا ب خشبي في مواجهة الفراش.

كان كل شيء يبدو طبيعيًا، وفي مكانه الصحيح، ما عدا
تلك المنضدتين الصغيرتين، وبدا أن المكان الفاصل بين
مقعدي الصالون كان مناسبًا أكثر لهما.

بعد دقائق قليلة، كان اثنان من المسعفين يحملان جسد
«يوسف» الثقيل إلى خارج الغرفة، كما طلب منهما الضابط،
تمهيدًا لعمل الإسعافات اللازمة له بسيارة الإسعاف كي
يسترد وعيه، وقبل أن يمُرَّ من خلال باب الغرفة، شدد
«عاصم» عليهما بأن يخبراه فور إفاقة العريس مباشرةً، ثم
نظر إلى «ياسر» و«علي»، وسألهما قائلًا:

- انتو حد فيكو لمس حاجة بإيده جُؤا الغرفة؟

فأجابه «ياسر» :

- لا يا باشا.. إحنا أول ما دخلنا وشوفنا المنظر رجعنا وقفنا عند باب الغرفة لحد ما حضرتك جيت.

- طيب هو فيه كاميرا في الطريقة اللي فيها الغرف؟ مش كدا؟

- آه، فيه يا باشا طبعا.

- طب وعند البلكونة من برّا؟

- لأ، سعادتك البلكونة لأ طبعا ماينفعش.

أوما «عاصم» برأسه وهو يفكر، ثم نادى على أحد معاونيه من الضباط:

- يا «حسام».. اطلع مع «علي» كدا خليه يدخلك غرفة الكاميرات.. وابدأ افحص كدا تسجيل كاميرا المراقبة اللي مصورة الباب دا.. وابدأ بالجزء من بعد ما العريس والعروسة دخلوا الأوضة.. وبعدها شوف الجزء اللي قبل ما يدخلوا، من قبل الفرع ما يبدأ.. ولو فيه جديد بلغني على طول بالتليفون.. ووقفلي مخبر على الباب هنا، وواحد على باب البلكونة.. وابتعت مخبر كويس على باب النادي.. باقولك إيه.. فين «إبراهيم»؟ ابتعت «إبراهيم» يلا على باب النادي يفحص اللي خارج.

ثم التفت الضابط إلى الجثة مجددًا، وبدأ مناظرتها، فرأى أداة الجريمة التي لا تزال داخل صدرها، ولاحظ أن فستان زفافها كان به أكثر من قطع، ولكنه لم يستطع تحديد عددها لكثرة الدماء المتجلطة عليه، ثم نظر إلى ذراعيها العاريتين، فلاحظ وجود كدمتين خفيفتين أسفل كتفها في المكان نفسه تقريبًا من كلتا الذراعين، ولكن كانت إحداها أقل أثرًا من الأخرى.

أخرج دفتره من جيبه، وبدأ بتدوين ملاحظاته، وفي أثناء ذلك سمع صوت صراخ شديد، وضجة كبيرة بالخارج، فنادى على أحد معاونيه يسأله عن سبب تلك الجلبة، فأخبره الأخير أن أهل العروس قد أتوا إلى المكان، فصرخ فجأة محذرًا:

- محدّش يدخل هنا يا «صلاح».. خليهـم عندك برّا لحد ما آجي.. واستعجلي كدا الأدلة الجنائية بسرعة.

استمر «عاصم» في معاينته المبدئية لمسرح الجريمة دون أن يلمس شيئًا بيده، ولكن لم يلفت انتباهه أي شيء آخر في تلك الغرفة، وبعد قليل دلف فريق الأدلة الجنائية من الباب، وبدؤوا بفحص جميع الموجودات والبحث عن الأدلة في محاولة لاستنطاق مسرح الجريمة..

استردّ «يوسف» وعيه بعد قليل بعينين زائغتين على صوت أمه القريب وهي تُتمتم بالأدعية وقراءة القرآن

الكريم، ونظر حوله ليجد نفسه داخل إحدى سيارات الإسعاف، ويقف بجواره أحد المسعفين الذي كان يحاول جاهدًا إفاقته، فرمقه «يوسف» بعينين حائرتين محاولًا استيعاب ما يحدث، بينما نادى المسعف على أحد الرجال، الذي كان يرتدي بدلة سوداء، وأخبره بأن المريض قد استردَّ وعيه.

لم يفهم «يوسف» شيئًا حينها، وكأنَّ عقله قد أنكر أو لم يتقبل ما شاهده منذ قليل، فهبَّ واقفًا من مرقده بدهشة شديدة، ونظر إلى خارج السيارة، ليلاحظ أن والديه كانا واقفين بجوار السيارة من الخارج، وعندما لاحظا أن ابنيهما قد استردَّ الوعي، هرولا ناحيته بسرعة، واحتضنته أمه بشدة وهي تبكي، وتحمد الله على نجاة ابنيها الوحيد.

ترجَّل «يوسف» من السيارة بخطوات قلقة، وابتعد عن والدته وكأنه لم يشعر بوجودها من الأساس، وعندما أقبل عليه أبوه واحتضنه بدوره وهو داعم العينين، نظر إليه ببلاهة شديدة، ثم دارت عيناه من حوله ليدرك أن عائلة زوجته كانت هناك أيضًا في فناء فندق النادي، وكانوا جميعًا في حالة صدمة، وبكاء شديد، ما عدا أم العروس.

كان والد «يُسرًا» يجلس على أحد المقاعد، واضعًا إحدى كفيه على وجهه، وهو يبكي، ويتنفس بصعوبة، وبدا أنه لا

يستطيع الوقوف على قدميه، وكانت ابنته الصغرى تحتضنه بقوة وهي تبكي بحرارة، وقد تحوّلت بشرة وجهها البضاء إلى اللون الأحمر، بينما كانت أم العروس تقف إلى جوار زوجها واجمةً بعينين دامعتين، وقد تحولت مقلتاها إلى كرتين من الدماء، وعندما شاهدت «يوسف» وهو يترجّل من السيارة، هرولت تجاهه بسرعة وكأنها لبؤة غاضبة تستعد للانقضاض على صائد شبلها الصغير، ولكن أحد الشرطيين ركض تجاهها ليمنعها من التعدي عليه، فمكثت تصرخ وهي ترمق «يوسف» بنظرات غاضبة من خلف يدي الشرطي الممدودتين، وهي تردد:

- حسبي الله ونعم الوكيل فيك.. قتلتها ليه؟ عملتك إيه عشان تعمل فيها كدا؟ الله يخرّب بيتك.. الله يخرّب بيتك.

استمر صراخ أم العروس وسبّها «يوسف» وهي تبكي بحرارة، وكأنها على يقين بأنه هو الذي قتل ابنتها، بينما كان زوجها يتابع المشهد من مقعده وهو يبكي، وبدا أنه لا يستطيع أن يحرك جسده من أثر الصدمة.

تجاهل «يوسف» صراخ أم العروس الغاضبة، أو ربما لم ينتبه إليها من الأساس، واستمر في تفقّده المكان من حوله، فلاحظ وجود كثيرٍ من رجال الشرطة أمام شرفة غرفته من الخارج، ولكنه لم يستطع أن يرى ما بداخل الغرفة من مكان

وقوفه، فعاد ببصره مجددًا تجاه والديه اللذين كانا يقفان على بعد خطوات من أسرة زوجته، ثم سألهما بصوت مكتوم ومرتعش:

- هو فيه إيه؟! انتو إيه اللي رجعكوا هنا تاني؟! هي «يُسرا»
فين؟ هاه.. هو محدّش بيرد عليّ ليه؟! باقولكوا «يُسرا»
فين؟! ومين الناس اللي في الأوضة دول؟! أنا مش فاهم
حاجة! مش فاهم حاجة خالص!

لم يجد «يوسف» أي إجابة عن أسئلته الملحة، وارتفع صوت بكاء أفراد العائلتين وهم ينظرون تجاهه بحزن شديد. وفجأة، التفت «يوسف»، وهول ناحية باب الشرفة الخاصة بغرفته، وهمّ بدخولها، ولكن منعه بعض رجال الشرطة من ذلك، فترجع إلى الخلف قليلًا بخطوات ثقيلة، ونظر إليهم بغضب ودهشة وأنفاس متسارعة، وبدا وكأنه قد فقد عقله، ثم التفت إلى أقاربه مرة أخرى، واستطرد مستنكرًا وهو يلهث ويرتعش:

- هو فيه إيه يا جماعة؟! انتو هنا بتعملوا إيه؟! وليه الناس كلها بتعيّط كدا؟ مش فاهم! النهارده ليلة فرحي أنا و«يُسرا»!
إيه كل العياط والنكد اللي انتو عاملينه دأ؟! وإيه اللي جاب البوليس هنا؟!

استمرّ الجميع في نظراتهم إليه بحزن وشفقة، واستمر

بكاؤهم دون أن يتفوّه أحدهم بأي شيء، خصوصًا والدته التي كادت تفقد وعيها من شدة الحزن.

بعد لحظات من النكران، بدأ «يوسف» في استيعاب أن ما شاهده منذ قليل كان أمرًا حقيقيًا، ولم يكن كابوسًا شاهده أثناء نومه، كما كان يحاول أن يقنع نفسه، فنظر إلى عائلته بعينين متشككتين، مقطبًا جبينه، ثم سألهم بقلق بالغ لعل أحدهم يُطمئن قلبه:

- أنا كنت باحلم.. صح؟ لأ.. لأ.. دا ماكانش حلم.. دا كان كابوس.. كابوس وحش أوي يا أمي..
وسكت برهة، ثم استطرد متسائلًا:

- ولأ أنا بايئي لسه باحلم ولأ إيه؟! آه.. آه.. شكلي كدا لسه باحلم.. أيوه باحلم.. يا رب أصحى يا رب من الكابوس دا.. يا رب أصحى.. يا رب.. يا رب.

وفجأة، امتعض وجهه، في أثناء تحدّثه، وتملّكه الغضب الشديد لعدم تلقيه أي رد أو تعليق على ما قاله، وبدأت الدموع تتكوّن بين جفنيه سريعًا، ثم صرخ فيهم فجأة قائلاً:

- انتو مابتردّوش عليّ ليبيبييه؟! باقولكوا فين «يُسرا»؟!
فين مراتي؟ «يُسرااااا».. يا «يُسراااا».. انتي فين يا «يُسرااااا»؟!

ثم توجّه باندفاع ناحية شرفة الغرفة مجددًا، وحاول أن يدخلها مرة أخرى، ولكن الشرطة منعتة تلك المرّة أيضًا، فظل يصرخ بغضب، وهو يدفعهم بيديه، محاولًا الدخول إلى الغرفة بالقوة، ولكن باءت جميع محاولاته بالفشل، فصرخ مجددًا باستنكار:

- وديتوها فين؟! ها.. خبيتوها فين؟! أنا عايز مراتي.. يا «يُسرًا».. «يُسرًا».

وفجأةً، انفجرت الدموع من عينيه بغزارة، وسقط جاثيًا على الأرض بركبتيه، واضعًا كلتا يديه على رأسه، ثم انحنى، ووضع رأسه على الأرض وكأنه يسجد، وظل يبكي بكاءً شديدًا حينما أيقن أخيرًا أن ما شاهده هو الحقيقة المنكرة التي لا مفر منها أبدًا.

هرولت «وفاء» ناحية ابنها بذراعين ممدودتين تجاهه، ثم جلست على الأرض بجواره، واحتضنته وهي تبكي بكاءً حارًا، محاولةً أن تهدئ من روع ابنها الوحيد الذي يبدو أنه قد أصيب بصدمة عصبية شديدة.

كان الضابط حينها يقف عند باب شرفة الغرفة يراقب كل ما يحدث بصمت وهدوء تامين، مُمسكًا بدفتره الصغير يدون به بعض الملاحظات عن ردود فعل جميع الموجودين،

بدايةً من زوج القتيلة وعائلته وعائلة القتيلة، وحتى «ياسر»، مسؤول أمن الفندق، وأفراد الأمن الذين كانوا بصحبته خارج الغرفة.. وبعد أن شاهد حالة الهياج التي حدثت لزوج المجني عليها، أقبل عليه، وسأله عمّا حدث، ولكن الأخير لم يُجبه، واستمر في بُكائه الشديد.

بعد أن انتهى رجال الشرطة والنيابة العامة من معاينة جثة العروس ومسرح الجريمة وتصويرهما، ورفعوا البصمات اللازمة من المكان، نُقل الجثمان في حقيبة حفظ سوداء إلى إحدى سيارات الإسعاف - تمهيدًا لنقله إلى المشرحة بعد ذلك - وسط صراخ وبكاء شديدين من قِبَل جميع أفراد العائلتين، وفي أثناء ذلك اكتنف «ليلى» دُوار شديد، وتهاوت بجسدها على الأرض فجأةً، وهول تجاهها أحد المسعفين، وبدأ مباشرةً في إسعافها حتى أفاقَت مرة أخرى.

حاول والد «يُسر» وزوجها الوصول إلى جثمانها ورؤيتها عن قرب، لكن من دون جدوى، وبعد ذلك اصطحبت الشرطة جميع الموجودين إلى القسم لمناقشتهم وسؤالهم حول ما حدث.

الفصل الثاني

قبل ذلك بثمانى سنوات.. داخل أحد الشوارع الجانبية بحي «الهرم»، كان «يوسف» واقفًا أمام باب شقته المتواضعة يبتسم ابتسامة مُشرقة، لا يكاد يصدق أنه قد حقق أول أحلامه أخيرًا، بعد سنتين كاملتين من المجهود الشاق، سهر خلالهما الليالي، وأنفق كثيرًا من أموال أبيه الذي كان يؤمن بقدرات نجله الوحيد، وبأنه لن يضيع مجهوده هباءً.

فقد كان أبوه، الأستاذ «إبراهيم شاكر»، الذي يعمل موظفًا من الدرجة الثانية في إحدى الجهات الحكومية، يضطر إلى العمل سائقًا على سيارة أجرة بعد انتهاء ساعات عمله الصباحي، ليوفر نقود الدروس الخصوصية الخاصة بنجله.

أغمض «يوسف» عينيه وهو يبتسم، ويحمد الله على ما منَّ عليه به من نجاح، ثم حاول بعدها أن يُخفي ابتسامته، وأن يتظاهر بعكس ما يشعر به من سعادة عارمة، وظل يسترجع بعض الجمل التي أراد أن يخبر والدته بها فور دخوله من باب منزله.

كتم ضحكة خبيثة داخل فمه، وتنهد بعمق قبل أن يفتح الباب، وما إن فتحه حتى امتعض وجهه، وتظاهر بالحزن،

ثم دلف بخطوات بطيئة إلى الداخل، وهو ينظر إلى والدته التي هرولت تجاه باب المنزل حينما سمعت صوت صلصلة المفاتيح.

كان القلق جليًا على ملامحها، وعندما رأت ملامح ابنها العابسة، وضعت يدها على صدرها، وركضت تجاهه، ثم أمسكته بكلتا يديها من ذراعيه، ونظرت إلى الأعلى ناحية وجهه وهي تقول:

- ما لك يا حبيبي؟ فيك إيه؟ جبت مجموع وحش؟! فداك أي حاجة يا بني.. المهم إنك بخير.

لم يستطع ابنها أن يطيل تقمصه ذلك الدور الحزين، ولم يتحمل أن يرى والدته وهي قلقة بشدة عليه هكذا، فانفجر ضاحكًا فجأةً وهي تحتضنه بحنانها الغريزي، وحينئذٍ تفاجأت الأم، وأبعدت رأسه إلى الخلف وهي تنظر إليه مستنكرةً بعينين حائرتين، وكادت تبسم لولا أنها كانت تجهل سبب ضحكاته، فانحنى «يوسف» وقبّل رأسها، وصرخ فجأةً مُزيلاً ذلك الغموض:

- ابنك هيبقى الباشمهندس «يوسف» يا أميي.

ضربته والدته على صدره مُعاتبَةً إياه، وهي تضحك على ذلك القلق الذي سببه لها قبل لحظات، ثم احتضنته مرةً

أخرى بقوة، فرفعها الشاب في الهواء، ودار وهو يحملها حول نفسه بحماس شديد، ثم أعادها إلى الأرض مرّة أخرى لتنطلق منها زغرودة مدوية سمعها جميع من في الشارع الذي يقطنونه، ثم قالت:

- يا ألف نهار أبيض.. يا ألف بركة.. مبروك يا حضرت
الباشمهندس.. مبروك يا حبة عيني.. أحمدك وأشكر فضلك يا
رب.. أحمدك وأشكر فضلك.

ثم انطلقت من بين شفتيها عدة زغاريد أخرى متتابعة دون توقف.

كانت «وفاء» امرأة بشوشًا للغاية تُعرف بطيبة قلبها غير المتناهية، لا تختلف في هيئتها وملامحها عن كثير من الأمهات المصريات، وقد اكتفت بالتعليم حتى مرحلة الثانوية العامة فقط، ولم تلتحق بالجامعة، وتزوّجت في عُمر صغير، وبعد أن سمعت ذلك الخبر كادت تطير فرحًا، وشعرت بسعادة جمّة تفوق أي شخص آخر في تلك اللحظة، وكأن ابنها قد عوّضها عن عدم إتمام تعليمها.

فُتح باب الشقة المقابلة لشقة «يوسف»، وساق الفضول الحاجة «أم محمود»، جارتهم، لمعرفة سبب ذلك الاحتفال المفاجئ، فسارت تجاه والد «يوسف» متسائلةً بابتسامة عريضة، وعينين فضوليتين، قائلةً:

- خير يا «أم يوسف»؟ فرّحينا يا حبيبتي.

فأجابتها الأخيرة بفخر ملحوظ:

- «يوسف» يا «أم محمود» جاب خمسة وتسعين في الميَّة،
وهيدخل الهندسة يا حبيبتي.. عقبال ولاد «محمود» يا رب.

أطلقت «أم محمود» زغرودة بدورها لتشاركهما فرحتهما،
ولكنها لم تكن بنفس حماس أم الباشمهندس، وظلت تردد
المباركات والتهنئة لجيرانها في حضور «حنان» القاطنة
بالشقة التي تعلو شقة «يوسف»، تلك الفتاة المراهقة
متواضعة الجمال، التي نظرت إلى «يوسف» بابتسامة
عريضة خجلة عندما سمعت الخبر، وهي تهبط الدَّرج إلى
الطابق الأسفل، ثم قالت برقةً بالغة لا تتناسب مع شعرها
الأشعث:

- ألف ألف مبروك يا طنط.

ووجهت كلامها لوالدة «يوسف»، وعيناها مثبتتان على
وجه «يوسف» نفسه.

داخل حي «الزمالك»، وفي الوقت نفسه، كانت «يُسرا»
تستقل سيارة والدتها الفارهة التي كانت تقودها بسرعة

كبيرة عائدةً إلى المنزل، ممسكةً بهاتفها «الآيفون» تتصفح الموقع الرسمي لتنسيق الكليات والجامعات المصريّة، وفجأةً ابتسمت، وصرخت بحماس:

- ماما.. مفاجأة! نتيجة التنسيق ظهرت، وهادخل هندسة القاهرة.

نظرت إليها والدتها بابتسامة عريضة مرعدة:

- ألف ألف مبروك يا سيادة الباشمهندسة.. دا بابا هيطير من الفرحة لما يعرف.

نشأت «يُسرا» منذ الصغر في حي «الزمالك» مع أسرتها الثريّة، وعاشت حياة مرفهة ثلّى فيها كل أمنياتها، حياة تمناها كثيرٌ من الفتيات في مثل عمرها الذي تخطّى بالكاد ١٩ عامًا. ابتسمت حينما هتأتها أمها بنجاحها، ومكثت تتأمل وجهها في مرآة السيارة الجانبية، وتمرر أصابعها داخل شعرها الأسود الطويل بثقة وهي تبسم.. كانت تمتلك ملامح جذابة ومميزة إلى حد كبير، تشبه أباه كثيرًا في لون بشرته متوسطة البياض، وعينيهِ الواسعتين، وأنفه المرتفع.

ظلت سيارة والدتها تسير نصف ساعة متواصلة قبل أن تصلا إلى أسفل منزلهما، الموجود بأحد الأبراج الشاهقة الجميلة بشارع المنتزه بالزمالك، ثم صعدتا إلى شقتهما

الكائنة بالطابق الخامس، وبعد نحو ساعتين دخل والدها المهندس «شريف سليمان» إلى شقيقته مُمسكًا بعلبة كرتونية مغلقة يُخبئها خلف ظهره، وما إن رأى ابنته الكبرى حتى هرول تجاهها، واحتضنها بقوة، وهنأها على قبولها بكلية الهندسة، ثم أخرج يده الممسكة بالعلبة الصغيرة من خلف ظهره، وقدمها لنجلته مرددًا:

- افتحيها بقى يا حبيبتي، وقوليلي رأيك.

اختطفت «يُسرا» العلبة من يده بسرعة، وطبعت قُبلةً على خدّه بخفة وسعادة، ثم بدأت بفضّ غلافها بحماس شديد، وما إن فتحت العلبة، ونظرت إلى داخلها، حتى اتسعت عيناها بذهول كبير، ثم قفزت داخل أحضان أبيها غير مصدقة، ومكثت تقبله على خديه عدّة مرّات بفرحة شديدة، فضحك أبوها، ثم قال لها:

- دي العربية اللي كان نفسك فيها، ووعدتك إني هاجيبها لك يا أحلى باشمهندسة.

احتضنته «يُسرا» مرّة أخرى قبل أن تهرول سريعًا ناحية شرفة شقتها الفارهة المطلّة على نهر النيل، ونظرت لثوانٍ من خلالها إلى الأسفل قبل أن تركز ناحية باب المنزل، وتهبط الدّرج بسرعة لتتفقّد هديتها الثمينة التي أهداها لها والدها عن قرب، وتبعثها أختها الصغرى «ليلى» من خلفها.

وسط مبانٍ عريضة رملية اللون، ذات أبواب ونوافذ بنية مرتفعة شُيّدت منذ أكثر من مئة عام، وبين مساحات خضراء واسعة، وأشجار منسقة، دخل «يوسف» من بوابة كلية الهندسة بجامعة القاهرة للمرة الأولى، والأمل والبهجة يملآن قلبه وعينيه، فقد كان يشعر بأنه قد وصل أخيرًا إلى نقطة التحول الكبرى في مستقبله، والتي طالما سعى إليها كثيرًا.

كان «يوسف» يكبر «يُسرًا» بأشهر قليلة فقط، وكان يتمتع بملامح جسدية مميزة، وقامة طويلة رياضية إلى حد كبير، بشرته قمحية اللون، ونقية، وشعره ناعم وممشط إلى الخلف، ووجهه مثلث، ذو عظام وجنتين بارزتين، يغطيها لحية وشارب خفيفان.

كان يتمتع بوسامة كبيرة وجاذبية من نوع خاص، حتى يظن من يراه للوهلة الأولى أنه أحد عارضي الأزياء العالميين. وعلى الرغم من اتسامه بالأخلاق الجيدة، والتزامه دينيًا، فإنه كان شخصًا وحيّدًا إلى حد كبير، فلم يكن يحظى بكثير من الأصدقاء كحال الفتية الآخرين في مثل عمره.

بالتأكيد، كانت عصبية الشديدة وسرعة غضبه السببين الرئيسيين في تلك الوحدة؛ فقد كان دائمًا يغضب بشدة من

أقل الأشياء التي قد تبدو بسيطة لأي شخص آخر؛ لذلك لم يستطع أغلب أصدقائه تحمّل حدثه وغضبه المتكرر في التعامل معهم، وبالتالي كان يفقدهم سريعًا دائمًا، ولكنه في نهاية الأمر كان يمتلك قلبًا طيبًا كوالدته.

لفت «يوسف»، بمظهره الجذاب، أنظار الطالبات في الجامعة منذ اليوم الأول؛ ففي كل مرة كان يمر بها من أمام مجموعة من الفتيات، ويرمقهن بعينيه الناعستين الجذابتين بغير عمد، كان الصمت يخيم عليهن وكأنّ على رؤوسهن الطير، وهن يتأملنه بإعجاب شديد حتى يمضي بعيدًا، فيبدأ الهمس فيما بينهن، وتنطلق الضحكات.

بالطبع، كان يعلم جيّدًا عن وسامته وجاذبيته اللافتتين للانتباه، وكان يلاحظ الاهتمام الكبير من زميلاته بالجامعة، ومحاولاتهن الدائمة لمصادقته، والتقرب إليه، وعلى الرغم من ذلك، لم يُلْقِ بالًا لهذه الأشياء في ذلك الوقت، بل كان يُولي اهتمامه دائمًا للوصول إلى هدفه الوحيد الذي يؤمن بأنه سيغير مجرى حياته المتواضعة إلى الأفضل عندما يصبح مهندسًا ناجحًا ذا شأن كبير، ولم يكن قد أدرك بعد أن القدر كان له رأي آخر.

ذات يوم، في بدايات عامه الدراسي الأول، كان يجلس داخل إحدى قاعات المحاضرات الخاصّة بكليته، يستمع إلى

أحد المحاضرين، ولم تكن المحاضرة منضبطة بشكل كبير، فعلى الرغم من دخول المحاضر، وبدء المحاضرة بالفعل، فإنَّ بعض الطلاب كانوا مستمرين في الدلوف إلى القاعة والخروج منها، وكان بعضهم الآخر مُنهمكًا في الأحاديث الجانبية معًا، وكأن المحاضرة لم تبدأ بعد.

في أثناء ذلك، دخلت إحدى طالبات الفرقة الأولى إلى القاعة، وتُدعى «دينا»، وقفت للحظات تتفقد المقاعد بعينيها، وكأنها تبحث عن شخص ما، وفجأةً ابتسمت، ولمعت عيناها عندما وقعتا على «يوسف»، ثم توجهت مباشرةً إلى المكان الذي يجلس فيه، وأشارت إلى إحدى زميلاتهما، التي كانت تجلس خلفه، لكي تُفسح لها ذلك المقعد بعينه، حتى تجلس هي خلفه بدلًا منها.

نظرت إليها الفتاة للحظات بدهشة، ومكثت تتأمل ملامحها المتناقضة، فوقعت عيناها على بشرتها القمحية، وشعرها المعقوص المنفوش بكثافة، وشفتيها الغليظتين. وعلى الرغم من تلك الملامح التي كانت تبدو حادةً قليلًا فقد كانت تمتلك جاذبية لا بأس بها، ولكن جسدها الضخم، وطول قامتها الذي يتخطى الـ ١٧٥ سنتيمترًا، وكتفيها العريضتين اللتين تشبهان أكتاف أبطال السباحة، كانت تطفئ على تلك الجاذبية، وإلى جانب جراتها الملحوظة التي لا يمتلكها أغلب الفتيات، بل

وبعض الفتية كذلك من عمرها نفسه، فقد كانت تبدو عنيفة إلى حد كبير؛ لذلك لم تعترض زميلتها على طلبها الفج، وأفسحت لها المقعد المُراد على الفور.

جلست «دينا» خلف الفتى الوسيم، ثم مدّت يدها مباشرة، وربّت على كتفه مرّتين برفق، وعندما التفت «يوسف»، ونظر إليها بدهشة، ابتسمت بخجل مُصطنع، ثم وجّهت إليه أحد الأسئلة الساخرة في محاولة بائسة منها لفتح مجال للحديث معه:

- هي دي مادة إيه لو سمحت؟

أجابها «يوسف» إجابة مُقتضبة لم ترق لها، قائلاً بجديّة:
- فيزيا.

ثم التفت إلى الأمام سريعًا، لكن الفتاة لم تكتفِ بتلك المحاولة الفاشلة، ولم ينعقد لسانها بعد ردّه الجادّ، وقررت أن تعيد التجربة مجددًا، فألقت على مسامعه سؤالًا آخر لا يزيد أهميّةً على ما سبقه كي تطيل معه الحديث، لكنه أجابها بالأسلوب الجاد نفسه، واعتدل مرّةً أخرى.

حينئذٍ، لم تجد «دينا» أي شيء آخر تقوله، فالتزمت الصمت حتى نهاية المحاضرة، وبعد انتهائها مباشرةً نهض «يوسف» من مقعده متجهاً إلى فناء القاعة الخارجي، فهرولت خلفه

بسرعة، وحاولت أن تتحدث معه مجددًا، ولكنه لم يهتم، وقطع حديثها، ثم استأذنها سريعًا، وانصرف.

ضحكت فتاتان كانتا تتابعان ما يحدث بين «دينا» و«يوسف» من بُعد، ورددت إحداهما:

- بصراحة أمّور أوي.. عندها حق.

فقالت لها صديقتها وهي تبتسم واضعةً إحدى يديها على فمها:

- بس يا عيني شكله أخرجها جامد.

في تلك اللحظة، كانت «يُسرّا» تُدخل دفترها في حقيبتها، بعد أن دوّنت فيه ما قاله المُحاضر، وسمعت ما دار من حوار بين هاتين الفتاتين حينما كانت تجلس أمامهما، فنظرت تجاه ما تنظران إليه، ووقعت عيناها على «دينا» التي كانت تقف جامدةً تمامًا في مكانها، وكأنها تلقت دلوًا من المياه الباردة فوق رأسها للتو، بينما كان «يوسف» على وشك أن يغادر القاعة، فابتسمت، ثم اصطحبت حقيبتها، وانصرفت.

بعد عدّة أيام، شاء القدر أن يجمع بين «يُسرّا» و«يوسف» دون تخطيط مُسبق من كليهما عن طريق إحدى صديقات «يُسرّا»، وتُدعى «إيمان»، وأخيها التوأم «أمجد»، اللذين كانا يرتادان المدرسة نفسها معها في مرحلة الثانوية العامة، ثم

التحقوا جميعًا بعد ذلك بكلية الهندسة في جامعة القاهرة، وبعد مرور عدّة أيام على بدء العام الدراسي كان قد التقى «أمجد» و«يوسف»، وأصبحا صديقين، وبالتالي التقى شقيقته وصديقتها بعد ذلك.

عندما لاحظت «دينا» ذلك الأمر حاولت أن تتقرب إلى «يُسرًا»، وبحجة بسيطة نجحت في الحصول على صداقتها، ثم قدّمتها إلى زميلاتها الأخريات، وكنّ يجلسن معًا في فناء الجامعة بين أوقات المحاضرات.

كانت «دينا» تتحدّث كثيرًا عن «يوسف» أمام زميلاتها، وكانت تتغزل في صفاته، ولكنها كانت تشكو من أنه لا يُعطيها أي فرصة حقيقية للحديث والتعارف، وذات يوم حاولت أن تستعطف مشاعر «يُسرًا» عندما كانت تجلس معها بمفردها، ومكثت تتحدث معها عنه مجددًا، وأخبرتها بأنها حاولت كثيرًا أن تتودّد إليه، ولكنه جادّ بطريقة لا تُطاق.

حينها، لم يكن قد مرّ على خطبة «يُسرًا» لنجل أحد أصدقاء والدها إلا بضعة أيام، لكنها لم تكن تُكنّ لخطيبها أي مشاعر على الإطلاق، فقد كان الأمر ليس إلا ما يسمونه زواج المصلحة؛ حيث إن والد خطيبها كان يرأس والدها في العمل خلال تلك الآونة؛ لذلك لم تكن مهتمة كثيرًا بحديث «دينا» عن حبيبها الوسيم، وعن جاذبيته التي لا تُقاوم، ومع ذلك لم

تَكُنْ غافلةً عن تلك الجاذبية التي لم يختلف عليها أحد.

ادّعت «دينا» المفاجأة حينما أدركت أن «يُسرا» كانت تجمعها صداقة بفتى أحلامها التي أحبّته منذ النظرة الأولى، فألحّت على «يُسرا» أن تساعدّها في مسعاها تجاهه، وأن تقرّبها من أصدقائهم المشتركين تمهيدًا للوصول إلى قلب «يوسف» فيما بعد.

وعدتها «يُسرا» بأنها ستقدمها لأصدقائها بمن فيهم «يوسف» عن قريب، بل أخبرتها بأنها ستفعل شيئًا أولًا لربما تمهد الطريق أيضًا بينهما، وهي أن تتحدث معه عن «دينا»، وتخبره بطريقة ما عن إعجابها بشخصه، وبالتالي ستدرك ما إذا كان الشاب يمتلك أي مشاعر تجاهها أم لا.

فرحت «دينا» بشدة بتلك المساعدة غير المتوقّعة من زميلتها وصديقتها الجديدة، وكانت تنتظر أي جديد في هذا الأمر على أحرّ من الجمر..

وفي صباح اليوم التالي، داخل فناء الجامعة، توجّهت «يُسرا» ناحية «يوسف» عندما كان يجلس بمفرده على إحدى الدكّ الخشبية يتصفح بعض الأوراق، بينما كانت «دينا» تقف في الجهة المقابلة أمام أحد المطاعم الصغيرة التي تقدّم الوجبات السريعة للطلبة تنتظر تجهيز النسكافيه الساخن، مشروبها المعتاد، وكانت عيناها تتابعان «يُسرا»

بقلق وحماس في الوقت نفسه، وعندما لَوَّحت لها الأخيرة بيدها، ثم ألقت نظرة على «يوسف»، وغمزت لها، ابتسمت بعينين يملؤهما الأمل.

كانت «يُسرًا» دائمة الاهتمام بمظهرها، وكانت ملابسها البرّاقة ذات الماركات الشهيرة توحى بانتمائها إلى طبقة الأثرياء على النقيض من أغلب زميلاتِها بمن فيهنَّ «دينا»، وإلى جانب ملامحها الجذابة وأسلوبها الرقيق في الحديث كانت تبدو لافتةً للانتباه كثيرًا.

وعندما اقتربت من «يوسف» نادى عليه، فوقف الأخير بإجلال، وصافحها بابتسامة هادئة، ثم سأله عن أصدقائهما المشتركين، ولكنه أخبرها بأنه لم يلتقهم اليوم، ودار بينهما بعض حديث.

كانت «دينا» تتابعهما بترقب وتركيز تامّين، حتى إن عامل المطعم نادى عليها عدّة مرّات، ولم تشعر بذلك، وبعد دقائق قليلة نظرت «يُسرًا» تجاهها وكأنها تشير إليها بوجهها، فنظر «يوسف» ناحيتها أيضًا في الوقت نفسه، ثم عادا إلى الحديث معًا مرّة أخرى دون أن تتغير ملامحه، فشعرت «دينا» بأن تلك هي اللحظة المنتظرة، ولكنها لم تستشف من ملامح الاثنين أي انطباع يوحي بمشاعر «يوسف» تجاهها.

بعد دقائق، ابتسمت «يُسرًا» لـ«يوسف»، ثم تركته،

وابتعدت ومَرَّت من أمام صديقتها، وألقت عليها نظرة سريعة دون أن تتوقف، فتبعتها صديقتها بلهفة وخطوات متسارعة، وما إن ابتعدتا قليلاً عن أنظار «يوسف»، جذبتها «دينا» من ذراعها، وسألتهَا عما حدث في أثناء حوارها معه.

أخبرتها «يُسرا» بأن الأمر لم يسِر كما كانت تأمل، فعندما سألتَه عن رأيه فيها لم يتذكرها من الأساس، فاضطرت إلى أن تشير بعينيها تجاهها حتى يراها، ويتذكرها كذلك، ولكن عندما رآها أخبر «يُسرا» أنه لا يفكر في الارتباط بإحدى زميلاته في ذلك الوقت، وأنه يهتم فقط بدراسته، ولا يريد أن يشغل باله بمثل هذه الأشياء في الوقت الحالي.

تلقت «دينا» كلام زميلتها كالطعنة في منتصف الصدر، وشعرت بخيبة أمل كبيرة، ومع ذلك لم تيأس روحها، وأخبرت «يُسرا» بأنها لن تستسلم بسهولة، وبأنهما لا يزالان في عامهما الدراسي الأول فقط من الكلية، فابتسمت لها «يُسرا» مرددة:

- إن شاء الله خير يا حبيبتي.

ثم سارتا معًا بعدها، والتقتا بعض زميلاتهما الأخريات.

مع مرور الوقت، بدأت «يُسرا» تشعر بالانجذاب تجاه «يوسف»، فإلى جانب ملامحه الجذابة كان يمتلك شخصية

جاذبة ومثيرة للاهتمام في الوقت نفسه، باستثناء غضبه،
وجذبيته المعهودة، وكانت تشعر بأنه يبادلها الإعجاب
نفسه، ولولا اهتمامه الدائم بدراسته فقط، لكان قد باح لها
بمشاعره، وبالتالي لم تُقبل هي على تلك الخطوة بدورها.

أما عن «دينا» فلم تكف عن محاولاتها البائسة لجذب انتباه
فارس أحلامها، وكانت تحاول دائماً التقرب إليه والوجود
بالقرب منه عن طريق مصادقة أصدقائه القليلين من
زملائهما بالكلية.

انتهى العام الأول من الدراسة، وقبل بداية العام الثاني،
حدثت بعض المشادات الكلامية بين «يُسرا» وخطيبها،
وأخبرت والدها برغبتها في إنهاء تلك العلاقة، مبررة ذلك
بأنها ما زالت صغيرة على دخول علاقة جاذبة كهذه، وعقبت
بأنها بالكاد قد تخطت عامها الدراسي الأول فقط، فوافقها
أبوها بعد عدة محاولات مُضنية منه لإقناعها بعكس ذلك،
وامتثل لطلبها.

ومع بداية العام الدراسي الثاني، التحق كل من «يوسف»
و«يُسرا» بقسم الحاسبات بالكلية، ومَرَّت الأيام، وزادت
المشاعر فيما بينهما رغماً عنهما، وتحول إعجابهما المتبادل
إلى حب ومشاعر حقيقيّة، وعندما شعرت «دينا» بحدوث
ذلك استشاطت غضباً من زميلتها، وتحولت صداقتها إلى

غيرة وكُره مُستتر، بينما لم تُظهر الفتاتان تلك المشاعر أمام «يوسف» في بداية الأمر.

في العام نفسه، التحقت «ليلي»، شقيقة «يُسرا» الصغرى، بكلية الهندسة أيضًا، وكانت فتاة ذات جمال أخاذ، وملامح هادئة كالأطفال، ووجه دائري كشقيقتها، وعينين عسليتين تلمعان تحت أشعة الشمس، وأنف مثالي، وشعر طويل بُني ناعم، تلك الملامح التي ورثتها عن والدتها، والتي جعلتها لا تقل في جمالها عن فنانات السينما الأمريكية (هوليوود).

كانت «ليلي» تذهب برفقة شقيقتها الكبرى كل صباح إلى جامعتهما بسيارة «يُسرا»، وما إن تعبران داخل أسوار الكلية حتى تتفرقا كُلٌّ إلى مدرجاته المختلفة، وذات صباح بعد أن دلفت الأختان من بوابة الجامعة قابلتا «يوسف» عندما كان يقف على الجهة الأخرى من البوابة مع أحد زملائه عن طريق الصدفة، وعندما رأى الأختين أقبل ناحيتهما لاستقبالهما، فصافحته «يُسرا» بابتسامتها المعتادة، ثم قالت:

- دي «ليلي» بقى أختي الصغيرة في أول سنة السنة دي.

مدَّ «يوسف» يده لمصافحتها، لكنها صافحته بعدم اهتمام، ثم استأذنتهما، وتوجهت إلى قاعة محاضرتها دون أن تتحدث مجددًا.

لاحظ «يوسف» تلك المقابلة الباردة التي تلقاها من «ليلى»، ثم اصطحب «يُسرًا» إلى إحدى الكافيتريات بالجامعة ليتناولوا إفطارهما، وفي طريقهما إلى هناك سألها بعين حائرة عن سبب أسلوب شقيقتها الجاف معه، فأجابته وهي تبتسم ابتسامة باهتة:

- لأعادي يا «يوسف»، معلش.. هي «ليلى» كدا غريبة شويّة اليومين دول.

- اشمعنى اليومين دول؟

- ولا حاجة يا ابني.. بتحب واحد أكبر منها بخمس سنين.. بس هو ولد مش كويس يعني.. بيشرب مخدرات وكدا.. والولد جه وقابل بابا على أساس يقرأ فاتحة يعني.. وبابا لما عرف إنه مدمن طبعًا رفضه.. وقلب على «ليلى».. ومن ساعتها وهي مديّانا الوش اللي انت شايفه دا.

- آاه، عشان كدا.. بس واضح إنها متعلقة بيه أوي.

- للأسف، آه.

- طب وهي مالقتش غير دا؟ هي أصلًا ما شاء الله يعني أمّورة، وفيه ناس كتير يتمنوا يرتبطوا بيها.. منهم صاحبي مثلًا اللي كان واقف معايا من شويّة.. أول ما شافها أصلًا اتجنّن.. وقعد يقولّي عرّفني عليها.

ضحكت «يُسرًا»، ثم قالت:

- هي «ليلى» قمر أصلاً.. وطيبة كمان.. بس هنقول إيه بقى؟

- طيب باقولك إيه.. إحنا هنحضر المحاضرة الجاية بتاعة...

قبل أن يكمل «يوسف» سؤاله، رنَّ هاتف «يُسرًا» داخل حقيبتها، فأخرجته، ونظرت إلى شاشته، ثم امتعض وجهها، ولاحظ «يوسف» ذلك التغيير المفاجئ في ملامحها، فسألها:

- فيه حاجة ولا إيه؟ مين اللي بيتصل بيكي؟

تنهّدت «يُسرًا» وقالت بضيق:

- دا «عمر» اللي كنت مخطوبة له.

شعر «يوسف» بالغيرة والغضب ممّا أخبرته به، ثم سألها بحدّة:

- ودا عايز إيه دا؟ انتو مش فسختوا الخطوبة خلاص من كام شهر؟!

- مش فاهمة والله إيه القرف دا!

- طب ما تردي عليه طيب، شوفي عايز إيه.

- لاء، مليش مزاج أرد عليه بصراحة عشان أنا عارفة أصلاً
هو عايز إيه.

- عايز إيه بقى إن شاء الله؟!

- عايز يرجعلي.

- نعم؟! وعرفتي منين بقى إنه عايز يرجعلك؟ هو كلمك
قبل كدا؟!

- أيوه، كلمني قبل كدا وأنا في البيت، وقال لي ندي لنفسنا
فرصة وكدا.. وأنا عارفة إنه مش هو اللي عايز يرجع.. باباه
وبابايا هما اللي عايزينا يرجع.

قَطَب «يوسف» جبينه، وصرخ قائلاً:

- وهو يعني لو هو اللي عايز يرجع هترجعي يعني ولا إيه؟
مش فاهم!

- أرجع إيه يا «يوسف»؟ ما انت عارف إني باتخنق منه
أصلاً.. أكيد لأ يعني.

- يبقى تردي عليه، وتقوليله الكلام دا.

قالها «يوسف» بغضب شديد لاحظته «يُسرا»، فنظرت إليه
بغضب، ثم قالت بحدة:

- هو فيه إيه يا «يوسف»؟ لأ بجد مش مصدّاك يعني..
وعامّة هابقي أرد عشان أريحك لما يتصل تاني.

- وماتتصليش بيه ليه يعني دلوقتي وتقوليله عايز إيه؟

- انت مأفّور أوي على فكرة.. انت المفروض بتثق فيّ
يعني.. أنا مابحبّش الغيرة الزيادة دي، وانت عارفني كويس،
وعارف إني ماباعملش حاجة غلط.

قالت «يُسرّا» تلك الجملة الأخيرة وهي تلتقط حقيبتها
بعنف من أعلى الدكة الخشبية التي تجلس عليها، وهَمّت
بالمغادرة، فنظر إليها «يوسف» بضيق شديد وكاد ينفجر
غيظًا، لكنه تمالك نفسه على غير العادة، وسألها:

- انتي رايحة فين؟

- داخله المحاضرة.

- طب استئي، أنا جاي معاكي.. استئي يا «يُسرّا».

شعر «يوسف» بالغضب الشديد عندما تركته «يُسرّا»
وانصرفت فجأةً وسط حديثهما، ثم تبعها بخطوات سريعة،
حتى دخلا إلى قاعة المحاضرات، ولشدة غيظه قرر أن
يجلس في مكان آخر بعيدًا عنها على عكس ما اعتادا أن
يفعلًا دائمًا، ولربما يلقتها درسًا كذلك حتى لا تتركه في أثناء

تحدثه معها مرة أخرى.

كان «يوسف» على يقين بأن «دينا» مُتيممة به؛ فكل الطلبة كانوا يعلمون ذلك، حتى الأعمى كان ليُلاحظ تلك العلاقة ذات الجهة الواحدة، فبعد أن دخل القاعة دارت عيناه قليلاً حتى تلاقت أعينهما، وهي تتابعه أيضاً بعينيها، مُتمنية أن يعطيها ولو قليلاً من الاهتمام، وبالفعل تحققت أمنيتها عندما ذهب تجاهها مباشرة، حتى إنه تخطى شاباً وفتاة ليجلس بجوارها، بينما أفسحت هي له مكاناً ليجلس فيه بانبهار شديد، وكأن لسان حالها يقول: «هل جاء ليجلس بجواري حقاً أم أنني أحلم؟!».

جلس «يوسف» بجوارها مردداً:

- صباح الخير.. ازيك، عاملة إيه؟

نظرت «دينا» في عينيه قليلاً قبل أن تتلعثم وهي تجيب:

- مساء النور... قصدي صباح النور.. ازيك يا «يوسف».. ليك وحشة بجد.

- ربنا يخليكي.. ماتشوفيش وحش.

- لأ وحش إيه بس.. دا انت أحلى واحد هنا في دُفعتنا!

ابتسم «يوسف»، وأشاح بوجهه خجلاً من جرأتها الجليّة

في التعبير عن إعجابها به وصراحتها المُربكة، ثم ردد:

- ربنا يكرمك والله.. مش عارف أقولك إيه بس؟

- ماتقولش حاجة.. كفاية إننا أخيرًا قعدنا مع بعض.

ضحك «يوسف»، ونظر إليها بعينيه الجذابتين، ثم هز رأسه باستنكار، وقال:

- انتي طيبة أوي يا «دينا» على فكرة.

- أنا طيبة؟ ربنا يخليك والله.

مكث الاثنان يتحدثان بعدها طوال مدة المحاضرة بصوت خافت، وكانت «يُسرا» تتابعهما بعينين مليئتين بالغضب والغيرة، بينما كانت «دينا» ترمقها بنظرات الثقة بين الحين والآخر، وهي تبتسم لتثير غيرتها، وبعد المحاضرة غادرت «يُسرا» القاعة، واستقلَّت سيارتها عائدةً إلى منزلها مباشرةً.

في اليوم التالي، لم تتصل «يُسرا» بـ«يوسف»، ولم تذهب إلى الجامعة، فبادر هو بالاتصال بها، فلم تجبه، فاستمر بالاتصال، حتى أجابته أخيرًا، وقالت بغضب واضح:

- أيوه يا «يوسف»، فيه حاجة؟!

- لأ مفيش، كنت باطمّن عليكى بسّ عشان ماجيتيش الجامعة النهارده.. انتي كويسة؟

- وتطمئن عليّ ليه؟ ما تطمئن على صاحبك الجديدة أولى!

ضحك «يوسف»، ثم قال باستنكار:

- والله أنا لقيتك مشيتي وسبتيني امبارح ومش عايزة تتكلمي معايا، فقلت أروح أشوف حد ثاني عايز يتكلم معايا مش أكثر.

- والله؟! فما لقيتش غيرها؟ مش كدا؟ طب تمام.. براحتك يا «يوسف».. اعمل اللي يريحك.

ضحك «يوسف»، وظل يُداعبها، وتبادلا العتاب فيما بينهما، ثم استمر في حديثه معها حتى تصافيا وتصالحا بعد ذلك.

في السنة الثالثة، توترت علاقتهما بعض الشيء بسبب عصبيتهما وغضبهما غير المبررين في كثير من الأحيان، وذات يوم كان أحد زملاء «يوسف» يسأله عن «ليلى» وعمّا إذا كانت مرتبطة، وما إلى ذلك، وسأله عن القسم الذي تخصصت فيه في عامها الثاني بالكلية، لكنه لم يكن على دراية بإجابة سؤال صديقه، وعندما سأل شقيقتها عن ذلك تلقى منها ردّ فعلٍ عنيفًا لم يتوقعه:

- اشمعنى يعني؟ بتسأل عليها ليه؟!

- مش أنا اللي باسأل.. «علي» صاحبي اللي بيسأل.

- باقولك إيه يا «يوسف»، قول لـ«علي» ملوش دعوة بأختي.. أنا قُلتك قبل كدا إنها بتحب حد ثاني.. وعامةً هي دخلت قسم اتصالات.. بس يا ريت ماتقولوش.. وقوله يشيل الموضوع دا من دماغه أصلاً.

وافقها «يوسف» على رجائها، لكنه غضب من أسلوبها الحاد معه، وسارت الأمور بينهما على هذا النهج مدةً طويلة، يتشاجران كثيرًا دون أسباب مقنعة، حتى إنه بدأ يفكر جدًّا في الانفصال عنها، وكلما كان يغضب منها كان يجد في «دينا» القلب النابض والمشاعر الجياشة، وعدم المجادلة، فكان يُمضي معها كثيرًا من الوقت في تلك الآونة، على الرغم من أنه لم يكن يبادلها الشعور نفسه، لكنه كان يشعر بالارتياح أكثر حينما يجلس بضحبتها، وبالطبع كان ذلك يثير غيرة «يُسرا» بشدة.

كانت «دينا» مُتيمّةً به، على الرغم من أنه لم يكن يُبادلها الشعور نفسه كما كانت تأمل، وكانت تعلم أن كل ما يشغل باله ليس إلا «يُسرا»، فزاد كرهها يومًا بعد يوم لتلك الفتاة الثريّة كما كانت تصفها، وذات يوم في بداية العام الدراسي الأخير، كانت تجلس هي بـ«يُسرا» وبعض زميلاتهما الأخريات داخل أسوار جامعتهم، وسرحت قليلًا تفكر وهي تنظر إليها بكُره دفين، وقد طفح بها الكيل، فقد كانت تمثي

نفسها، أو بالأصح، تقنع نفسها، بأن «يوسف» يُكِنُّ لها بعض المشاعر أيضًا، ولولا وجود «يُسرًا» لكانت قد حصلت عليه لنفسها.

مكثت تنظر إلى «يُسرًا» بعض الوقت وهي تفكر قبل أن تتوجه للجلوس بجوارها، وتسألها باستنكار:

- هو انتي بتحبي «يوسف» يا «يُسرًا»؟

لم تتوقع «يُسرًا» ذلك السؤال المفاجئ الذي أسكت الكلام في حلقها، وأوقف حديث زميلاتها أيضًا، ولم تستطع الرد في حينه، فنظرت إلى «دينا» بعينين متحديتين للحظات، ثم قالت:

- انتي شايفة إيه يا «دينا»؟!

- «يوسف» دا لا شبهك ولا من مستواكي.. انتي غنية وهو لأ.. وماينفعلكيش على فكرة.. «يوسف» دا عايز واحدة شبهه، ومن ثوبه.. وبعدين المنيل قريبة من الهرم.. لكن الزمالك بقى.. بعيدة حبتين تلاتة.. ولا انتي مش واحدة بالك من الموضوع دا؟!

شعرت «يُسرًا» بالغيرة الشديدة حينها، وسكتت قليلًا تفكر في رد مناسب على ما قالته، قبل أن تجيبها بطريقتها نفسها، وخرج من فمها الكلام ببرود مصطنع:

- لا، على فكرة «يوسف» طموحه أعلى من المنيل بكثير..
هو أصلاً ما بيعرفش يروح المنيل، ولا يستنصف يروحها
أساساً.

وفجأة، وقبل أن تكمل «يُسرًا» إهانتها، نظرت إليها «دينا»
بشراسة أثناء مرور «يوسف» مصادفةً على مقربة منهما،
ثم انقضت عليها بجسدها الضخم، وأمسكت شعرها بقبضة
قوية، ثم جذبتها إلى الخلف حتى أسقطتها أرضاً، وعندما
لاحظ «يوسف» ما حدث هرول تجاههما هو وبعض زملائهما
واثنان من أفراد أمن الجامعة، لتخليص «يُسرًا» من قبضة
«دينا» الشرسة قبل أن تقتلع شعر رأسها من جذوره.

قامت «يُسرًا»، ونفضت ملابسها التي اتسخت عندما
سقطت على الأرض، وحاولت إرجاع شعرها إلى عهده
السابق بحرج شديد، ثم التقطت حقيبتها التي سقطت على
بُعد خطوات منها وهي تتجَبَّب النظر إلى أيٍّ من زملائها،
وهرولت إلى خارج الجامعة مباشرةً.

لم تذهب «يُسرًا» إلى الجامعة إلا بعدها بعدة أيام، وعندما
عادت، وقابلت بعض زميلاتهن، أخبرنها بأن «دينا» قد ندمت
على فعلتها تجاهها وبكت كثيراً بعد ما حدث في آخر لقاء
جمعهما، وأخبرتتهن بأنها تريد الاعتذار لها، ومكثت تبرر ما
فعلته، وأنه بسبب ما تمر به من ظروف سيئة، حيث إن

والدتها مريضة بداء السرطان، وقد تدهورت حالتها الصحية كثيرًا في الآونة الأخيرة.

رفضت «يُسرًا» أن تكمل الحديث في هذا الأمر مع زميلاتهما، وكانت تجلس ممتعة الوجه، حتى جاءت إليها «دينا» وهي تبكي، واحتضنتها، ومكثت تعتذر لها كثيرًا عما بدر منها من فعل أحمق، كما وصفته، وحكت لها عن مرض أمها وحالتها الصحية التي تأخرت كثيرًا.

كانت «يُسرًا» تجلس صامتةً أثناء تحدُّثها، وعندما أخبرتها «دينا» عن مرض والدتها، قالت لها:

- خلاص، حصل خير يا «دينا».. بس انتي فرّجتي عليّ الجامعة كلها.

- والنبي ما تزعلي بقي خلاص.. معلش بقي.

ثم توقفت «دينا» عن الكلام فجأةً، وبدأت تبكي، وبعد لحظات ربتت «يُسرًا» على كتفها، وهي تقول:

- خلاص يا «دينا»، حصل خير.. أنا مش زعلانة، خلاص.. تعالي نروح نشرب حاجة طيب.. خلاص بقي ماتعيطيش.

جذبتها «يُسرًا» من يدها، وأجلستها على إحدى الدكّ الخشبية القريبة من المقصف التي اعتدن تناول المشروبات

منه، ثم تركتها هناك، وذهبت لشراء كوبين من العصير، ثم جلستا تتناولانهما معًا.

بدأت علاقة الفتاتين تتحسن بعد ذلك شيئًا فشيئًا، وكانتا تجلسان معًا بطريقة شبه دائمة، إما بمفردهما، وإما برفقة زميلاتهما الأخريات، تتناولان المشروبات الدافئة والعصائر التي حرصت «يُسرا» على شرائها بمالها الخاص أغلب المرات حتى تتجنب أعين زملائها وتفكيرهم في كونها الفتاة الثرية، عملاً بالمثل الشائع «أطعم الفم تستحي العين»، كما أخبرت «يوسف» عندما سألها عن سر تلك الصداقة غير المتوقعة، وكرمها الزائد مع صديقاتها، ثم تابعت «يُسرا» قائلة:

- بص، هما أصلًا مركزين أوي معايا، ودا من زمان على فكرة، والموضوع مش ناقص يعني.

- مركزين أزاى بقى؟

- يعني كل شوية بقى يقولوا كلام كدا في النص: انتي ساكنة في الزمالك.. عربيتك حلوة أوي.. هي نوعها إيه؟ يعني كلام كدا كتير بقى.. فقلت أبقى أعزمهم بقى وأظبطهم عشان ينسوني شوية.. وكلها كام شهر والسنة تخلص يعني.. وبعد كدا خلاص.. وبعدين «دينا» جاتلي أصلًا، واتأسفت أكثر من مرة، وقعدت تعيط.. وهي أصلًا مامتها تعبانة أوي الفترة دي.. وهي متعلقة ومتأثرة بيها جدًا.. والست شكلها هتموت

قريب، ربنا يستر.

زادت تصرفات «يُسرًا» تجاه منافستها الأولى في الارتباط بـ«يوسف»، من احترامه لها وإعجابه بشخصيتها أكثر من ذي قبل، وبعد عدّة أيام من تلك المشاجرة النسائية، توفيت والدّة «دينا»، ومكثت «دينا» في منزلها لمدة أسبوع كامل، قبل أن تبدأ بالظهور مجددًا.

عندما انتظمت «دينا» في ذهابها إلى الجامعة مرة ثانية، شعرت «يُسرًا» بأن تلك الفتاة العنيدة ستعود إلى سابق عهدها، وتبدأ مجددًا في محاولات لاستقطاب «يوسف»، فتتوتر علاقتهما مجددًا، وربما يتكرر حدوث ما فعلته «دينا» بها من اعتداء قبل أن ينتهي العام الأخير بسلام، وتذهب كل فتاة في سبيلها، فبدأت «يُسرًا» بتوطيد علاقتها بها أكثر وأكثر، وكانت تجلس بصحبتها كل يوم داخل الجامعة في أغلب الأوقات، تتحدثان وتتناولان الأطعمة الخفيفة والمشروبات معًا.

على الرغم من ذلك، فقد ساءت الحالة النفسية الخاصّة بـ«دينا» في ذلك الوقت بشدة، وتغيّر سلوكها، وأصبحت أكثر انطوائية، وبدأت تجلس بمفردها أغلب الوقت، وبدأت زميلاتها في إهمالها شيئًا فشيئًا، وتجنّب الجلوس معها؛ نظرًا لصمتها الدائم وتصرفاتها الغريبة أحيانًا التي قد تصل إلى

حد الجنون، فكانت عندما تتحدث تتفوّه بكلام غير مفهوم أحيانًا، وغير واقعي أحيانًا أخرى، وكأنها امرأة مسنة أصيبت بالخرف، وبدأ عقلها بالذهاب في طريق مظلم بلا عودة، ولم تؤنس وحدتها خلال ذلك الوقت إلا رفيقتها الحالية «يُسرا».

أما عن علاقتها بـ«يوسف»، فبدأ حالها يميل إلى الهدوء أكثر تجاهه، وقلّت محاولاتها للتقرب منه منذ ذلك الوقت، ولكن من أعماقها كان قلبها لا يزال ينبض باسمه في جميع الأوقات.

مرّت السنة الأخيرة في الجامعة على «يوسف» و«يُسرا» بسرعة غير متوقّعة، وتخرّجا في الجامعة بتقدير مرتفع، بينما علقت «دينا» في سنتها الأخيرة، وبعد التخرج مباشرة سعى «يوسف» إلى البحث عن شركة مناسبة للعمل في مجال الحاسب الآلي، وبعد أشهر قليلة استطاع أن يعمل في إحدى الشركات الكبرى بعد أن تدرب بها مدة وجيزة، وأثبت جدية ملحوظة في العمل هناك.

وذات يوم، أفصح لـ«يُسرا» عن رغبته في مقابلة والديها، أو على الأقل أحدهما في الوقت الحالي، تمهيدًا لخطبتها، فوعده بترتيب لقاء معهما في أقرب وقت.

كان المهندس «شريف سليمان»، والد «يُسرا»، يعمل لسنوات طوال بإحدى دول الخليج العربي في واحدة من

كبريات شركات البترول العالمية، واستطاع أن يجني ثروة طائلة من عمله هناك، قبل أن يقرر عودته بلا رجعة منذ بضع سنوات إلى أحضان عائلته في مصر، فاشترى شقة «الزمالك» كما بنى فيلاً خاصّة بحديقة كبيرة لأبنائه في حي «الشيخ زايد»، وكان رجلًا ستينيًا، لديه صلعة لامعة مميزة، وملامح جذابة على الرغم من تقدمه في العمر.

كانت «يُسرًا» تشبه أباه كثيرًا في ملامحه، حتى إنه كان يسهل على أي شخص ملاحظة ذلك منذ الوهلة الأولى، وإلى جانب أنها كانت أول فرحته، فكان يعدها أيضًا «فاتحة الخير»، حيث إنه التحق بالعمل في تلك الشركة الكبيرة بعد أن أنجبها مباشرة، وبالتالي كان يحبها بشدة، ولا يرفض لها أي طلب.

وبالتالي حينما أخبرته «يُسرًا» عن «يوسف»، وعن نيته لمقابلته، والتقدّم لخطبتها، وافق على الفور، على الرغم من صغر سنه، وبعد يومين ذهب «يوسف» إلى منزل أسرتها بمفرده حتى يتعرّف إلى والديها، وأخبرهما عن رغبته بالزواج بابنتهما، وحكى لهما عن ظروفه وعن والده الذي يعمل موظفًا من الدرجة الأولى في إحدى الجهات الحكومية آنذاك، وأنه شخص ملتزم بشدة في عمله، ويتميز بحسن سيرته وأمانته بين زملائه ومديره، وقد تزوج بوالدة

«يوسف»، ولم يُرزقا بأبناء غيره، وأفنيا حياتهما في تربيته، حتى أصبح مهندسًا ناجحًا، كما أخبرهما بأنه يقيم مع أسرته في حي «الهرم» في ذلك الوقت، وأنه قد يسكن مع زوجته حال موافقتهما على تلك الزيجة في شقة إيجار بعض الوقت حتى يستطيع شراء شقة خاصّة بعد ذلك مع مرور الوقت.

لم يَزُق «يوسف» وما قاله لوالدة «يُسرًا»؛ فقد كانت «فريدة المنصوري»، التي أتمّت عامها الرابع والخمسين منذ بضعة أيام فقط، قد تزوّجت بالمهندس المبتدئ «شريف سليمان» منذ سنوات طويلة، بعد أن تركت منزل أبيها المليونير «المنصوري بك»، وبدأت مع زوجها حياة متواضعة صعبة في البداية، وأفنت أغلب شبابها في تربية بنتيها في أثناء وجود زوجها خارج البلاد، إلى أن أصبح الزوج هو الآخر من طبقة الأثرياء، وعاد إلى بلده، ولكن في تلك المرحلة الزمنية لم تسلم هي من تذوّق مرارة العيش بمفردها في ظل المستوى المادي المتواضع حينها، ولذلك لم تُرد لابنتها أن تخوض تجربتها مجددًا.

لم تكن علاقة «فريدة» بابنتها الكبرى جيدة في المطلق، وكانت تختلف معها كثيرًا، حتى إن لم يستدع الأمر ذلك، وبعد أن غادر «يوسف» منزلها، تشاجرت معها بسبب عدم ثقتها بِنِيّة ذلك الشاب، وظلت تلومها على اختيارها غير

المتناسب معها ومع المستوى الاجتماعي والمادي لأسرتها
قائلة:

- انتي جايبالنا واحد مش لاقى ياكل، وتقوليلي عريس؟!
- إيه يا ماما اللي انتي بتقوليه دا؟! «يوسف» مهندس
طموح وشاطر جدًا على فكرة.. وهتشوفي هينجح ازاي في
شغله، وهيبقى واحد تاني.. وبعدين أنا مش هاتجوز أهله.. أنا
هاتجوزه هو.

- هو إيه اللي مش هتتجوزي أهله؟ مش لازم تنقي النسب
اللي هتناسبه انتي وعيلتك، ولا هو جواز والسلام؟ وبعدين
انتى إيه اللي عرّفك إنه مش باصص على فلوس باباكي؟
وبعدين هتتجوزيه فين يعني؟ وهتعلمي الفرحة فين؟ دا
منظر واحد معاه فلوس يعملك فرح كويس؟ ولا انتى عايزة
صحابك يتريقوا عليكى؟

- ما هو قالك يا ماما هناعجر شقة مؤقتًا.. ولو على الفرحة،
أنا اتفقت معاه إنه هناعجر قاعة في مكان مش غالي.. أو
ممكن أعمل كتب كتاب بس، ونعمل «أوتينج» (outing) في
مكان كويس وخلّاص عشان يوفر فلوس السفر لتايلاند..
وأنا هاجيب «ويدينج بلانر» (wedding planner) كويس
يظبط المكان على حسابي.. بس انتى وافقى بس الأول.

تعالَت صرخات الفتاة في وجه والدتها معترضةً على كلامها التي تراه غير منطقي من وجهة نظرها، وتشبّثت والدتها برأيها كذلك، أما والدها فقد اكتفى بالصمت الذي يوحي بعدم رضاه عن تلك الزيجة، ولكنه لم يُرد أن يكسر بخاطر ابنته.

ظلت الأمور متوتّرة لمدة بين «يُسرا» ووالدتها، حتى بدأت في التحسّن رويدًا رويدًا، بعد أن انتقل «يوسف» للعمل بإحدى شركات الحاسب الآلي العالميّة، وبالتالي تحسّن دخله المادي، واشترى سيارة «هيونداي» بنظام التقسيط من راتبه، وبعد ضغط من والد «يُسرا» على زوجته بإعطاء الشاب الفرصة إرضاءً لرغبة ابنته، اضطرت «فريدة» لإعادة تفكيرها في تلك الخطبة مرة أخرى، ووافقت على مقابلة والدي العريس.

ذهب «يوسف» إلى منزل «يُسرا» مرّة أخرى بعدها بثلاثة أشهر، واصطحب والديه معه تلك المرّة حتى يتقدم رسميًا لخطبة الفتاة في حضور الكبار، وعلى الرغم من استعداد أسرته جيّدًا لتلك الزيارة، وارتدائهم أثمن وأفضل ما يمتلكونه من ملابس، فإنّ والد «يُسرا» استاءت كثيرًا من مظهرهم، ومكثت ترمقهم بنظرات الضيق والاشمئزاز طوال زيارتهم، ومع ذلك في نهاية الزيارة وافق والد «يُسرا» على

الأمر بصورة مبدئية إرضاء لابنته التي كانت مُصرّةً بشدة على زواجها بـ«يوسف»، وقرأ الجميع الفاتحة وسط سعادة عارمة من قبل العريس والعروس.

بالتأكيد، كان من الصعب على أسرتين كهاتين أن تتوافقا معًا لولا رغبة ابنيهما المُلحة في الزواج، التي انتصرت مؤخرًا بعد صراع طويل، فمع مرور الوقت اضطرَّ والدا «يُسرًا» إلى الرضوخ لرغبتها، ووافقا على إتمام زواجها بـ«يوسف»، على الرغم من تلك الفوارق بينهما، وحدّدا موعد زفافهما، لكنهما لم يتوقعا لحظةً أن تكون تلك هي بداية النهاية لابنتهما.



الفصل الثالث

داخل قسم الشرطة، وفي إحدى الغرف الواسعة ذات الجدران المغطاة بورق حائط بُني أشبه بالحجر، الخالية من أي شيء سوى بعض المقاعد المعدنية المبطنّة بالجلد الأسود التي تتراص على جانبي الغرفة، لا يخرج منها صوت إلا صوت التّحيب، وأسفل إضاءة صفراء خافتة، وسقف ظلّي حديثًا، كان يجلس جميع أفراد الأسرتين وجهًا لوجه بحزن وحسرة شديدين، يتبادلون نظرات الشك والغضب فيما بينهم، خصوصًا أم العروس التي كانت تجلس واجمة مسلطة بصرها إلى وجه «يوسف» بغيظ شديد دون أن تتحدّث.

كان يجلس بضحبتهم اثنان من أفراد الشرطة كي يتأكّدوا من عدم وجود أي أحاديث جانبية بين أفراد العائلتين قبل الانتهاء من التحقيق معهم، وربما لينقلوا ما سمعوه أيضًا من حديث مسموع واتهامات إلى الرائد «عاصم» بعد ذلك.

بعد أن انتهى الضابط من مناقشة مسؤول أمن الفندق وموظف الاستقبال، واحدًا تلو الآخر، خرج أحد المجندين ونادى على «يوسف»، وطلب منه الدخول إلى مكتب الرائد «عاصم»، فدلف الأخير إلى الداخل بخطوات بائسة، ثم خرج المجنّد، وأغلق الباب خلفه بعد ذلك.

أشار الضابط إلى «يوسف» بالجلوس على المقعد المجاور لمكتبه الخشبي حينما كان يجلس خلفه لبدء التحقيق، وكان يضع أمامه بعض الأوراق، فجلس «يوسف» في المقعد المشار إليه وهو يبكي بحرارة.

كان «عاصم» حينئذٍ في السادسة والثلاثين من عُمره، متوسط الطول، ذا بشرة بيضاء، وأنف طويل بارز، وعينين بنيتين تلمعان أسفل نظارة طبية مربعة الإطار، يحلق شعر رأسه تمامًا ليخفي صلته التي زادت أكثر في الآونة الأخيرة، ومع تلك الملامح كان يبدو أصغر من عمره ربما بعشر سنوات على الأقل، فعندما تراه للوهلة الأولى ربما تظن أنه طبيبٌ جامعي، وليس ضابط شرطة على الإطلاق، وإلى جانب طباعه الهادئة، كان على قدرٍ عالٍ من الذكاء، ولديه قدرة كبيرة على استيعاب الأمور، ما جعله من أمهر الضباط في مجال البحث الجنائي.

لم يستطع الضابط معرفة أي شيء من زوج القتيلة عمّا حدث لها؛ لبكاء الزوج وانتهياره الشديد خلال وجودهما في فناء الفندق قبل قليل، فقرر أن يؤجل سؤاله إلى أن يصل إلى القسم؛ حتى يهدأ الزوج قليلًا، ويستطيع التحدّث، وبعد أن جلس «يوسف» بجوار المكتب، نظر إليه الضابط بعينين متفحصتين، وظل صامتًا قليلًا يتأمل بكاءه، ثم قال:

- البقاء لله يا أستاذ «يوسف».. أنا عارف إن الموضوع مش سهل عليك.. الله يكون في عونك.. بسّ معلش أنا عايزك تهذا، وتتمالك أعصابك شوية.. عشان تقدر تحكي لي كدا بسّ إيه اللي حصل بالضبط من ساعة ما الفرع خلص وطلعت أوضتك.. ولحد ما فوقت ولقيتنا موجودين في الأوضة.

سكت «عاصم» مجددًا حينما ازداد نحيب «يوسف»، ثم نظر بجواره، ومد يده والتقط بعض المناديل الورقية من على مكتبه، وناولها «يوسف» حتى يجفف دموعه، ثم استطرد:

- اهدا بسّ، اهدا عشان نعرف نتكلم.. أنا عايز بسّ ألفت نظرك، قبل ما تبتدي، إنك لازم تحكي لي كل التفاصيل بحذافيرها.. حتى لو انت شايف إن فيه تفصيلا معينة مش مهمة من وجهة نظرك.. لأنها ممكن تكون مهمة من وجهة نظرنا احنا.. ودا طبعا عشان نقدر إن شاء الله نقبض على اللي عمل كدا.

مسح «يوسف» دموعه بعد لحظات، ونظر حوله إلى جميع الموجودين في غرفة مكتب الضابط، وكانت الغرفة واسعة، وذات هيئة كبيرة، بها مكتب خشبي كبير تعلوه أحد الحواسيب الآلية وبعض الأوراق والأقلام المرتبة داخل حافظة معدنية على أحد جانبي المكتب، فضلاً عن علبة

المناديل الورقية في الناحية الأخرى، ولافتة معدنية عريضة في مقدمة المكتب من المنتصف، محفور عليها اسم الضابط.

كان الرائد «عاصم» يجلس على مقعد من الجلد، وكان مُعلقًا على الحائط خلفه بعض الصور التذكارية له وهو يصافح بعض قياداته، وبجوارها بعض شهادات التقدير داخل براويز ذهبية اللون، وأمام المكتب كان يوجد مقعدان من الخشب المبطن يجلس «يوسف» على أحدهما، تليهما أريكة معدنية فضية مبطنة بالجلد الأسود، وفي مواجهتها بعض المقاعد على شاكلتها نفسها أيضًا، تتوسطها منضدة معدنية متوسطة الحجم. أما عن الجهة المقابلة لمكتب الضابط فكانت هناك شاشة تلفاز كبيرة معلقة على الحائط، وخزانة معدنية متوسطة الحجم في الركن المجاور لها.

كان هناك رجلان آخران يرتديان الملابس المدنية بداخل الغرفة، بدا أنهما من رجال المباحث أيضًا، وكانا يجلسان على الأريكة سالفة الذكر، مسلمطين بصرهم إلى وجه «يوسف» بترقب شديد.

التفت «يوسف» بعينه إلى الرائد «عاصم» مرّة أخرى، وبدأ في التحدث بصوت منبوح متقطع، بعد أن مسح دموعه، وتنهد بعمق:

- بعد ما خلص الفرع.. رُحنا أنا و«يُسرا» لغرفتنا رقم ١٠٩

اللي في الدور الأرضي زي ما انتو شوفتوها كدا.. وكنا مبسوطين جدّا، لدرجة إني كنت حاسس إني باحلم.. بسّ مش عارف ليه كنت خايف دايمًا إن الحلم دا ينتهي.. وللأسف انتهى فعلاً أسرع مما توقعت.

امتعض وجه «يوسف» مجدّدًا، وسالت قطرتان من دموعه على خدّيه، فمسحهما بأصابعه، ثم استطرد:

- فتحت باب الغرفة.. ودخلت أنا و«يُسرا» جُؤًا، وقفلت الباب.. و«يُسرا» قعدت على الكرسي اللي قُدّام التسريحة.. وشالت التاج اللي كانت لابساه على راسها وحطته قدامها.. وقعدت أنا على حرف السرير.. وقلعت الجزمة والشراب، ولبست شبشبى.. وبعدين بصيت عليها وابتسمتلها وقلتلها...

واستطرد «يوسف» يتذكر ما حدث:

- والله العظيم أنا ما مصدق إن احنا خلاص اتجوزنا وهنبقى مع بعض.

قام «يوسف» من الفراش واقترب من زوجته وطبع قُبلة دافئة على رأسها، ثم قال:

- أنا هادخل بسّ الحَمّام كدا آخد دش.. أحسن انتي عارفة أنا باعرق جامد من أقل حاجة.. وطبعًا إحنا اتهرينا رقص.. وبعدين بطني بتوجعني شويّة مش عارف ليه.

ثم ابتسم ودلف إلى الحَمَّام، بينما كانت تقول زوجته:

- ماشي يا حبيبي، يلاً روح، بسّ ماتتأخرش أحسن تخرج
تلاقيني نمت!

ثم أكمل «يوسف» حديثه مع الضابط:

- دخلت أنا الحَمَّام بعدها.. قفلت الباب، وقلعت هدومي،
وبعدين فتحت حنفية الدش السخنة.. وقعدت على لا
مؤاخدة الحَمَّام يعني واستنيت لحد ما الميّه تسخن.. وبعد
شويّة سمعت صوت «يُسرا» وهي بتقول باستغراب: إيه
دا؟! بسّ، وما سمعتش أي حاجة بعد كدا.. وماكانش فيه
أي صوت.. فقلت دي شكلها نسيت أي حاجة من حاجاتها
اللي كانت المفروض تاخذها معاها كالعادة يعني.. وقالت
كدا عشان بتلوم نفسها على اللي نسيته.. خلصت الحَمَّام
بعد ١٠ دقائق أو ربع ساعة تقريبًا وخرجت.. فلقيتها نايمة
على السرير على جنبها الشمال.. ومتغطية لحد نص راسها
وضهرها ليّ.. فقلت دي أكيد عاملة إنها نامت.. وبتعمل مقلب
من مقابلها اللي كانت متعودة تعملهم معايا.

تحشرج صوت «يوسف» فجأة، ودمعت عيناه مجدداً وهو
يقول بصوت متهدج:

- كان دمها خفيف أوي.. كانت بتحب الهزار والضحك
دايمًا.. مش قادر أتخيل مين اللي عمل فيها كدا بس.. وليه
عمل كدا أصلًا! أستغفر الله العظيم يا رب.

ثم أجهش «يوسف» بالبكاء مرة أخرى، فناوله الضابط
بعضًا من المناديل الورقية مجددًا، وطلب منه أن يكمل
حديثه، فاستطرد «يوسف» يتذكر ما حدث:

- ندهت عليها: «سوسووو».. يا «سوسوو».. «يُسرًا»..

بس ماردتش للأسف.. فقرّبت منها، وقعدت جنبها على
السريّر من ناحية ظهرها، وخطيت إيدي على كتفها فوق
الغطاء.. وفضلت أهزها بالرّاحة كدا وأنا بانادي عليها عشان
تصحى.. دا لو كانت نامت بجد يعني.. بس للأسف، ولا
صحيت، ولا ردّت عليّ! فخطيت إيدي على راسها عشان
أشوف حرارتها أحسن تكون تعبانة.. فوجئت إن جسمها كان
بارد شويّة.. فشدتها لورا بالرّاحة.. وحاولت إنني أرفع ظهرها
بإيدي وأقعدّها على السريّر.. فغطا السريّر اتزحلق من عليها
ووقع لتحت.. وشوفت أبشع منظر شوفته في حياتي.. كان
فيه سكيّنة كبيرة داخلة جُؤا قلبها.. وفستانها من قُدّام
وملاية السريّر غرقانين دم.. فطبّعًا اتفزعت من المنظر..
وقعدت أترعش، واتسمّرت في مكاني لثواني، وماكنتش
عارف أعمل إيه.. وبعدين أقعدت أصرخ وأنده على أي

حد عشان ييجي يلحقنا.. وبعدها حاولت أتمالك أعصابي،
واتصلت بصالة الفندق وقتلتهم يبعثولي دكتور أو إسعاف
بسرعة لأن مراتي بتموت، أو ماتت، ماكنتش قادر أحد
ساعتها.. وبعدها على طول حسيت إنني دايخ، وعرقت جامد،
وماحستش بحاجة بعدها.. وغالبًا كدا أغمى عليّ.. وبعدها
صحيت لقيت نفسي جُؤًا عربية الإسعاف.

كان هناك أحد الشرطيين يجلس عن يمين الضابط، يدوّن
كل الأشياء التي يقولها «يوسف»، أما الضابط فكان يدوّن
بعض الملاحظات وبعض النقاط المهمة فقط من حديثه في
دفتر صغير أمامه، وبعد أن انتهى «يوسف» من الحديث،
ألقى عليه الضابط عدّة أسئلة قائلاً:

- انت اتعرّفت على «يُسرّا» إمتى يا أستاذ «يوسف»؟

تنهّد «يوسف» بعمق، وهزّ رأسه متحسّرًا على تلك السنوات
التي ضاعت هباءً، ثم أجاب بحزن:

- من حوالي ٨ سنين تقريبًا.. من ساعة ما دخلنا الجامعة.

- وإيه كان نوع العلاقة اللي بينكم من ساعة ما اتعرّفتكم
على بعض؟

- في البداية كانت زمالة عادية.. وعلى آخر السنة كان فيه
إعجاب من الناحيتين.. وبعدين الموضوع اتطوّر في السنة

التانية، وحبينا بعض.

- لا، مش قصدي كدا.. اللي قصدي أقوله: هل العلاقة كانت مجرد حب بريء يعني.. ولّا حصل حاجة أكثر من كدا؟

انزعج «يوسف» من ذلك السؤال الذي اعتبره فظًا وغير لائق، فأجابه بحدة والدموع في عينيه:

- لا، أكيد كانت علاقة بريئة طبعًا بين اتنين بيحبوا بعض يعني.. ومش أكثر من كدا.. والحمد لله أنا و«يُسرًا»، الله يرحمها، كنا نعرف ربنا كويس.. ولا حد فينا كان يرضى إنه يعمل حاجة تغضب ربنا.

تنهّد الضابط ببطء، وأوماً برأسه، ثم أكمل:

- طيب، هو كان فيه مشاكل أو خلافات بين «يُسرًا» أو بينك انت وبين أي حد ثاني تكون شاكك إنه ممكن يكون ليه يد في اللي حصل دا؟

- مشاكل؟ لا ماعتقدش.. مافتكرش إن يكون فيه أي حد أعرفه ممكن يعمل كدا أصلًا.

- يعني انت مابتتهمش أو مابتشكش في حد معين؟

- للأسف لأ.. وعمري ما تخيلت أصلًا إن ممكن حاجة زي دي تحصل أصلًا لبنت طيبة زي «يُسرًا».

همهم أحد الضباط الجالسين على الأريكة المعدنية في أذن زميله الجالس بجواره قائلاً:

- كلهم سيكونوا فاكرين كدا في الأول!

فرمقه «عاصم» بطرف عينيه، ثم نظر إلى «يوسف» مرّة أخرى، وقال له:

- طيب هي المجني عليها كانت بتعاني من أي اضطراب نفسي أو عقلي مثلاً؟

- لأ طبعًا، «يُسرّا» كانت أعقل مني ومن أي حد.. وكانت صحتها كويسة وعاشة حياة طبيعية جدًا!

- طيب، انت فاكر انتو دخلتوا الأوضة إمتى بالضبط؟

- آه فاكر؛ عشان بصيت في الساعة ساعتها.. وأنا فاكر إنها كانت واحدة ونص بالليل.

- انت خرجت من قاعة الفرحة على الأوضة على طول؟ ولا عملت أي حاجة ما بينهم؟

- بعد ما خرجنا من القاعة سلّمنا على أهلنا، والمصور خدلنا كلنا صورة تذكارية أخيرة.. وبعدها دخلنا الأوضة على طول.

- كلكم اللي هما مين بقى؟

- والدي ووالدتي ووالد «يُسرًا» ووالدتها...

سكت «يوسف» لحظات قليلة يتذكر، ثم أردف:

- و«ليلى» و... وبس كدا.. العيلتين يعني كلهم.

أوماً الضابط برأسه وهو يدوّن بعض الملاحظات، ثم استطرد قائلاً:

- طيب، بص يا أستاذ «يوسف».. معلش حاول تستحملني شويّة.. أنا هاسألك شويّة أسئلة شخصية ممكن تكون محرّجة شويتين يعني.. ومش عايزك تتضايق.. عشان هي أسئلة مهمة، ولازم أعرف إجابتها.

نظر «يوسف» بجانب عينيه إلى الضابطين الآخرين الجالسين على الأريكة بحرج، ثم قام بحركة لا إرادية بيده تدل على قلة حيلته، وأنه مُجبر على الموافقة، وهو يضغط على أسنانه بشدة، ثم قال بحق:

- اتفضل حضرتك.

لاحظ «عاصم» ذلك الحرج الذي يتحدّث به «يوسف»، فغمز بعينه إلى زميله من الضباط، فقاما من مقاعدهما، وأخبره أحدهما أنهما سيتوجّهان إلى مكتبهما ليفحصا بعض الأمور الأخرى، ثم خرجا من الغرفة، وأغلقا الباب خلفهما،

ولم يتبقَّ في الغرفة سوى «يوسف» و«عاصم» ومساعدته الذي لم يترك القلم من يده، ولم يلتفت إلى أحد موجهًا نظره إلى الورقة التي كان يدوّن بها طوال الوقت وكأنه لا يأبه لما يحدث حوله، ثم قال «عاصم» لـ«يوسف»:

- هو انت كتبت الكتاب إمتى؟ النهارده ولا قبل الفرحة؟

- لأ، النهارده.

- طيب، يعني دا معناه إن ماحصلش علاقة بينك وبين مراتك؟

- لأ ماحصلش طبقًا.. ما أنا حكيتك على اللي حصل (قالها «يوسف» بغضب مكتوم).

- يعني المجني عليها لسه عذراء؟

- أيوه يا باشا.. عذراء أكيد.

- طيب هو انت كان ليك علاقات نسائية تانية يا «يوسف»؟! اتشاقيت قبل الجواز يعني بمعنى أصح؟

سكت «يوسف» قليلًا، ونظر إلى الأسفل، ثم قال بحرج:

- شويّة يعني.. بس دا كان من سنين طويلة.. وقبل ما أرتبط بـ«يسرا» رسمي.

- طب وإيه كان نوع العلاقات دي؟ يعني وصلت لإيه بالظبط؟

- كانت علاقات عابرة يعني.. زي ما شباب كتير في سني كانوا بيعملوا.

قَطَّب «عاصم» جبينه وهو ينظر إلى «يوسف»، وقال له محاولاً الفهم:

- يعني زي ما شباب كتير بتعمل اللي هو إيه يعني مش فاهم؟

- يا فندم، يعني خروجات وفُسح.. كدا يعني.

- بسّ كدا؟ خروجات بسّ؟ ولّا كان فيه أكثر من كدا؟

أجاب «يوسف» مسرعاً:

- لأ، كانت خروجات بسّ.. أنا الحمد لله عمري ما عملت حاجة غلط مع أي واحدة.

نظر «عاصم» إلى «يوسف» نظرة طويلة، ثم قال:

- وكل العلاقات كانت عابرة يعني كدا؟ مفيش حاجة طولت شويّة؟

تنهّد «يوسف» بعمق، وبدأ أنه قد تذكر شيئاً، ثم استطرد:

- هو كان فيه علاقة فيهم طوّلت شويّة يعني.. بسّ هي كانت علاقة حب من طرف واحد.. من ناحيتها هي بسّ.. لكن أنا لأ.. أنا كنت باعتبارها زميلة عادية مش أكثر من كدا.

- دي كانت زميلتكو في الجامعة؟

- أيوه.

- طب وكانت أخبارها إيه مع المجني عليها؟

- هما بصراحة علاقتهم ماكانتش كويسة في الأول.. وفي آخر سنة اتحسنت العلاقة شويّة.. بسّ هي البنت دي كانت شخصيتها غريبة شويّة.. وكنت باحس إنها مش طبيعية يعني.. والموضوع دا زاد معاها أكثر بعد ما مامتها اتوفت في آخر سنة في الكلية.

اعتدل «عاصم» في مقعده، وأراح ظهره إلى الخلف، وضافت حدقتا عينيه وهو يتساءل قائلاً:

- مش طبيعية ازاي بقى؟ يعني بتعمل إيه؟

- يعني.. هي كانت بتعمل حاجات غريبة.. وكانت جريئة أوي بصراحة زيادة عن اللزوم.. يعني مرة واحنا في الكلية اتخانقت مع «يُسرًا»، وجابتها من شعرها وقّعتها في الأرض.. ومرة تانية بعد ما اتخرّجت بكام شهر جاتلي البيت وخبطت

على الباب.. ووالدتي فتحت لها واستقبلتها.. وقعدت مع أمي
تحكيها.

تذكر «يوسف» المشهد..

- ازيك يا طنط.. عاملة إيه يا حبيبة قلبي؟

- أهلاً يا بنتي، ازيك.. اتفضلي يا حبيبتي، اتفضلي.

- شكرًا يا طنط.

- انتي بقى زميلة «يوسف» ابني في الهندسة، مش كدا؟

- أيوه يا طنط زميلته.. لأ، بصراحة أنا مش زميلته بس..

هو اللي معتبرني زميلته يعني، لكن أنا لأ.. أصل أنا بصراحة
باحب ابنك أوي يا طنط، ونفسي أتجوزه بقى.

- ههههه.. يا حبيبتي يا بنتي.. دانتى باين عليكى طيبة

أوي.. طب قوليلي.. هو عارف الكلام دا؟

- أيوه يا طنط عارف.. عارف، وعامل فيها مش عارف.. بس

أنا مش هاسيبه.. أنا هاتجوزه يعني هاتجوزه.. بصراحة ابنك
أمور أوي يا طنط.. شبه «جورج كلوني» بالضبط.

- مين «كولوبي» دا يا...؟ ألا صحيح، انتي اسمك إيه يا

حبيبتي؟

- اسمي «دينا» يا طنط.. وقوليلي يا «دندن» يا طنط يا قمر
انتي يا عسل.

- ههههه.. دا انتي كمان دمك خفيف أوي يا «دينا».. وأنا
حببتك أوي والله.. طيب بصي، هاقولك على حاجة.. أنا
هاتكلم معاه، وإن شاء الله هاجوزك الواد دا، ماتقلقيش.

- بجد يا طنط؟ بجد؟!

- أيوه بجد، أمال إيه؟ دا أنا أمه اللي مالوش غيرها.. لازم
يسمع كلامي الواد «كولوبي» دا.. ولا قلتي اسمه إيه؟ ههههه.

- «كولوني» يا طنط، «كولوني» يا قمر انت.

- «كوبوني».. «كوبووني».. برضو هيسمع كلامي إن شالله
يكون «شون ترابولتو».

- ههههه، والله انتي أم عسل.. خلاص اتفقنا.. أسيبك أنا
دلوقتي.. أحسن ييجي على غفلة، ويلاقيني هنا.. أحسن دا
عصبي أوي، وأنا عارفاه.. باي باي يا عسل.

- ههههه، باي باي يا حبيبتتي، باي باي.. لذيذة أوي البنت دي..
أنا مش عارفة إيه اللي عاجبه في الناس التانيين العليوي
دول!

ثم عاد «يوسف» للحديث مع الضابط مجددًا:

- وبعدين مشيت.. وبعد ما رجعت أنا البيت.. أمي حكت لي على اللي حصل.. وقعدت تقنعني إني أتجوزها.. وإنها طيبة وكدا.. وأنا طبعًا رفضت.

- بس كدا؟ والموضوع خلص بعدها؟

- لأ، ماخلصش.. هو دا كان موقف من المواقف.. وفي يوم ثاني «دينا» فاجئتني وجتلي الشركة اللي كنت باشتغل فيها.. وكان الموضوع زايد معاها شويتين.. وكانت ماسكة موس في إيديها.

- موووس؟! (قالها الضابط بدهشة).

- أيوه، موس.

أخرج «عاصم» لفافة تبغ من علبته المعدنية، وأشعلها وهو يستمع إلى «يوسف» باهتمام، فاستطرد «يوسف» متذكرًا ذلك المشهد:

- «دينا»؟!!

- آه «دينا» يا «يوسف».. «دينا» اللي انت منفضلها ومابتردش على تليفوناتها.

- إيه يا «دينا» اللي انتي بتعمليه دا؟ اهدي.. مايصحش اللي بتعمليه دا.. هي وصلت لكدا؟! (قالها «يوسف» بشيء

من الغضب الحذر).

- انت لسه شوفت حاجة؟ دا أنا لسه هاوريك شويّة حركات
هتعجبك أوي لو ماتجوزتنيش يا «يوسف».. لأ دا انت
ماتعرفنيش.

- واضح.. واضح إني ماعرفكيش فعلاً.. استهدي بالله بس
يا «دينا» وارمي البتاع اللي في إيدك دا ورّوح دلوقتي وأنا
هابقى أكلّمك في التليفون.

- لأ مش ماشية.. ولو ماتجوزتنيش دلوقتي هاقطع
شراييني، وهاعملك فضيحة في شغلك.

- لا حول ولا قوة إلا بالله! طب اهدي بس، اهدي، اهدي..
هاعملك اللي انتي عايزاه حاضر.. رّوح انتي بس دلوقتي..
وأنا هاخلص شغل وهاجيلك أخطبك من أبوكي النهارده.

- بجد يا «يوسف»؟ بجد؟

- آه طبعا يا حبيبتني، هي دي عايزة كلام؟! (قالها باستهزاء
لم تفهمه هي).

- الله! وكمان بتقوللي حبيبتني؟! خلاص ماشي، أنا مروّحة..
بس اوعى تكون بتضحك عليّ!

- لأ مش باضحك عليك، أنا هاخلص شغل بس، وأجيلك

على طول.

ثم عاد «يوسف» إلى الواقع داخل مكتب الضابط، وأكمل الحديث:

- بس.. وبعدين مشيت.. وطبعًا فرّجت عليّ الشركة كلها، وكانت هتعملي مشكلة كبيرة في الشغل ساعتها.. وكنت هاتطرد من الشركة اللي كان بقالي كتير باحاول أشتغل فيها.

- والكلام دا حصل إمتى بالضبط؟!

- من سنتين تقريبًا.

- طب وحصل منها أي حاجة بعدها، ولّا دا كان آخر موقف؟

- للأسف، مابطلتش تضايقني.. بس كان الموضوع مُقتصر على مكالمات كتير ورسايل على تليفوني.. ودا عشان أنا رحت لوالدها واشتكت له.. والراجل اعتذر لي وقاللي معلىش وكدا، واعذرها عشان هي مريضة ومحتاجة تتعالج.. وإنه حجزلها خلاص في مصحة نفسية.. ووعدني بأنه مش هيسمح بتكرار الموضوع دا بعد كدا.

دفس «عاصم» سيجارته المشتعلة في المطفأة التي أمامه قبل أن تحرق أصابعه من شدة تركيزه في حوارهِ مع

«يوسف»، ثم قال:

- مميم.. طب وآخر مرة كلمتك أو بعثتك رسالة كان
إمتى؟

- آخر مرة كانت من ٣ شهور تقريبًا.

- وما كنتش بتد عليا خالص؟

- رديت عليها آخر مرّة دي بس للأسف.. عشان هي اتصلت
بيّ ساعتها من رقم تاني غير رقمها.. وطبعًا أنا ما كنتش بارد
على رقمها خالص.

- طب ليه ما غيرتش رقمك وريحت نفسك من الموضوع
دا؟

- عملت كدا قبل كدا، واشتريت رقم جديد.. بس برضو
عرفته، وكلمتني.. وأكد أنا مش هينفع كل شويّة غير رقمي
عشان الموضوع دا بيضرني في شغلي؛ لأن رقمي مع عملا
كثير في الشغل.

- طب وهو حصل قبل كدا إنها ماتتصلش بيك لمدة كبيرة
زي دي؟

- عمرها ما عملتها.. وكنت مستغرب أوي من الموضوع دا،
وقلت يمكن ربنا هداها، وعقلت.. لأن أطول مدة ماتصلتش

فيها بيّ قبل كدا كانت أسبوع بالكثير.. لكن الطبيعي بتاعها إنها كانت بتتصل كل يومين أو ثلاثة.. بسّ أنا قلت يمكن عشان آخر مرّة رديت عليها وقُلتها كفاية بقى وإنها لازم تنساني بقى وتشوف حد غيري.. عشان أنا خلاص هاتجوز بعد ٣ شهور.

نظر الضابط إلى «يوسف» بدهشة، رافعًا حاجبيه، وتعجّب من صراحته الساذجة مع فتاة مضطربة كهذه، ومن أنه قد أخبرها بنفسه عن ميعاد زواجه، ثم سأله بتهكم:

- لا والله! طب وماقُلتهاش على المكان اللي هتتجوز فيه كمان؟!

أجابه «يوسف» بصوت مرتفع قليلًا، محاولًا إخفاء حرجه، بعد أن أدرك أنه قد ارتكب غلطة ليست هينة، :

- أكيد لأ يا باشا.. أنا مش غبي.. أنا بسّ كنت عايز أفهمها إني هاتجوز قريب.. عشان تسبيني في حالي بقى.. عشان كنت خلاص جبت آخري من مكالماتها اللي مابتبطلش.

نظر إليه «عاصم» باستهجان، ثم طلب منه أن يعطيه اسمها وعنوان منزلها، فأخبره «يوسف» أن اسمها «دينا فتح الباب»، وتقطن في حي منيل الروضة بالقاهرة، فدوّن الضابط اسمها على ورقة بيضاء بخط واضح، ووضع حوله

دائرة، ثم أكمل التحقيق :

- طيب، وبالنسبة لزوجتك.. ماكانش ليها علاقات قبل الجواز؟

انزعج «يوسف» من سؤال الضابط، وامتنعض وجهه بشدة، وكأنّ الضابط قد صفعه على وجهه فجأة، ثم أجاب بحدة وسرعة، قاطعًا حديثه قائلاً:

- لا، ماكانش ليها أي علاقات عاطفية طبعًا.. بس كانت مخطوبة رسمي بعلم والدها بابن واحد من صحابه.. ودا كان في أول سنة ليها في الكلية.. بس ماطوّلتش وفسخت الخطوبة دي بعد ما اتعرفنا على بعض في أجازة أولى كلية.

- طب وهي كانت بتحب خطيبها؟

- لا، ماكانتش بتحبه.. والدها هو اللي أجبرها إنها تتخطب له عشان أسرته كانت غنية جدًا.. كان مشروع جواز مصلحة يعني من الآخر.. وكان والده بيشتغل في نفس شركة البترول اللي بيشتغل فيها والد «يُسرا».. وهو اللي جابله الشغل في الشركة دي.. وكان يُعتبر الرئيس المباشر بتاعه هناك كمان.

- طب والشاب دا كان بيحبها، ولّا مصلحة برضو؟

- غالبًا الموضوع كان إعجاب بـسّ.. وماوصلش لمرحلة الحب يعني.

- طب وبعد ما فسخت الخطوبة.. الشاب دا محاولش يضايقها مثلاً بعدها؟

- هو حاول يكلمها أكثر من مرة على فترات؛ عشان كان عايز يرجعها، بـسّ هي ماديتوش فرصة.. والكلام دا كان بيحصل في خلال سنة أو اتنين من بعد ما فسخت الخطوبة.. وبعدين راح لحاله.

سكت الضابط للحظات يفكر، ثم ألقى على «يوسف» سؤالاً مباغتاً:

- هو.. انتو كنتوا ناويين تسكنوا فين بعد الجواز يا أستاذ «يوسف»؟

- كنا هنسكن في شقة في كومباوند اسمه «جرانادا» في حي الشيخ زايد.

- والشقة دي ملكك ولا إيجار ولا إيه؟

- لأ، هي كانت ملك «يُسرّا»، الله يرحمها.. والدها هو اللي اشتراها ليها من كذا سنة.

- مممم.. طب و«يُسرّا» كان عندها حساب في البنك، مش

ألقي الضابط عليه ذلك السؤال بطريقة عشوائية دون أن يعلم إجابته في حقيقة الأمر، لكنه أراد أن يضغط عليه قليلاً، فأجابه «يوسف» إجابة مباشرة:

- أيوه، عندها واحد فعلاً في البنك العربي اليوناني!

- تقدر تقولي الحساب دا كان فيه أدّ إيه؟

دُهِش «يوسف» من ذلك السؤال، وشعر ببعض التوتر والغضب في آنٍ واحدٍ، ثم قال:

- آه، أكيد أقدر.. بس أنا مش فاهم إيه علاقة السؤال دا باللي حصل لـ«يُسر»...

قاطع الضابط بوجه جامد ولهجة جادة محاولاً استفزازه:

- من فضلك يا أستاذ «يوسف»، جاوبني على السؤال دا.. ويا ريت ماتدخّش في شغلي.

هز «يوسف» رأسه اعتراضاً على ما قاله الضابط، ثم أجابه بحدة:

- فيه ٢ مليون جنيه يا «عاصم» بيه.

ابتسم الضابط، ونظر إليه بمكر في عينيه مباشرة للحظات

قبل أن يقول له:

- طب وانت متعصب ليه دلوقتي يا أستاذ «يوسف»؟!

- متعصب عشان أنا عارف إيه اللي بيدور في دماغ سعادتك.. وأنصحك إنك تطلع الفكرة دي من دماغك خالص..
عشان أنا كنت باحب «يُسر» جدًّا.. ولحد دلوقتي باحبها.

بهتت ابتسامة «عاصم» وهو يقول بهدوء:

- اهدا بس، اهدا.. مفيش حاجة بتدور في دماغي ولا حاجة.. أنا باعمل شغلي بس مش أكثر.. وعامَّة إحنا متشكرين، وتعبناك معلش النهارده يا أستاذ «يوسف».. تقدر تروح ترتاح دلوقتي.. وهنبقى نتصل بيك.. وأتمنى إن ربنا يصبرك إن شاء الله على اللي حصل.

هَبَّ «يوسف» واقفًا من مقعده، وتوجَّه ناحية الباب دون أن يتفوَّه بأي شيء آخر، وقبل أن يفتحه، أخبره «عاصم» - بصوته الرخيم الذي لا يتناسب مع ملامحه - بالألَّا يغادر القاهرة في هذه الأيام إلا للضرورة القصوى، وعليه أن يخبره مُسبقًا إذا اضطر إلى فعل ذلك، فالتفت إليه «يوسف»، وأومأ إليه برأسه بحزن، ثم فتح الباب وغادر المكتب.

دخل جميع أفراد أسرتي «يوسف» و«يُسر» واحدًا تلو الآخر إلى مكتب الضابط لاستكمال التحقيق، وكان

حديثهم جميعًا شبه متطابق، وأخبروا الضابط بأن كل أسرة قد غادرت الفندق بسيارة واحدة بعد أن توجه العريس والعروس إلى غرفتهما مباشرة، ولم يروا أي شيء مما حدث، وأن إدارة النادي قد اتصلت بكلتا العائلتين بعد أن وقعت الجريمة مباشرة، فعادوا إلى هناك مرة أخرى قبل أن يصلوا إلى منازلهم.

لم يكن هناك أي شيء لافت للانتباه في مناقشة الضابط مع أسرة القتيلة، ما عدا شيئًا واحدًا فقط، عندما أخبره والدها بأنه قبل أن يستقل سيارته الخاصة استعدادًا لمغادرة النادي، تحسّس جيب بنطاله، ولم يجد هاتفه المحمول، فترك زوجته وابنته في السيارة، وعاد إلى القاعة لبحث عنه، وقد تذكر في أثناء دخوله إليها أنه قد تركه على المقعد نفسه الذي كان يجلس عليه في أثناء الحفل، فذهب تجاهه مباشرة، والتقطه، ثم عاد إلى سيارته، وانطلق بها سريعًا عائدًا إلى منزله، ولم يستغرق الأمر سوى بضع دقائق، مضيفًا أن سيارته كانت في الشارع الموجود بجوار مدخل القاعة الخارجي في أحد الأماكن، الذي يبعد عنه بنحو خمسين مترًا، على حد قوله، وعندما واجه الضابط أم العروس وابنتها بما قاله «شريف»، أكدت كلامه أيضًا.

انصرف الجميع من القسم، وعادوا إلى منازلهم أخيرًا، بعد

أن قضوا النهار بأكمله في قسم الشرطة، ووعدهم «عاصم» بالقبض على الجاني قريبًا، وبعد قليل حضر أحد مساعدي «عاصم» ببعض التسجيلات التي فُرِّغَتْ من كاميرات المراقبة الخاصّة بالفندق والنادي، وبدأ «عاصم» بفحصها مع زملائه شيئًا فشيئًا بعد ذلك.

الفصل الرابع

استيقظ «يوسف» في مساء اليوم التالي لزفافه، بعد أن قضى نهاره بين البكاء والنوم المتقطع على صوت هاتفه المحمول الخاص، فنظر إلى شاشته بعينين ذابلتين نصف مفتوحتين، ليجد أن الاتصال يرد من هاتف «ليلي»، شقيقة القتيلة، فعدل من وضعه، ومسح على وجهه بيده، ثم أجاب بصوت بائس:

- أيوه يا «ليلي».

فأجابته «ليلي» بحزن شديد أشبه بالبكاء:

- أيوه يا «يوسف».. أخبارك إيه؟

فأجابها على مضض:

- ها قول إيه بس؟! الحمد لله على كل حال.. أنا في أسوأ حالة وصلتها في حياتي تقريبًا.. ومانمتش من امبارح.. طمنيني عليكي.. والدك ووالدتك عاملين إيه؟

تحشرج صوتها، وبدت وكأنها ستبدأ في نوبة بكاء جديدة:

- مش كويسين يا «يوسف».. هنبقى كويسين ازاي بس بعد اللي حصل؟ بابا مانطقش بكلمة من ساعة ما خرجنا من القسم.. ولما رَوَّح قال لماما إنه مش حاسس برجله اليمين..

ومن ساعتها وهو قاعد في الأوضة وقافل على نفسه وما بيردش على حد.. وحتى مارضيش يروح للدكتور.. أنا مش مصدقة اللي حصل دا يا «يوسف»، أنا حاسّة إنني باحلم بجد.. أستغفر الله العظيم يا رب.

- الموضوع صعب أوي يا «ليلي».. يا رب صبرنا يا رب.

تبادل كلاهما البكاء للحظات في صمت، حتى قطعت «ليلي» ذلك الصمت قائلةً بصوت متهدج:

- فيه حاجة كدا بس كنت عايزة أقولك عليها.. أنا عارفة إن الوقت مش مناسب.. بس أنا لازم أشوفك في أقرب وقت.. عشان فيه حاجة مهمة لقيتها وعايزة أدّيهالك عشان تُودّيها للظابط.. عشان بس أنا ماقلتش لبابا وماما.. كفاية اللي هما فيه يعني.

- خير يا «ليلي»؟ فيه إيه بس؟ ما تتكلمي على طول.. لقيتي إيه؟!

قالها «يوسف» بترقب حزين.

- بص.. هاقولك لما نتقابل.. عشان مش هينفع دلوقتي.. عشان ماما في البيت ومش عايزاها تعرف إنني باكلمك.

اتفق الاثنان على المقابلة في اليوم التالي في تمام الساعة

السابعة مساءً بأحد المطاعم السورّيّة التي اعتاد «يوسف» الذهاب إليها برفقة «يُسرّا» من قبل، ويُدعى «حياة الشام»، وبعد أن انتهت المكالمة، شعر «يوسف» بحيرة شديدة ممّا أخبرته به «ليلي»، ومكث يفكر في الأمر، ثرى ما هذا الشيء المهم التي عثرت عليه «ليلي» في هذا الوقت غير الملائم؟! ولماذا لا تريد أن تتحدث معي أمام والدتها؟!

مكث «يوسف» يفكر بعد ذلك لساعاتٍ في زوجته وذكرياتهما معًا، وسرح بخياله حتى سالت الدموع من عينيه، وبعد قليل دخلت عليه والدته ممسكةً بصينية عليها بعض الطعام، وهي تبكي حزينة على ما أصاب ابنها الوحيد، ووضعت الطعام على منضدة صغيرة بجوار فراشه الذي كان يجلس عليه حينها، وجلست بجواره في صمت، ثم ربتت على كتفه برفق، وطلبت منه أن يتناول بعض الطعام، حيث إنه لم يتناول شيئًا منذ البارحة، لكنه رفض أن يأكل أي شيء، وأخبرها بأنه لا يشعر بالجوع على الإطلاق، فتركت أمه الطعام، وخرجت من الغرفة، وتركته وشأنه، حينما لمست رغبته في الجلوس وحيدًا، وأمضى «يوسف» ساعات طويلة بعدها يفكر فيما حدث، حتى غلبه النعاس، فذهب إلى النوم مجددًا من شدة تعبته وحزنه.

استيقظ «يوسف» في عصر اليوم التالي بعد أن استيقظ

في أثناء نومه عدّة مرّات لرؤيته بعض الكوابيس عن تلك الليلة المؤلمة، وفي كل مرة كان يحاول العودة إلى النوم مجددًا، لربما يستيقظ من هذا الكابوس الحقيقي الذي حدث لزوجته، ويجدها مستلقية بجواره على الفراش تنظر إليه بعينيها الواسعتين مبتسمة ابتسامتها الدافئة كما عهدتها من قبل.

مكث «يوسف» داخل غرفته المتواضعة أعلى فراشه ينظر إلى السقف في ملل، تداعب حدقاته ريش المروحة المتدلية منه والملتحمة في جسد واحد مع نجفة مطفاة، كان جسده متعبًا بشدة، وكأنه تلقى غلقة مبرحة في الليلة الماضية، لم يقوَ على الحراك للحظات، ومكث يتأمل خلالها محتويات غرفته، وكأنه يراها للمرة الأولى، فوقعت عيناه على المقعد المتأرجح القابع بجوار النافذة التي تعلو نهاية فراشه، بمكتبته المزدهم بكتب الهندسة المتناثرة عليه، ودولابه الذي يعلوه بعض المقتنيات القديمة التي لا حاجة لها، الآن أصبح يرى كل الموجودات تبدو كئيبه للغاية، وكأن حزن ساكنها قد انطبع عليها.

فرك عينيه اللتين انتفختا من كثرة البكاء، ثم نظر إلى ساعة الحائط ليجد أنها تشير إلى الرابعة عصرًا، فتذكر ما أخبرته به «ليلي» في تلك المكالمات الهاتفية بالأمس، فترك

الفراش وتوجه إلى الحمام وغسل وجهه، ثم بدّل ملابسه، وتوجّه إلى باب المنزل، وحينئذٍ شاهدته أمه عندما كانت تجلس بالصلاة تقرأ في كتاب الله بصوت خافت، وقد أنهكها الحزن لما أصاب ابنها، فقالت له:

- مش هتاكل برضو يا ابني؟ يا ابني أنا خايفة تقع من طولك.. حرام عليك نفسك، انت ماكلتش حاجة من ساعة الفرح.. أستغفر الله العظيم يا رب.. كان مستخيلنا فين دا بس يا ربي؟!

نظر إليها «يوسف»، وابتسم ابتسامة باهتة، ثم عاد واقترب منها وقبّل رأسها وهو يطمئنّها على حاله، وغادر المنزل بعد ذلك، ثم استقلّ سيارته، وتوجّه إلى المطعم المتفق عليه.. وبعد أن وصل إلى هناك، جلس بجوار إحدى الموائد ينتظر «ليلي».

دقائق قليلة قضاها بمفرده في شرود تام حتى دلفت «ليلي» إلى المطعم بخطوات ثقيلة، لم تكن الفتاة بمظهرها اللامع نفسه الذي عهده «يوسف» من قبل، بل بدت وكأنها قد تقدّمت في العمر فجأةً عدّة أعوام، حتى إن «يوسف» مكث يحملق بها قليلاً وهي قادمة ناحيته كي يتأكّد من أنها شقيقة زوجته.

توجّهت الفتاة مباشرةً إلى المائدة التي يجلس بجوارها،

والتي اعتاد أن يجلس عليها دائمًا بضحية «يُسرا»، وصافحته دون أن تنظر إليه، وجلست على المقعد المجاور له، وما إن تلاقت أعينهما، حتى ذرفت دموعهما، ثم بدأت تتحدث بشفتين مرتجفتين.

- أنا بجد مش مصدقة اللي حصل يا «يوسف».. خلاص كدا مش هاشوف «يُسرا» ثاني؟ خلاص!

ثم انفجر الاثنان في البكاء مجددًا، حتى تعجب بعض زوار المطعم الجالسين بالقرب منهما، وعندما لاحظ «يوسف» ذلك الأمر توقف عن البكاء، ومسح دموعه، ثم سألها بفضول عما أرادت أن تخبره به، فأجابته بعينين ذابلتين، ووجه أجهد البكاء:

- بعد ما مشينا من القسم امبارح.. ورجعنا البيت.. طبعا ما عرفتش أنا.. وقعدت أفكر كثير في الحيوان دا اللي عمل كدا.. وحاولت أخمن مين اللي ممكن يعمل كدا في «يُسرا».. وبعدين وأنا قاعدة مع نفسي كدا افكرت حاجة مهمة.. قلت ممكن تساعدنا في الموضوع دا.. «يُسرا» كان عندها نوتة صغيرة كدا.. كانت بتكتب فيها كدا كل فترة يعني حاجات عن نفسها.. زي مذكراتها، أو خواطرها، وكدا يعني.. وطبعًا أنا كنت عارفة «يُسرا» مخبياها فين.. ففتحت الدولاب بتاعها وطلعت الدرج الأخير من تحت.. ولقيت النوتة تحتيه...

نظر «يوسف» إليها بعينين مليئتين بالدهشة والاستنكار،
ثم قاطعها قائلاً:

- نوتة؟ نوتة إيه دي؟ أنا أول مرة أعرف إن «يُسرا» كان
عندها نوتة بتكتب فيها مذكراتها.. إيه الكلام دا؟!

- ما انت عارف يا «يوسف» إن «يُسرا» كانت بتحب الكتابة
أصلاً.

سكت «يوسف» للحظات يستوعب الأمر، ثم قال لها
بدهشة:

- أيوه كانت بتحب تكتب قصص صغيرة.. تكتب شعر..
أغاني.. كدا يعني.. لكن أنا ماعرفش إنها كانت بتكتب
مذكراتها ولا خواطرها أكيد يعني!

سكت «يوسف» برهة، ثم سألها بترقب:

- طب وفين بقى النوتة دي؟ جبتها معاكي؟!

- هو أنا جبتها آه.. بس «يوسف»، لو سمحت يعني، مش
عايزاك تتضايق من اللي هتقراه.. عشان انت أكيد عارف
«يُسرا» كويس وواثق فيها يعني وكدا.

انزعج «يوسف» من كلامها بشدة، وطلب منها أن تعطيه
تلك النوتة على الفور بنبرة غاضبة وحادة، فدست «ليلى»

يدها في حقيبتها، ثم أخرجت نوتة متوسطة الحجم ذات سلك معدني ملفوف يمسك صفحاتها من أحد جوانبها، وأعطته إياها.

التقطها «يوسف» بترقب، ومكث يتأملها من كلا الجانبين، ويتفقدتها بدهشة، وما إن تصفح أولى صفحاتها حتى تعرف إلى خط يد زوجته الذي كان يعرفه جيدًا..

- هذه المدونة خاصّة بي أنا فقط.. «يُسرًا».. وغير مسموح لأي شخص آخر مهما كان أن يطلع عليها.

طوى «يوسف» الصفحة الأولى، لينتقل إلى التالية، وبدأ قي قراءتها:

- التاريخ 10/11/2010..

لا أعرف كيف أختار بينهما؛ فكلاهما يحبني.. وكلاهما مناسب لي.. فإن «يوسف» شاب وسيم للغاية، وسيصبح مهندسًا ناجحًا.. فهو طالب مجتهد جدًا وذكي، ولديه مستقبل واعد، ولكن حالة عائلته المادية ليست ميسورة، كما أن المستوى الاجتماعي لعائلته ليس متوافقًا مع المستوى الاجتماعي الخاص بعائلتي؛ فوالده موظف حكومي من الدرجة الثانية.. ووالدته لم تكمل تعليمها الجامعي. أما عن «طارق»، فعلى الرغم من أنه أقل وسامةً من «يوسف»،

وقد درس في كلية التجارة، فإنه جاري.. يسكن في حي «الزمالك»، وعائلته ثرية جدًا.. ويحبني بشدة.. وأشعر أنه سيفعل أي شيء من أجلي مهما كان.. ولكني أميل أكثر إلى «يوسف».. فلا جدال على أنه أكثر وسامةً من «طارق».. وأخلاقه ممتازة.. ولطالما لاحظت الإعجاب الشديد تجاهه في أعين فتيات الجامعة.. حتى إنني كنت أشعر أحيانًا بأنني أريد أن أخبئ وجهه عنهن، فضلًا عن أنه على درجة عالية من التدنُّن.. وسيتقي الله في معاملتي بوصفي زوجةً له في المستقبل.. ولكنني سمعت أن هؤلاء الرجال المتدينين لا يكتفون دائمًا بزوجة واحدة فقط.. ولكنني لا أظن أن «يوسف» واحدٌ من هؤلاء.

أما عن «طارق» فهو يتميز بطيبته المتناهية.. وضعفه الشديد أمامي؛ فهو متيم بي.. فلا أدري حقًا ماذا يجب أن أفعل!

اكفهرَّ وجه «يوسف» عندما قرأ تلك الكلمات التي كتبتها زوجته، وكأن شخصًا وجهه له صفة مدوية على وجهه، ثم نظر إلى شقيقتها بوجه حائق يكاد ينفجر غيظًا، وسألها بنبرة مرتفعة:

- مين «طارق» دا؟! تعرفيه؟

شعرت «ليلي» ببعض الحرج والقلق من نبرته الحادة،
فتنهّدت بقلق، وأجابته بصوت خافت وحذر:

- آه.. أعرفه.. «طارق» دا جارنا.. ساكن في العمارة اللي
جنبنا.. شباك شقته جنب شباك الصالة عندنا بالضبط.

- واّازاي «يُسرا» ماجابتليش سيرته قبل كدا؟ واّازاي أصلاً
كانت بتقارن بيني وبينه؟ إحنا كنا متفقين مع بعض إن
محدّش يخبي حاجة عن الثاني مهما كانت!

سكتت «ليلي»، ونظرت إلى الأسفل بحرج دون أن تتفوّه
بشيء، فعاد «يوسف» ليكمل قراءة النوتة مرّة أخرى، وطوى
الصفحة بغضب، لينتقل إلى التي تليها، ثم قرأ:

- التاريخ 23/12/2011..

لا أعلم لماذا يفعل بي «يوسف» هكذا.. ولماذا هو دائماً
بذلك الانفعال.. أشعر أنني لم أعد أحتمل تلك العصبية منه..
ويبدو أنني سأختار «طارق» زوجاً لي بعد تخرجي في
الجامعة.. وستوافق عليه أُمي بالتأكيد؛ لتقارب المستويين
المادي والاجتماعي مع عائلتنا.. بل أعتقد أنهم أفضل منّا
حالاً، خصوصاً في المستوى المادي.

ثم طوى الصفحة، وأكمل على مضمّن:

- التاريخ 17/11/2012..

أبدًا، لن أدع تلك المخبولة تأخذه مني.. لا أعلم كيف تظن أن شابًا وسيماً مثل «يوسف» سيتزوج بها.. إنه أجمل منها بكثير.. فهي لم ترقّ حتى لمرحلة أن توصف بمتوسطة الجمال.. بل إنني أراها قبيحة بشدة.. لن يتزوج «يوسف» بأحد غيري أنا.

نظر «يوسف» إلى «ليلي»، وقد بدت على ملامحه آثار الصدمة والدهشة، ثم سألها:

- ومين الفتاة المخبولة اللي بتتكلم عليها دي إن شاء الله؟!

- يعني هتكون مين بس يا «يوسف» يعني؟

- هي قصدها «دينا» طبعا اللي كانت معانا في الجامعة،
صح؟

- بيتهيا لي يعني كدا.. ما انت عارف يا «يوسف».. والناس كلها كانت عارفة إنها بتحبك.. وكانت «يُسرّا» بتغير منها جدا.

سكت «يوسف»، وسرح قليلاً ثم عاد إلى القراءة مجدداً:

- التاريخ 10/10/2013..

لا أدري ما هذه البجاجة والفظاظة التي تمتلكها تلك المخبولة كي تتعدّى عليّ وتهددني وتطلب مني بكل جرأة

أن أترك «يوسف» من أجل أن تتزوج به هي! لقد جئت هذه الفتاة تمامًا.. وإن لم تكن كذلك، فسأحرص على أن تكون كذلك بنفسى على الأقل فى عيني «يوسف».

- التاريخ 29/6/2014..

لم أستطع تقبل تلك الفكرة تمامًا.. ولم أصدق أبدًا أنني من الممكن أن أذهب إلى السجن يومًا ما.. ولم أجد أمامي سوى «طارق» الذي من الممكن أن ألجأ إليه في مثل هذه الأمور؛ لأنه سيساعدني بقدر استطاعته.. وإذا كنت قد أخبرت «يوسف» عن هذا الأمر.. فسيلقي اللوم عليّ كعادته، دون أي تغيير في النتيجة النهائية لتلك المشكلة.. ولقد أنقذني «طارق» في هذا اليوم كما توقعت.. ويبدو أن كفته بدأت ترجح أكثر.

- التاريخ 27/3/2015..

لقد حسمت الأمر الآن.. سيكون «يوسف» زوجي المستقبلي.. وأرجو أن تتغاضى أمي عن هذا الفارق الاجتماعي الذي يقف حائلًا بين زواجنا.. أعلم أن «طارق» لا يستحق مني ذلك أبدًا.. ولطالما ضحى بأشياء كثيرة من أجلي.. وأعلم أنه سيصاب بصدمة عاطفية كبيرة.. وربما سيكره جميع فتيات العالم بسببي، ولكن ليس بيدي أي حيلة في ذلك الأمر.. لقد اتخذت قراري.. وسأتزوج بـ«يوسف».

- التاريخ 10/3/2017..

أنا خائفة.. نعم خائفة وبشدة.. وأشعر بأنني لن أنعم بحياة هادئة بعد الزواج أبدًا.. لا أدري ماذا يجب أن أفعل.. هل أترك «يوسف» الآن قبل فوات الأوان، بعد أن وافقت أُمي بصعوبة بالغة على هذا الزواج.. وبعد أن حجزنا بالفعل ليوم الزفاف؟! إن زفافي في غضون شهرين فقط.. ثرى ماذا أنا فاعلة الآن؟ ساعدني يا الله، وسامحني.

انتهى «يوسف» من قراءة تلك السطور الأخيرة، وطوى بقية صفحات النوتة بأكملها، فوجدها فارغة تمامًا، وفجأة شعر بصداع، فوضع يده على رأسه، وأغمض عينيه، وشعر بأنه على وشك أن يفقد عقله، وبعد قليل نظر إلى «ليلى» التي كانت تنظر إليه بندم، ثم قال لها:

- أنا مش مصدق إن اللي كتب الكلام دا هي نفس الإنسانية اللي اتعرفت عليها من ٨ سنين! أنا حاسس إنني اتجوزت واحدة تانية غيرها.. أنا مش عارف هي ازاي كانت بتعمل كدا.. وازاي كانت بتكلم واحد تاني طول المدة دي وأنا ماحستش!

سكت «يوسف» قليلًا، ثم تنهَّد بعمق، واستطرد:

- وبعدين أنا عايز أعرف هي كانت خايفة من إيه بقى إن شاء الله!

رمقته «ليلى» بضيق شديد، ثم حاولت أن تحفظ ماء وجه شقيقتها المتوفاة أمام زوجها، فقالت له بنبرة حزينة غاضبة تلومه على ما قاله:

- «يوسف»، أنا مش عايزاك تحكم على «يُسرًا» بالشكل دا.. انت عارف إن البنات في السن دا بيكونوا مضطربين ومشتتين نفسيًا شويّة في علاقتهم بأي ولد.. وبعدين إحنا مانعرفش القصة الكاملة كانت إيه أصلًا.. وبصراحة بقى ماما كان ليها دور كبير في الموضوع دا.. انت عارف إن هي ماكانتش موافقة على جوازها منك من البداية.. ودا طبعًا عشان الأسباب اللي قالتها «يُسرًا» في مذكراتها.. وأكيد «يُسرًا» ماكانتش هينفع تقولك إنها بتقارن بينك وبين واحد ثاني - أنا آسفة يعني يا «يوسف» - عشان هو أحسن منك ماديًا يعني وكدا.. تفتكر كانت هتقولك كدا ازاي يعني؟! وبعدين يا «يوسف» هو احنا في إيه ولا في إيه دلوقتي؟ انت هتخليني أندم إنني ادّيتك النوتة دي أصلًا.. لولا إن بابا مكتئب ومش قادر يمشي على رجله.. أنا كنت ادّيتهاله هو يوديها للظابط.

استمع «يوسف» لكلام «ليلى»، وهو يحاول استيعاب

الأمر، وفجأة شعر بإعياء شديد، ودار المكان من حوله، وزاغ بصره، وكاد يفقد وعيه، وعندما لاحظت هي ذلك الأمر، التقطت قنينة الماء من أعلى المنضدة، وصنعت خليطًا من الماء والسكر داخل أحد الأكواب، ثم وضعت الكوب بين يدي «يوسف»، وساعدته على تناؤله، ثم سألته إذا كان قد تناول شيئًا اليوم، فأجابها بصوت خافت متقطع بأنه لم يضع شيئًا داخل فمه منذ حفل زفافه المشؤوم.

انزعجت «ليلي» مما سمعته، وطلبت من أحد النادل أن يحضر بعض الطعام على الفور، وقبل أن يعود النادل حاملاً الطعام بقليل، بدأ «يوسف» في استعادة وعيه الكامل شيئًا فشيئًا، وما إن استرد توازنه، حتى ألقت «ليلي» عليه قليلًا من العتاب واللوم على عدم تناوله الطعام، مشيرة إلى أن ما يفعله لن يعيد الزمن، وأن ما حدث قد حدث بلا رجعة، ولن يعوضهما شيء، وأنهت حديثها عندما بدأت دموعها تذرف من جديد.

كان مطعم «حياة الشام» واحدًا من تلك المطاعم التي تقدم الطعام السوري الشهي من مشويات وخلافها، مصممًا على الطراز الشامي البديع بتفاصيله الكثيرة، ويتميز بخصوصيته وخدمته الممتازة، وكان جميع العاملين به يرتدون الزي السوري الشعبي، حتى يشعر الجالس بداخله

أنه يتناول الطعام في سوريا نفسها، وليس داخل مطعم بالقاهرة.

بعد دقائق حضر النادل، ووضع الطعام على المائدة، وانصرف، وألحّت «ليلي» على «يوسف» أن يتناول شيئاً كي لا يشعر بالإعياء مجدداً، فنظر إلى الطعام نظرة متعبة حزينة، قبل أن يمد يده ببطء ويبدأ في تناول بعض منه، وشاركته «ليلي» بدورها في تناول الطعام حتى تشجعه على تناول ولو حتى القليل منه، على الرغم من فقدانها الشهية هي الأخرى.

بعد أن انتهى «يوسف» من تناول بعض الطعام على مضض، نظر إلى «ليلي»، وشكرها، ثم سكت قليلاً يستجمع أنفاسه، وبعد ذلك سألها عما يجب أن يفعله حيال ما عرفه من معلومات في تلك النوبة، مشيراً إلى أن عقله مشتمت بشدة الآن ولا يستطيع التفكير جيّداً، فأخبرته أن يعطي تلك النوبة للضابط كما أخبرته مُسبقاً في حال استطاعته الذهاب إلى قسم الشرطة اليوم، أما إذا كان متعباً، فعليه أن يتصل به ويخبره عن فحواها هاتفياً، وتابعت أنها ستكمل حديثها معه في الغد، لاضطرارها إلى العودة إلى منزلها الآن حتى لا تثير قلق والديها لغيابها في ذلك الوقت الحرج.

نظر إليها «يوسف» بعينين زائغتين، وقد مال لونهما

إلى اللون الأحمر، ثم أخبرها بأنه سيحتفظ بتلك النوتة،
وسيعطيها للضابط لاحقًا، وعندما بدأت «ليلي» في جمع
متعلقاتها الشخصية استعدادًا للرحيل، أشار إليها «يوسف»
بالانتظار قائلاً:

- ثواني بس، أنا عايز أسألك عن حاجة قبل ما تمشي..
انتى ليه ما كنتيش عايزة والدتك تعرف إنك بتكلميني؟ هي
لسّه مصممة إن أنا اللي عملت كدا في «يُسرا»، ولأ فافت من
الصدمة خلاص؟

نظرت إليه «ليلي» بحرج، وبدت وكأنها لم تكن تريده أن
يسألها ذلك السؤال، فسكتت قليلًا، ثم قالت له بخجل:
- هي للأسف آه.. لسّه بتقول كدا فعلاً.

احمرّ وجه «يوسف» غيظًا، وصرخ في «ليلي» قائلاً:

- أنا مش فاهم هي أمك اتجننت ولا إيه...
قاطعته «ليلي» مصدرةً صوتًا من فمها (أن اخفض صوتك)،
ثم قالت:

- وّطي صوتك يا «يوسف»، إحنا في مكان عام.

ثم نظرت حولها بحرج، فنظر «يوسف» كذلك بدوره،
واعتدل في مقعده، ثم أعاد على مسامعها تلك الجملة

الأخيرة، ولكن بصوت مُنخفض تلك المرة، فنظرت إليه بضيق، ولم تتفوّه بشيء، وحينئذٍ شعر أنه قد اندفع في قوله كثيرًا، فاعتذر قائلاً:

- معلش يا «ليلي»، اعذريني، أنا دماغي متلخبطة أوي وحاسس إنها هتنفجر من كتر التفكير.. أنا شكلي محتاج أرتاح فعلاً.. بس انتي أكيد عارفة إني مش أنا اللي عملت كدا.. ولا إيه؟! (سألها «يوسف» بترقب).

- آه.. أكيد يا «يوسف» يعني.. أنا عارفة إنك بتحب «يُسرا» جدًا.. واستحالة تعمل كدا طبعًا.. وهتعمل كدا ليه أصلاً؟ بس يلاً بقي.. أنا لازم أروح دلوقتي.. مش هينفع أتأخر أكثر من كدا.. أنا أصلاً قلت لماما إني تعبانة شويّة وهاروح للدكتور اللي جنب البيت عندنا.. بكرة نبقى نتكلم.. أنا ماشية عشان اتأخرت.

قامت «ليلي» من مقعدها مسرعةً، وغادرت المطعم على الفور، واستقلت سيارتها التي اشترتها حديثًا عائدةً إلى منزلها، وخرج «يوسف» من المطعم بدوره بعد أن دفع الفاتورة، واستقل سيارته، وتوجّه إلى منزله أيضًا.

بدا طريق العودة إلى منزله طويلاً للغاية على غير العادة، فلم يمر الوقت سريعًا كما اعتاد «يوسف» من قبل عندما كانت «يُسرا» بضحبته، فصار يرى الشوارع الآن كئيبة ومملّة

بشدة من حوله، ويرى أعمدة الإنارة وكأنها تشتعل حزناً على وفاة زوجته، وكلما مر بجوار زوجين متحابين، تذكرها، وسالت الدموع من عينيه في الحال.

شرد «يوسف» كثيراً خلال الطريق، وظل يفكر في كل ما دوّنته «يُسرًا» في مذكراتها، وحدث نفسه متسائلاً:

- ترى ما سبب خوفها كما ذكرت في آخر ما دوّنته في تلك النوتة؟ ولمّ لمّ تخبرني بذلك الأمر التي كانت تخشاه؟ ترى هل هو سر آخر من تلك الأسرار التي أخفتها عني ولم أكن لأتوقعها أبداً؟ ترى هل كانت خائفة من أحد هذين الشخصين اللذين ذكرتهما في مذكراتها؟ هل يمكن أن يكون أحدهما هو من أجهز عليها بهذا الشكل البشع؟ فقد ذكرت أن «دينا» هددتها.. ترى هل قتلتها هذه المجنونة حقاً، أم هو «طارق»، أم أن هناك شخصاً آخر أو أموراً أخرى لا أعرفها؟!

شعر «يوسف» وكأنه قاد سيارته لآلاف الكيلومترات قبل أن يصل إلى منزله، على الرغم من أن المسافة لا تزيد على بضعة كيلومترات، وبعد تلك الرحلة الشاقة، صعد إلى منزله الكائن بالطابق الثالث، ودلف إلى غرفته.

استلقى على فراشه، ثم أمسك بتلك النوتة، وبدأ في تصفحها وقراءتها مرّة أخرى منذ بدايتها، وبعد لحظات غفا فجأة لشدة تعبته وهو يحمل النوتة بين يديه، وغاص في

نوم عميق، حتى إن النوتة سقطت على وجهه عندما تراخت
أصابعه دون أن يشعر باصطدامها بأنفه.

الفصل الخامس

استيقظ «يوسف» ليجد نفسه مُستلقياً على ظهره داخل حوض استحمام ممتلئ بالمياه، مرتدياً بدلة كاملة، فهمّ بالوقوف، وترجّل منه بخطوات ثقيلة لتتساقط قطرات المياه من ملابسه أسفل قدميه، وفجأة سمع صوت زوجته وهي تضحك ضحكتها المعهودة خلف باب الحمام المغلق، ففتح الباب ليشاهد زوجته وهي تتحدث مع أحد الرجال داخل غرفة الفندق، كانت تبدو سعيدة للغاية بحديثها معه، ولكن عندما رأت زوجها انتفضت ذعراً وكأنها تفاجأت بوجوده.

نظر «يوسف» إليها بوجه ممتعض، ثم التقط سكيناً كبيرة تشبه أداة الجريمة من أعلى المنضدة المجاورة لفراش الغرفة، وهرول ناحيتها، ثم طعنها أكثر من مرة في منتصف صدرها بعنف، بينما هرب الرجل الذي كان يتحدث معها من شرفة الغرفة.

نظر «يوسف» إلى يديه بخوف شديد، ثم التقط زوجته قبل أن تسقط أرضاً، ووضعها على الفراش، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وفجأة استفاق من غضبه، وكأنه لم يكن في وعيه منذ لحظات قليلة، وحينها سمع صوت خطوات آتياً من خلفه، فنظر تجاه باب الشرفة ليجد أن والدته زوجته كانت

تقف هناك تنظر إليه وهي تبتسم، وكأنها سعيدة بما فعله بابنتها الكبرى، فانهمرت الدموع من عينيه بغزارة، وسقط مغشيًا عليه بجوار زوجته.

استيقظ «يوسف» مرّة أخرى غارقًا في عرقه والدموع في عينيه، ولاحظ أن النهار قد أشرق من جديد منذ ساعات، وأدرك أنه كان يشاهد كابوسًا جديدًا بدا أكثر واقعية، فعَدَّل من وضعه، وجلس على حافة الفراش بوجه واجم، ثم تنهَّد بحزن وهو يتذكر ما حدث في ليلة زفافه، وفيما رآه في ذلك الحلم أيضًا، قبل أن ينتفض جسده زعرًا فجأة حينما سمع أذان الظهر الصادر من أحد مكبرات الصوت المعلق أمام نافذة غرفته مباشرةً أعلى سطح المنزل المواجه لمنزله.

قام من فراشه وذهب إلى الحمام، ثم توضأ، وصلى الفريضة، وعاد إلى غرفته مجددًا، واتصل بـ«ليلي»، واتفقا على المقابلة في شارع «أبو الفدا» بالزمالك في تمام الساعة الثالثة عصرًا، وبعد دقائق خرج من غرفته فلاحظ أن والدته كانت تجلس في الصالة تنظر إليه بترقُب، فابتسم لها وأخبرها عن رغبته في تناول الطعام، كان يعلم أنه يكذب، ولكنه ادّعى ذلك من باب جبر خاطر أمه، التي فرحت كثيرًا بما طلبه ابنها، وتوجهت مسرعة إلى المطبخ لإعداد الإفطار.

كان «يوسف» ولدًا صالحًا وابنًا بارًا بوالديه، ولطالما كانا

هما شغله الشاغل، يضعهما دائماً في مقدمة اهتماماته، ويجتهد لإسعادهما حتى في أحلك الأوقات التي يمر بها، وكان يحاول جاهداً، على الرغم ممّا حدث، أن يمضي بعض الوقت مع أبيه الذي بالكاد لم يره إلا قليلاً منذ ليلة زفافه؛ نظراً لانشغال والده بوظيفته الأخرى، كما اعتاد أن يفعل.

بعد قليل، عادت والدّة «يوسف» من المطبخ بما لذّ وطاب، وجلست بجوار ابنها وزوجها تتناول معهما الطعام، وبعد أن توجّه والده إلى العمل، جلس هو مع أمه التي كانت تحاول جاهدةً مُواساته، وتطيب جراحه وآلامه، وذكرته بأنه إنسان مؤمن، وعليه أن يرضى بما قسمه الله له، وأنها واثقة بأن الله سيعوّضه عمّا حدث قريباً، لأنه كما قال، سبحانه وتعالى: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ».

بعد حديث طال مع والدته، نظر في ساعته، ثم استأذن أمه بالانصراف بعد أن طمأنها على حاله، فارتدى ملابسه، وغادر المنزل متوجّهاً إلى حي «الزمالك» في العنوان الذي اتفقا أن يتقابلا فيه، وقبل أن يصل إلى هناك اتصل بشقيقة زوجته التي أجابته بصوت خافت، وأخبرته أنها ستقابله بعد دقائق قليلة.

وصلت «ليلى»، وتركت سيارتها، ثم استقلت سيارته، وجلست على المقعد المجاور له، وبعد أن اطمأنّا على حال

كل منهما، سألته:

- قول لي بقى.. إيه رأيك في اللي «يُسرّا» كانت كاتباه؟ إيه اللي استنتجته من كلامها يعني؟

- بغض النظر عن الأسرار اللي كانت مخبياها عني، الله يرحمها ويسامحها بقى، بس واضح إنها كانت حاسة باللي حصل، بدليل اللي كتبته في الآخر.. وإنها كانت خائفة، وكدا.. بس مش عارف بقى كانت خائفة من إيه بالضبط.. تفتكري كانت خائفة من «دينا»؟ هي قالت إنها هددتها عشان ماتتجوزنيش.. يا ترى هددتها بإيه المجنونة دي بقى؟ أستغفر الله العظيم يا رب.

- مش عارفة يا «يوسف».. جايز تكون كانت خائفة منها فعلاً.. هي «دينا» تخوّف بصراحة.. بس تفتكر تكون هي اللي عملت كدا في «يُسرّا» يعني؟!

- بصراحة هي جريئة جداً في تصرفاتها.. ومابتخافش من أي حد، ولا أي حاجة.. دا زائد إنها كانت بتتعالج في مصحة نفسية.. زي ما قالّي والدها بلسانه.. ومش عارف بصراحة هي حالتها وصلت لإيه.. اتحسنت ولا الموضوع زاد معاها أكثر وبقت أخطر من الأول ولا إيه بالضبط.. مش عارف!

- طب ماتعرفش هي لسه بتتعالج ولا رجعت بيتها

خلاص؟!

- مش عارف يا «ليلي».. مش عارف.. بس دي حاجة مهمة،
ولازم نعرفها بصراحة.

- أكيد.. بس تفتكر ممكن نعرف الموضوع دا ازاي؟!

- أنا ممكن أروح لوالدها وأسأله.. أو حتى أكلمه في
التليفون.

نظرت إليه «ليلي» رافعة حاجبيها، ثم قالت له باستهجان:

- يا سلام! طب وانت فاكر إنه هيقولك الحقيقة يعني؟! ما
هو أكيد عرف موضوع «يُسرا» دا.. وحتى لو «دينا» كانت
رجعت البيت.. أكيد هيقولك إنها لسه في المصحة.. وهو أكيد
عارف خطورة بنته.. وعارف إيه اللي ممكن تعمله.. وبعدين
ماتنساش إنها بنته، وأكيد مش هيرضى لها بأي حاجة وحشة
وكدا يعني.

- طيب قوليلي انتي بقى إيه اللي المفروض نعمله دلوقتي
يعني (قالها بشيء من الغضب).

- طيب أنا مش فاهمة.. ليه مانتصلش بالظابط ونقوله على
النوتة بتاعة «يُسرا»، وهو يشوف هيعمل إيه بقى؟! أمال أنا
جبتلك النوتة دي ليه أصلاً؟!

- باقولك إيه.. أنا مش عايز أتكلم مع الضابط دا تاني أساسًا.
رمقته «ليلي» بدهشة مجددًا، وسألته قائلة:

- ليه مش عايز؟ مش فاهمة!

- مش عارف حسيت كدا إنه عايز يلزق التهمة فيّ.. وبعدين هو شخص تنك، وأنا أصلًا بقى بصراحة مابحبش ظباط الشرطة.. وأنا شايف إن احنا نكمل لوحدنا.. ونسيبه هو بقى يعمل شغله بنفسه.. وهو عامة أكدي إنهم هيقبضوا على القاتل.. أما نشوف بقى هيعمل الكلام دا ازاي.. واحنا بقى هنمشي في طريقنا لوحدنا.. ولما نوصل لحاجة مهمة ممكن نبقي نقول له ساعتها.. وبعدين أنا لازم أعرف بنفسي الست أختك كانت مخبية عني إيه تاني!

ازدادت دهشة «ليلي» أكثر؛ فقد كانت تستنكر طريقة تفكيره وعناده الغريب الذي لم يكن في التوقيت المناسب، لكنها وافقته على تلك الفكرة مؤقتًا بعد جدال كبير دار بينهما حول ذلك الأمر، ثم تنهّدت بعمق، وقالت:

- طيب، بص بقى.. بما إنك مصمم على اللي في دماغك، أنا عندي فكرة كويسة.. وحاسة إنها هتوصلنا للي عايزين نعرفه.. إحنا نروح أنا وانت المصحة اللي بتتعالج فيها «دينا».. ونقابل حد من المسؤولين هناك.. على إننا أصحاب

«دينا» وجايين نَظْمَن عليها وعلى صحتها وكدا يعني..
ونشوف الموضوع هيمشي ازاي بعد كدا.. وأكيد هنعرف لو
كانت «دينا» هناك ولا لأ.. أو حتى بقالها أد إيه بتتعالج.

نظر إليها «يوسف» بقلق، ثم قال:

- مش عارف.. بس لو «دينا» شافتني هناك يا «ليلي»
هتبقى مشكلة على فكرة.. ما انتي عارفة هي كانت بتحبني
ازاي.. وأنا مش ناقص مصايب.. كفاية اللي حصل يعني.

- ماتقلقش.. إن شاء الله مش هتشوفنا.. أهم حاجة تبقى
هادي كدا وماتنفعلش.. عشان أنا عارفاك يعني.. بس قوللي
الأول، انت عارف اسم المصحة دي وعنوانها؟

- أنا فاكر إن والد «دينا» قالّي إن اسمها «كير» بالإنجليزي..
بس ماعرفش عنوانها فين.. بصي هي «دينا» ساكنة في
منيل الروضة.. دؤري كدا على انت عن مصحة اسمها «كير»
تكون قريبة من هناك.. متهيألي مش هتبقى بعيدة عن بيتها
يعني.

أومات «ليلي» برأسها، ثم أمسكت بهاتفها المحمول وبحثت
عن ذلك الاسم على صفحات الإنترنت، وبعد دقائق من
البحث صرخت فجأة بحماس، وأخبرته بأنها قد عثرت على
عنوان المصحة، وأنها موجودة في أحد الشوارع المتفرعة

من شارع عبد العزيز آل سعود بحي المنيل كما توقع هو.

أدار «يوسف» محرك سيارته، وانطلق مسرعًا إلى ذلك العنوان، وبعد أن وصلا إلى هناك، شاهدا سورًا قديمًا شاهقًا معلقًا عليه لافتة تحمل الاسم المذكور نفسه، فترجّلا من السيارة، وتوجّها إلى الباب الحديدي المجاور للسور، ونظرا من خلاله يتفقدان المكان بالداخل، وكان هناك مبنى قديم يشبه قصور العصر الملكي التي بُنيت في بداية القرن التاسع عشر، محاط بحديقة خضراء كبيرة غير مُنسقة.

ألقى «يوسف» نظرة خاطفة إلى «ليلي»، ثم مدّ يده إلى الباب الحديدي، ودفعه إلى الداخل، محاولًا فتحه، لكنه كان محكم الغلق، فنظر إلى جدار السور المجاور له، بعد أن فقد الأمل في فتح الباب، ولاحظ وجود لوحة اتصال صوتي (إنتركم) مثبتة به على الجانب الأيمن للباب من الخارج، فمد يده ناحيتها وضغط على الزر الموجود بها، وبعد لحظات قليلة أجابه صوت لم يستطع أن يتبين إذا ما كان صوت رجل أم امرأة، قائلاً:

- فيه أي خدمة ممكن أقدمها لكم؟

نظر «يوسف» إلى «ليلي» بدهشة، دون أن يتفوّه بشيء، فاقتربت «ليلي» من مكبر الصوت الخاص باللوحة، ثم أجابت:

- من فضلك، إحنا أصحاب مريضة بتتعالج هنا في المصحّة.. وكنا عايزين نطّمن عليها لو أمكن يعني.. هي اسمها «دينا فتح الباب».

أجابها ذلك الصوت الجاد مرة أخرى:

- بشّ دا مش معاد الزيارة الأسبوعية بتاعها!

نظرت «ليلي» إلى «يوسف» بحيرة وهي تفكر، ثم قالت:

- طيب ممكن ندخل من فضلك، عشان كمان عايزين نستفسر عن شويّة حاجات بخصوصها؟

مكث الاثنان يتبادلان نظرات القلق في صمت وترقّب، وبعد لحظات قطع صمتهما صوت صرير الباب أثناء فتحه دون أن يتحدّث إليهما ذلك الصوت مجددًا، فتبادلا النظر مجددًا بدهشة، ثم توجهوا إلى فناء المبنى الخارجي، وصعدا الدّرج المؤدي إلى باب المبنى نفسه.

كان المبنى قديمًا للغاية، لونه أصفر قاتم، وطلاؤه متهاك، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يفقد جماله وطابعه الأثري الذي يوحي بالأسرار، فكان خارجه مزخرفًا ومنقوشًا بأشكال عدّة بحرفيّة عالية، ونوافذه خشبية شاهقة كالأبواب، لونها أخضر شاحب، ومغلقة بأسياخ حديدية من الخارج أشبه بسجون

اقترب الاثنان من باب المبنى الذي بدا كأنه الشيء الأحدث الوحيد في واجهته الأمامية، وما إن وصلا أمامه، حتى انفتح قبل أن يطرقة «يوسف» مباشرةً، وظهر من خلفه شيخ كبير طاعن في السن، وطلب منهما الدخول، ثم أشار إلى بعض المقاعد الموجودة في صالة الاستقبال الخاصة بالمصحة، وأخبرهما أن ينتظرا قليلاً حتى تأتي إليهما الطبيبة «علياء»، مديرة المصحة، ثم تركهما الشيخ، ودلف إلى الداخل.

نظر «يوسف» و«ليلى» حولهما يتفقدان ذلك المكان الأثري الذي يجلسان بداخله، وسرحا في تفاصيله الداخلية، فكانا بداخل صالة استقبال كبيرة ذات سقف مرتفع وأجوف وكأنّ هناك قبة ضخمة تعلوه من الخارج، وكانت هناك نجفة نحاسية كبيرة تتدلّى من منتصفه بدت وكأنها لم تُستبدل منذ بناء المبنى.

بعد دقائق، هبطت الطبيبة الدّرج الداخلي بخطوات ثابتة ووجه جامد مصطنع، كانت امرأة طويلة القامة توحى قسّمات وجهها بتخطيها العقد السادس من عمرها، ترتدي نظارة طبية ذات عدسات سمّكة (قعر كوباية)، ويغلب على شعرها اللون الأبيض، كانت تنورتها الفضفاضة التي ترتديها

أسفل قميص مهندم تتمايل يمينًا ويسارًا أثناء هبوطها
الدَّرَج، وكانت توحى هيئتها بانتمائها إلى ذلك المكان القديم.
توجهت «علياء» نحوهما، وصافحتهما بجدية، ثم قالت
بصوت غليظ أشبه بصوت الرجال:

- خير؟ أقدر أساعدكم ازاي؟

ابتسمت لها «ليلى» في محاولة لكسر الجليد بينهما،
وأخبرتها بأنهما زميلا المريضة في الجامعة، وقد حضرا
لزيارتها اليوم؛ حيث إنهما قد علما أن حالتها الصحية ليست
على ما يُرام، وأنها ممتنعة عن تناول الطعام، ولذلك فكرا في
زيارتها لربما تسعد بتلك الزيارة، وتحسّن صحتها، ولو قليلاً.

رمقتهما الطبيبة بعينٍ متفحصة متشككة، ثم قَطَّبت
جبينها، وأخبرتهما أن ما يقولانه بعيد كل البعد عن الحقيقة،
وأن المريضة تتناول طعامها بصورة طبيعية منذ أن أحضرها
والدها إلى المصحة بالأمس.

أَلَقَت «ليلى» نظرة ذات مغزى إلى «يوسف»، وبادلها هو
النظر بدهشة، ثم سألت الطبيبة باستنكار:

- ازاي الكلام دا؟ إحنا عارفين إن «دينا» بتتعالج هنا بقالها
مدة.. يبقى ازاي باباها جابها امبارح بس؟!

- أيوه.. هي فعلاً بتتعالج هنا من...

ترددت «علياء» قليلاً، ثم سألتهاما بترقب:

- انتو متأكدين إنكم زمايلها في الجامعة؟ ولا انتو صحفيين؟!

هزّت «ليلي» رأسها بالنفي، وقالت بابتسامة هادئة:

- لا، إحنا زمايلها والله، وكنا...

قاطعت الطبيبة حديثها متسائلة:

- طب ممكن أشوف بطاقة أو كارنيه؟

فتحت «ليلي» حقيبتها، وأخرجت منها بطاقتها الشخصية، بينما كان «يوسف» يشعر بالضجر الشديد، يزفر في حلق محاولاً أن يهدئ مشاعره المتأججة التي أوشكت على الانفجار.

مدت «ليلي» يدها إلى الطبيبة ممسكة ببطاقتها الشخصية، وقالت:

- اتفضلي، دي بطاقتي أهيه، مكتوب فيها إني مهندسة.

نظرت الطبيبة إلى البطاقة بنظرات شرطيٍّ مُحنك، فهدأت، وابتسمت، وزال الجمود من ملامحها بعدها مباشرة، ثم

استطردت في سرد القصة التي بدأتها منذ قليل، واندمجت في الحديث بسلاسة شديدة وكأنَّ عقدة لسانها قد انحلت فجأة، وبدأت وكأنها كانت تصطنع الجدية في الحديث على عكس شخصيتها المتساهلة:

- بصراحة «دينا» كانت من الحالات النادرة اللي للأسف نجحت في إنها تهرب من المصححة هنا من كذا يوم.. رغم إن المكان هنا مؤمن كويس جدًا ضد الهرب.. والأستاذ «فتح» والدها رجّعها هنا امبارح بس.. وقال إنه ماكانش عنده أي فكرة عن المكان اللي «دينا» كانت قاعدة فيه من ساعة ما هربت.. وإنه اتفاجئ بيها نائمة في مدخل العمارة اللي هو ساكن فيها من يومين.. والغريب إنها كانت لابسة فستان سواريه أبيض.. وكان مش نضيف طبعًا.. وكمان كان عليه بقع دم.. ولما والدها أخذها وطلّعها البيت حاول يبص على جسمها بس مالقاش فيه أي إصابات ظاهرة الحمد لله..

ثم خفضت الطيبة صوتها، وتابعت:

- وطبعًا عشان هي بنت وكدا، فطلب مني إني أفحصها كويس وأشوف لو كانت متعورة أو حاجة.. ودا اللي خلاه يحكي لي عن التفاصيل دي.. بس لما دخلتها الحمام وبصيت على جسمها، لقيته سليم الحمد لله.. ولما والدها سألها عن المكان اللي كانت بتبات فيه من ساعة ما هربت.. فكانت

في حالة انهيار وبتقول جملة واحدة بس: «أنا العروسة.. أنا العروسة».

بس، وما عرفناش لحد دلوقتي هي كانت بايتة فين.. وفي الأغلب يعني كانت بتنام في الشارع.. لكن هي صحتها كويسة جدًا ومش ممتنعة عن الأكل ولا حاجة!

ضد «يوسف» من كلام الطيبة، واتسعت حدقتا عينيه، وضغط على أسنانه بفكيه بقوة، وتصارعت أنفاسه أثناء حديثها معهما، وشعر بأن شكوكه تجاه «دينا» كانت صحيحة، وأنها هي التي ارتكبت ذلك الجرم البشع تجاه زوجته، فسأل الطيبة بحدة فجأة:

- طيب ممكن أتكلم معاها دلوقتي لو سمحتي؟

لاحظت الطيبة الانفعال الشديد لـ«يوسف»، وأسلوبه الهجومي في التحدث، فعادت إلى لهجتها الحازمة وملامحها الجادة مجددًا، وأخبرتهما بأن الزيارة ليست مسموحة إلا لأقارب المريضة من الدرجة الأولى فقط، أو على الأقل خلال وجود أحد هؤلاء الأقارب، ثم أردفت قائلة:

- دا غير إني مانصحكمش أصلًا إنكم تزوروها اليومين دول عشان هي حالتها ماتسمحش بكدا دلوقتي.. وممكن تتعدى على حد فيكم.

انفعل «يوسف» أكثر، وازداد إصراره على رؤيتها، فاقترب من الطيبة قليلاً بجسده الضخم، حتى شعرت هي من نظراته بأنه سيقدم على فعل أحمق تجاهها، فتراجعت إلى الوراء قليلاً، قبل أن يقول لها بصوت أكثر حدة:

- بس أنا لازم أتكلم معاها في موضوع ضروري ومايستحملش التأخير.. ومش هاخذ وقت طويل.. ماتقلقيش يعني حضرتك.. وبعدين انتي مش لسه كنتي بتقولي إن صحتها كويسة، يبقى ازاي حالتها ماتسمحش بالزيارة؟!

اضطربت الطيبة من حديثه وطريقة حديثه الفظة وإصراره على تكرار طلبه للأمر نفسه على الرغم مما أخبرتهما به منذ ثوانٍ فقط، فنظرت إلى الحائط بجوارها بقلق، ثم مدّت يدها ناحية زر معلق عليه، وضغطت عليه، فهرول على الفور رجلان ضخما الجثتين من الطابق العلوي، ووقفا خلف الطيبة في تساؤل ضمني، وبصوت أكثر جدية، طلبت الطيبة من الزائرين غير المرغوب في وجودهما أن يغادرا المصحة، وإلا ستبلغ الشرطة.

في هذه اللحظة، شعرت «ليلى» بأنها ستفقد زمام الأمور، وأن رفيقها قد أوشك على افتعال مشكلة كبيرة قد يندمان على فعلها فيما بعد، فقبضته من معصمه على

الفور، وضغطت عليه مرتين، ثم اعتذرت للطبيبة، وجذبتة من يده، واصطحبته إلى خارج المصحة، وعادا مرّة أخرى إلى سيارته، ثم انطلقا بها مغادرين المكان، وما إن تحركت السيارة، حتى نظرت «ليلي» إليه بغضب، ثم قالت له لائمة:

- إيه اللي انت عملته دا يا أخي بقي؟ مش فاهماك يعني.. الست كانت بتتكلم وفتحتلنا قلبها.. اتكلمت انت وتُرتها وبوّظت الدنيا خالص.. مش مصدقك بجد.. الموضوع مايقاش بالطريقة دي.. وطريقتك دي مش هتنفع خالص على فكرة!

التفت إليها «يوسف» فجأة في أثناء قيادته السيارة، وكأنه كان يكتُم بركان غضب بداخله، ثم صرخ في وجهها قائلاً:

- هو انتي ماسمعتيش اللي الست دي قالتة ولا إيه؟ دا واضح أوي إن الزبالة اللي اسمها «دينا» دي هي اللي عملت كدا.. أنا كنت متأكد إن المجنونة دي هتعملي مصيبة في يوم من الأيام!

- لا، أكيد سمعت يا «يوسف».. بس هي المديرة ذنبها إيه يعني إنك تتعصب عليها بالمنظر دا؟

غمغمت «ليلي» بغضب، ثم سكّنت قليلاً، وحاولت أن تهدئ من غضبها هي الأخرى، ثم تابعت قائلة:

- ما علينا.. خلينا في موضوعنا.. هي بصراحة كل اللي قالته بيدل على إن «دينا» ممكن تكون هي اللي عملت كدا فعلاً.. هربت قبل الفرح بأيام.. ولبست فستان سواريه.. لأ وأبيض! وكمان عليه دم.. وباباها قال للدكتورة دي إنها كانت في حالة هيسثيريا وما بتقولش غير «أنا العروسة»! فممكن تكون مثلاً كانت عارفة معاد الفرح.. وأجّرت الفستان دا، أو استلفته حتى.. ودخلت النادي زيها زي أي واحدة على إنها معزومة في الفرح.. وطبعًا محدّش شك فيها.. وبعد الفرح قعدت مراقبة الأوضة مثلاً لحد ما انت دخلت الحَمّام.. وبعدين استفردت بـ«يُسرا».. وفاجئتها وضربتها بالسكينة، وبعدين خرجت عادي من الفندق من غير ما حد يشك فيها.

استمع «يوسف» بوجه عابس وهو يتخيّل ذلك السيناريو المؤسف الذي حكته له «ليلي»، فاغرورقت عيناه بالدموع، ثم مسح عينيه بعد لحظات، وسألها مستنكرًا:

- بسّ ازّاي راقبتني لحد ما دخلت الحَمّام؟! وازّاي خرجت من الفندق والنادي وفستانها عليه دم من غير ما حد من بتوع الأمن ياخذ باله؟!

- ممكن تكون ستارة الأوضة كان فيها حته مفتوحة مثلاً.. مش عارفة.. وموضوع بقعة الدم دا بقى لو هي بقعة صغيرة يعني، ممكن تكون غطتها بإيديها أو بشنطتها مثلاً.. وطبعًا

الدنيا كانت ضلمة ساعتهـا.

سكت الاثنان قليلاً يفكران، ثم قطعت «ليلى» ذلك الصمت
قائلة:

- طيب وبعدين؟ هنعمل إيه دلوقتي؟

- لازم نروح بيت أبوها ونتكلم معاه.. أنا حاسس إنه عارف
إيه اللي حصل بالضبط بس مخبي.

- طب ولو هو مخبي حاجة، إيه اللي يخليه يقول لمديرة
المصحة التفاصيل اللي قالها دي، وموضوع الدم اللي كان
على فستانها دا بالذات؟

- ماعرفش، يمكن غلط بالكلام بقى ولا حاجة.. ولا يمكن
عشان كان عايز يطمّن على بنته زي ما الدكتورة دي قالت..
بصي، إحنا نفاجؤه ونروحله دلوقتي.. وإن شاء الله هتبقى
زيارة موفقة.

التف «يوسف» بسيارته عائداً إلى حي المنيل مرة أخرى،
قبل أن يسمع رأي «ليلى» فيما قاله، معتبراً أن صمتها كان
بمنزلة الموافقة على كلامه، وتوجّه ناحية منزل «دينا»
الذي لم يبعد كثيراً عن مكان المصحة، وبعد دقائق وصلا
إلى أسفل منزلها، وصعدا الدّرج إلى الطابق الثاني، ثم طرق
«يوسف» الباب بتعجل، وبعد ثوانٍ قليلة فتح لهما

والد «دينا»، ونظر إلى «يوسف» بدهشة، فقال له «يوسف»
باستهجان:

- ازيك يا أستاذ «فتح»؟

فأجابه «فتح الباب» بترقب ودهشة من تلك الزيارة
المفاجئة التي لم يكن يتوقعها:

- بخير يا ابني الحمد لله.. ازيك انت؟!

ثم سكت للحظات ينظر إليهما لعلهما يُفصحان عن سبب
تلك الزيارة غير المتوقعة، وعندما لم يسمع إلا صمتهما شعر
بأنهما يريدان الدخول إلى شقته، فقال لهما:

- تعالى يا ابني، اتفضل.. اتفضلي يا بنتي.

كان «فتح الباب» رجلاً في أواخر الخمسينيات من عمره،
قصير القامة، ذا بشرة قمحيّة، وشعر أسود ناعم مصبوغ
ولامع، يتمتع بجسد ممشوق بالنسبة لرجل في مثل عمره،
لديه بعض الهالات السوداء أسفل عينيه المتعبتين، وكأنها
أصبحت كذلك لشدة حزنه على ابنته الوحيدة، خصوصاً بعد
وفاة والدتها منذ سنوات قليلة.

دلف «يوسف» و«ليلي» إلى الداخل، وجلسا على مقعدي
الصالون الموجود بالصالة، وتعمّد «يوسف» ألا يبدأ الحديث

حتى ينتظر ليرى إذا كان «فتح الباب» سيعزيه أم لا، لكن الأخير لم يتحدث، واكتفى بالنظر إليهما بدهشة، وانتظر أن يقول أي شيء كذلك، وعندما طال الصمت، قال لهما:

- تشربوا إيه؟ أجيلكوا قهوة ولا شاي؟

فأجابه «يوسف» بغضب وهو يسلط بصره في عينيه مباشرة:

- لأشكرًا.. إحنا مش جايين عشان نشرب حضرتك.. انت ماتعرفش إن مراتي اتقتلت في يوم فرحنا من يومين ولا إيه؟!

نظر إليهما والد «دينا» بحرج، ثم وجّه نظره إلى الأسفل وهو يقول:

- آه، والله أنا سمعت عن الخبر الصعب دا.. الله يرحمها ويغفر لها يا رب.. ربنا يصبركم إن شاء الله ويقول...

قاطعه «يوسف» قبل أن يكمل مواساته، وقال بحدته المعهودة:

- ويا ترى عرفت الخبر دا منين بقى؟!

- والله يا ابني أنا قرّيت الخبر في جورنال الحوادث امبارح، و...

قاطع «يوسف» حديثه مجددًا، وسأله وكأنه ضابط يستجوب أحد المتهمين:

- هي «دينا» فين يا أستاذ «فتح»؟

شعر والد «دينا» بالضييق الشديد من تلك الطريقة غير المقبولة التي يتحدث بها «يوسف»، فأجابه بقليل من الانفعال:

- «دينا»... «دينا» في المصحة يا ابني بتتعالج.. بتسأل ليه؟!

- أنا عايز أعرف منك «دينا» كانت فين من ٣ أيام.

استشف «فتح الباب» من كلام «يوسف» أنه يعتقد أن ابنته هي التي قتلت زوجته، فاحتد أكثر قائلاً:

- انت إيه اللي في دماغك بالظبط يا «يوسف»؟ انت شاك إن بنتي أنا هي اللي عملت كدا في مراتك؟! حرام عليك يا أخي، دي بنت مريضة وضعيفة.. واستحالة تفكر تعمل حاجة زي دي.. دي بتخاف تقتل الصرصار.. هتقتل بني آدم؟!

حاول «يوسف» أن يثير غيظ والد «دينا» وقال بهدوء:

- أنا ماقلتش كدا.. انت اللي قلت كدا دلوقتي.. وخذ بالك انت لحد دلوقتي ماجاوبتنيش على سؤالي!

هَبَّ «فتح الباب» واقفًا من مقعده فجأة بغضب، وارتفع
صوته وهو يقول:

- ملكش دعوة.. أنا مش مضطر إني أحكيك على أي حاجة
تخصني أو تخص بنتي.

أمسكت «ليلي» بمعصم يد «يوسف» للمرة الثانية في
اليوم نفسه وضغطت عليه عدّة مرّات، حتى لا يفعل أكثر
من ذلك، فشعر «يوسف» أنه على وشك أن يفسد الأمر للمرة
الثانية على التوالي، فسكت محاولاً أن يهدئ من روعه قليلاً،
ولكنه مكث ينظر إلى «فتح الباب» بنظرات نارية وأنفاس
متسارعة، ثم قال:

- وبالنسبة لفستانها الأبيض اللي كان عليه بقعة دم، إيه؟
مش عايز تحكي لي على دي كمان؟!

توتر والد «دينا» قليلاً، وانفعل أكثر عندما علم بأن
«يوسف» على علم بذلك الأمر، ثم ارتفع صوته ثانية محاولاً
أن يخفي توتره وهو يقول:

- انت باين عليك اتجننت ولا إيه.. انت ازاي تخش بيتي
وتتكلم معايا بالطريقة دي؟ قلت لك مش هاقولك على أي
حاجة تخص بنتي...

وفجأة أثناء تحدّثه دمعت عيناه وهو يقول بغضب وحزن:

- انتو عايزين إيه منها؟ سيبوها في حالها بقى.. حرام عليكو.. مش كفاية إنها عيانة.. حرام عليكو بقى هتبقوا انتو والزمن عليها؟

ثم هرول ناحية باب المنزل فجأة بغضب، وفتحته، وأشار بيده إلى خارج المنزل وهو يقول:

- اتفضل اطلع بَرَّا دلوقتي.. امشي حالًا أحسن والله العظيم...

استمر «يوسف» في استفزازه والضغط عليه قائلاً:

- والله العظيم إيه بقى؟ هتقتلني زي ما بنتك قتلت مراتي؟ أمّا عيلة مجرمين بصحيح!

جرى الدم في رأس «فتح الباب»، وصرخ في وجه «يوسف» بحنق شديد:

- قلت لك اخرج من بيتي.. واوعى تجيب سيرة بنتي ثاني على لسانك.. انت فاهم ولا لا؟ الكلام خلص بيني وبينك.. اطلع بَرَّا.. انت مابتفهمش عربي؟!

جذبت «ليلي» «يوسف» من معصمه، واصطحبته إلى خارج المنزل مرّة أخرى كعادتها قبل أن تتصاعد الأمور أكثر، وهي تعتذر لوالد «دينا»، ثم أغلقت الباب خلفهما، وقالت له

بحدة وهي تدفعه حتى يهبط الدَّرَج:

- لأنا مش مصدقك بجد يا «يوسف».. إيه اللي انت بتعمله دا يا أخي؟ الراجل كان هيجيله جلطة.. حرام عليك، دي مش طريقة تفاهم دي أبدًا.. انت لو فضلت كدا بطريقتك دي، اعرف إنك مش هتوصل لأي حاجة.. وهتضيع حق «يُسرا» كمان.. حرام عليك.. أنا أعصابي مابقتش مستحيلة والله.

هبط «يوسف» الدَّرَج بغضب وهو يلثت ويتمتم بكلام غير مفهوم، وتبعته «ليلي» بعين دامعة حتى عادا مرة أخرى إلى سيارته، بعد أن ألقت «ليلي» عليه كثيرًا من اللوم، واستقلَّ السيارة، وقادها «يوسف» مسرعًا، واكتفى هو بالصمت لبضع دقائق، قبل أن ينفجر الحديث من فمه قائلاً:

- انتي شوفتي هو متوتر ازاي.. ومصمم إنه مايتكلمش عن بنته؟ أنا متأكد إن الراجل دا بيداري عليها.

- وارد يا «يوسف»، لكن الكلام مايبقاش بالطريقة دي مع كل واحد نقابله ليه علاقة بـ«دينا» أو بـ«يُسرا».. اللي انت بتعمله دا مش هينفع بجد.. وأنا باقول بقى إن احنا نبلغ الظابط «عاصم» بكل اللي حصل وهو يشوف هيعمل إيه.

سكت «يوسف» قليلًا، وهو ينصت لكلام «ليلي» والتقط

أنفاسه المتسارعة، وبعد دقيقة من الصمت أوماً برأسه،
وقال:

- ماشي.. عندك حق.. واضح إني غلطت فعلاً.. المفروض
كنت قلت للضابط الأول.. وعامةً أنا هاكلمه دلوقتي.

اكتفت «ليلي» بالصمت، بينما أمسك «يوسف» بهاتفه
المحمول، واتصل بهاتف الضابط، فأجابه الأخير وأخبره بأنه
كان على وشك أن يتصل به، ثم طلب منه الحضور لمكتبه
بالقسم لسؤاله عن عدة أشياء، فذهش «يوسف» من تلك
المصادفة الغريبة، وأخبر الضابط أنه قد اتصل به كي يخبره
هو أيضاً عن بعض الأشياء المهمة، ومن ثم سيتوجّه إليه في
الحال، ثم أغلق الهاتف ونظر إلى «ليلي» التي رمقته بنظرة
عتاب وترقّب، ثم سألته عمّا أخبره به الضابط الآن، فأخبرها
بما دار في المكالمة.

نظرت «ليلي» في ساعة هاتفها، ثم قالت له:

- إيه دا؟ الوقت اتأخر أوي.. وأنا بقالي كثير برّا البيت..
والمفروض إني ماتأخرش كدا يعني في الظروف دي.. وماما
زمانها صحيت دلوقتي، وأكيد هتتصل بي.

وفجأة، رنّ هاتفها، وكان الاتصال وارداً من والدتها كما
كانت تخشى تماماً، فاضطربت بشدة عندما قطع حديثها

صوت نغمات هاتفها في أثناء إمساكها إياه، مَا أَدَّى
إلى سقوطه أسفل قدميها، فالتقطته مسرعة، ثم قالت
لـ«يوسف»:

- شوفت؟ أهو دا اللي كنت باقولك عليه.. رجّعني بسرعة
بقى يا «يوسف».. وروح للظابط وابقى كلمني بعد ما تخلص
عشان تقولي قالك إيه.

أوماً «يوسف» إليها برأسه، ثم أعادها إلى سيارتها في
منطقة «الزمالك»، وتوجه بعد ذلك إلى منزله ليحضر النوتة
الخاصة بزواجه قبل أن يذهب إلى قسم الشرطة لمقابلة
الضابط.

الفصل السادس

كان «عاصم» يجلس بمكتبه منسجمًا في أثناء الحديث في هاتفه المحمول مع والدته قائلاً:

- لا يا ماما، عروسة إيه بس؟ هو أنا فاضي؟ يا أمي دا أنا ماروحتش البيت بقالي ييجي أسبوع.. طب ومين اللي هيربي العيال؟! هاسيبهم لأهمم يعني ولا إيه بس؟ لأ انتي إيه يا ماما؟ بس ماينفعش يتعبوكي.. ربنا يديكي الصحة يا رب.. والنبي يا ماما أجلي الموضوع دا شويّة.. لحد ما ربنا يأذن بقى يا ماما، هاعمل إيه يعني؟ لأ، مش هينفع أسيب المباحث يا ماما.. أنا باحب شغل المباحث.. هههههه.. الله يسامحك يا ماما.. ماشي يا ماما.. شكرًا يا حبيبتني.. شكرًا.. حاضر هاجيبه وأنا جاي حاضر.. هتصحي تلاقيه في المطبخ.. مع السلامة يا حبيبتني.. مع السلامة.

دخل «يوسف» المكتب، وصافح الضابط الذي أشار إليه بالجلوس، ثم ضغط على زر مثبت أسفل مكتبه الخشبي، فدلف شاب صغير إلى غرفة المكتب، وطلب منه إحضار فنجانين من القهوة، ثم انصرف الشاب، وبعد ذلك نظر «يوسف» إلى الضابط، وسأله بترقب قائلاً:

- إيه الأخبار يا باشا؟ مفيش أي جديد؟

- في الحقيقة إحنا لسه ماحددناش الجاني.. بس إحنا طبقًا مش ساكتين يعني.. إحنا مخصصين فريق كامل شغال على الموضوع دا ليل نهار.. وإن شاء الله هنوصل لنتيجة قريب جدًا.. قوللي بقى إيه الحاجات المهمة اللي كنت عايز تقولها لي يا أستاذ «يوسف».

أجابه «يوسف» بدهشة وعناد متعمد:

- متهياي إن حضرتك اللي كنت عايز تسألني على شوية حاجات!

فابتسم الضابط ابتسامة خفيفة، وأشعل لفافة تبغ كان مُمْسكًا بها، ثم قال لـ «يوسف»:

- دا حقيقي.. بس أنا عايز أسمع منك الأول الموضوع المهم اللي كنت عايز تقوله.. لو مفيش مانع يعني.

كتم «يوسف» غيظه وهو ينظر إلى الحائط المواجه لمقعده، ولوّح بيده محاولًا إبعاد الدخان المنبعث من سيجارة الضابط عن وجهه.

لم يكن «يوسف» معجبًا بـ «عاصم» بلا أدنى سبب يُذكر، على الرغم من معاملة الضابط الحسنة معه، ومع الجميع، وعلى الرغم من لباقتة المعهودة في الحديث، كان «يوسف» يشعر بالضيق دائمًا عندما يراه أمامه، بل في حقيقة الأمر

كان يشعر بالضيق عندما يتحدث مع أي ضابط كان، وليس «عاصم» فقط! ولكنه كان يدرك جيّدًا أنه مضطر للتعاون معه، حتى يستطيع الضابط أن يكشف عن هوية قاتل زوجته.

تنهّد «يوسف»، ثم التفت إلى الضابط مرّة أخرى، وبدأ في الحديث، وأخبره عن نوتة المذكرات الخاصّة بـ«يُسرا»، وبملخص ما كتبه بها، وأخبره عن مقابله مع الطبيبة «علياء»، مديرة المصحة النفسية، وأيضًا عن لقائه مع والد «دينا»، ثم سكت قليلًا ينتظر سماع رأيه فيما قاله، فلاحظ أن الضابط لم تتغيّر ملامحه، ولم يندهش ممّا قاله «يوسف»، بل ابتسم تلك الابتسامة التي يكرها «يوسف»، ثم قال له:

- كويس جدًا يا أستاذ «يوسف».. فيه حاجة تانية عايز تقولها لي؟

اندهش «يوسف» من رد فعل الضابط، وتعجب من لا مبالاته بما أخبره به منذ لحظات، وقال:

- للأسف.. مفيش حاجة تانية.. بس هو اللي أنا قُلتَه دلوقتي دا مش كفاية؟ دي واضحة أوي يعني إن اللي قتلت مراتي هي المجنونة دي اللي حكيتك عنها...

قاطعه الضابط وهو يهز رأسه اعتراضًا على ما قاله

«يوسف»، ثم قال له بابتسامة هادئة:

- واضح إن حضرتك بتحب شغل البوليس يا أستاذ
«يوسف»، مش كدا؟

ابتسم «عاصم» ابتسامة باهتة كاتمًا شعوره بالضيق، ثم
استطرد:

- بس معلش، نصيحة مني يعني.. يا ريت تبطل اللي انت
بتعمله بخصوص الموضوع دا.. عشان دا شغلنا احنا.. واحنا
عارفين بنعمل إيه كويس.. واللي انت بتعمله دا ممكن
يضرّك، ويصعب الموضوع أكثر.. عشان بالطريقة دي ممكن
القاتل يهرب قبل ما نعرف هو مين.. فلو انت عايز تساعدنا
فعلاً، يبقى تفيدنا بالمعلومات اللي عندك وبس.. دي حاجة.
الحاجة الثانية بقى هي: إنك ماينفعش تخبي علينا معلومة
زي موضوع النوتة بتاعة المجني عليها.. والمفروض كنت
تبلغني من أول ما أخذتها.. دا إذا كنت عايزنا نقبض على
القاتل ويتحاكم.. تمام؟ أتمنى يكون كلامي واضح يا أستاذ
«يوسف»، ولّا أقول تاني؟

قال «عاصم» تلك الجملة الأخيرة وهو ينفخ الدخان
الكثيف من فمه متعمداً في الجهة الأخرى بعيداً عن وجه
«يوسف»، بعد أن لاحظ أن «يوسف» قد انزعج من الدخان،
أما «يوسف» فقد شعر بالضيق والحرص في الوقت نفسه، ثم

قال لـ«عاصم» وهو يضغط على فكيه:

- تمام.. طب وسيادتك هتقبض على «دينا» دلوقتي وتحقق معاها هي ووالدها، ولّا إيه اللي هيتم؟!

انتهى الضابط من تدخين سيجارته، ودفسها في المطفأة الموجودة أمامه، ثم قال لـ«يوسف» باستنكار:

- الموضوع مايمشيش بالطريقة دي يا أستاذ «يوسف».. وبالمناسبة، كل اللي انت قُلتَه ليّ دلوقتي دا ماعداش عليّ زي ما انت فاكرك.. باستثناء موضوع النوتة.. أنا عارف اللي قالتها لك مديرة المصحة، قبل ما انت تروحها أصلاً.. دا غير إننا رحنا لوالد «دينا»، واستجوبناه هو كمان بخصوص الموضوع دا.. وقالّي اللي مارضيّش يقولها لك.

فوجئ «يوسف» بما قاله الضابط، واتسعت حدقتا عينيه، ثم قاطعه قائلاً:

- طب واّزاي عرفت كل المعلومات دي وماقبضتش على «دينا» لحد دلوقتي؟!

أجابه «عاصم» بلهجة جادة قائلاً:

- ماقبضتش عليها عشان مفيش دليل كافي يثبت إن «دينا» هي اللي عملت الجريمة دي.. إحنا شغالين بالقانون يا

أستاذ «يوسف».. الموضوع مش عافية يعني.. وعلى فكرة، كل اللي حصل دا ممكن يكون صدفة مش أكثر.

- ازاي الكلام دا؟ يعني هرب «دينا» من المصححة قبل الفرح بيوم، والفرستان السواريه والدم اللي كان عليه.. كل دا صدفة؟!

قالها «يوسف» بغضب واستهجان.

- كل اللي انت قُلته دا مايدينهش بحاجة.. والفرستان أنا أخذته من والدها وبعته المعمل الجنائي عشان ياخدوا عينة ويحللوها ويشوفوا دا دم مين بالضبط.. ومستني التقرير.

ابتسم «يوسف» استهانةً بما يقوله الضابط، ثم ظل يعيد على مسامع الضابط الكلام نفسه بأسلوب أكثر حدة، ويؤكد أن «دينا» هي مَنْ قتلت زوجته؛ لأنها كانت تحبه بشدة، وأنها قد رُتبت لتلك الجريمة جيّدًا، وهربت من المصححة كي تنفذ مخططها، وظل يحل ويشرح ويستنتج وكأنه المحقق الشهير «هيركيول بوارو».

بالطبع لم يقبل الضابط هذا الكلام وذلك الأسلوب اللذين يتحدث بهما «يوسف»، فأجاب عمّا قاله «يوسف» بلهجة أكثر جدية وحدة، محذّرًا إياه:

- يا أستاذ «يوسف»، بعد إذنك.. أنا مش عارف والله.. هو

أنا محتاج أعيد لك الكلام اللي قلته من شويّة تاني؟!

ثم سكت لبُرهة حتى يهدأ ويحاول استيعاب غضب «يوسف» كذلك، ثم أكمل قائلاً:

- أنا عارف إنك متضايق جداً من اللي حصل.. ودا حقك، وطبيعي طبعًا.. لكن اللي مش طبيعي بصراحة إنك تتدخل في شغلي بالمنظر دا.. اهدا شويّة لو سمحت، واشرب القهوة عشان بردت.. ولّا أجيبك شاي؟! اهدا عشان أعرف أقولك على اللي عايز أقوله.

كان «عاصم» يعلم جيّدًا كيف يتحدث وكيف يراوغ وكيف يسيطر على زمام الأمور، فاستطاع أن يهدّئ من روع زوج المجني عليها دون أن يفقد أعصابه ودون أن تتصاعد حدة الحديث بينهما، وبالتالي فقد اكتفى «يوسف» بالنظر إليه بضيق، ثم أمسك فنجان القهوة، وتجرع منه عدة رشقات متتالية على مضض، وأعادته مرّة أخرى على المنضدة، وتنهد تنهيدة طويلة، ثم قال:

- اتفضل حضرتك.. شربت القهوة خلاص.. إيه بقى اللي كنت عايز تقوله؟

- تمام.. بص يا سيدي.. إحنا جالنا تقرير الطب الشرعي الخاص بالمجني عليها.. وكنت عايز أقولك إن التقرير أثبت

إن المجني عليها تم تخديرها قبل ما يتم طعنها بالسكينة ٣ طعنات.. ودا طبقًا بينفي تمامًا احتمالية انتحار المجني عليها.. فكنت عايزك بقى تقوللي.. انت متأكد إنك ماسمعتش أي صوت بعد أو حتى قبل ما المجني عليها تقول الجملة اللي قالتها؟ يعني سمعت مثلًا صوت باب البلكونة بيتفتح.. بيتقفل.. حد بيتكلم.. صوت خبط مثلًا.. أي صوت شبه كدا؟

سكت «يوسف» قليلًا محاولًا استعادة المشهد ثانيةً في عقله، ثم أجاب بحيرة:

- بصراحة أنا مش فاكر إني سمعت أي صوت خالص.. وإلا كنت خرجت من الحمام عشان أشوف فيه إيه.. لكن أنا حسيت إن الموضوع طبيعي جدًا.. فماهتمتش وكملت اللي أنا باعمله عادي.. بس هو حضرتك بتسأل ليه؟!

- هاقولك ليه.. بس يا ريت تسامحني في اللي هاقوله يعني.. أنا بافكر في إن لو كانت المجني عليها زي ما انت حكيتلي إنك سمعتها بتقول «إيه دا؟!»، ودا أسلوب تعجب.. وبعدها ماسمعتش انت أي صوت بعدها.. فدا معناه إنها اتفاجئت بحاجة أو لمحت حد مثلًا.. فاحتمال إن القاتل كان شخص معروف لـ «يُسر».. وإنها سككت بعد ما قالت الجملة الأخيرة عشان ماتلفتش نظرك؛ لأنها اتعرفت عليه، وعرفت إنه مش حد غريب.. ووارد برضو تكون ماتعرفوش، ويكون

فاجئها بعد ما قالت الجملة دي، وبعدين كتّفها وخط المنديل اللي فيه المخدر على مناخيرها وكتّم صوتها، وبعدين نفذ جريمته.. أو جايّز بقى لسبب تاني إحنا لسه ما عرفنا هوش؛ ودا لأن المعاينة اللي اتعملت على مسرح الجريمة أكدت إن ما حصلش أي مقاومة من المجني عليها للقاتل باستثناء الكدمتين اللي كانوا على دراعاتها، اللي في الغالب حصلوا نتيجة إنها حاولت تفلّص منه وهو مكتفها وبيخدرها؛ لأن الأوضة كانت مترتبة بشكل طبيعي جدّا، وكل حاجة كانت في مكانها تقريبًا.. وبالنسبة لأداة الجريمة.. بعد ما اتفحصت اتضح إن ماكانش عليها أي بصمات غير بصمات «يُسر».. ففي الأغلب اللي عمل كدا كان لابس جوانتي في إيده.. وبعد ما خدّرها نيمها على السرير، وبعدين طعنها بالسكينة وغطاها بعدها عشان يأخرك في إنك تكتشف اللي حصل بعد ما تخرج من الحمام.. وفي نفس الوقت يكون هو بعد عن الأوضة مسافة كافية ويلحق يهرب بعد كدا.. وفي الأغلب القاتل طعنها أكثر من مرة عشان يتأكد إنها ماتت.. وماتلحقش تقولك هو مين لو فاقت من المخدر.. أما بقى سؤالي التاني اللي كنت عايز أسألهولك انت جاوبتني عليه خلاص.. لما حكيتلي عن النوبة بتاعة المجني عليها.. واللي بتأكّد إن «يُسر» كان فيه حد تاني في حياتها قبل الجواز.. غير كمان خطيبها السابق.. ولو كنت انت قُلتلي على موضوع

النوتة دي من ساعة ما لقيتها كنا يمكن وفرنا وقت ومجهود كبير.. وكنا ممكن نحصر الاشتباه في كام شخص.. فيا ريت.. يا ريت يا أستاذ «يوسف»، لو عندك أي معلومة جديدة أو قديمة حتى، تقولنا عليها على طول.. تمام؟

سكت «يوسف» قليلاً، وأشاح بوجهه بعيداً، مُحاولاً تجنّب نظرات الضابط اللائمة له، فقد شعر من داخله بالخطأ الجسيم الذي ارتكبه حينما تأخّر في إخبار الضابط عن تلك المعلومات، لكن عناده وكبريائه حالا دون اعترافه بتلك الأخطاء صراحةً، فاكتفى بإيماءة رأسه وهو يعصّ على شفّتيه كاتمًا غضبه، دون أن يتفوّه بشيء.

بعد لحظاتٍ، طلب منه الضابط أن يعطيه النوتة الخاصّة بزواجه كي يفحصها، فدسّ «يوسف» يده داخل حقيبتة الصغيرة التي كان يحملها، ثم أخرج النوتة وأعطّاها للضابط، الذي استغرق بعض الوقت قبل أن ينتهي من قراءتها، وهو يدوّن بعض الملاحظات في الدفتر الخاص به، ثم نظر إلى «يوسف» وسأله عن «طارق».

فأجابه «يوسف» بمزيج من الحرج والغيرة وأخبره بأنه جار زوجته كما أخبرته «ليلي»، وعندما سأله الضابط عمّا إذا كان يعرف عن علاقته بزواجه من قبل أم لا، أجابه «يوسف» بغضب قائلاً:

- للأسف لأ.. ماكنتش أعرف.. ولو كنت عرفت بالموضوع دا قبل الجواز، في الغالب ماكنتش اتجوزتها أصلاً!

سكت الضابط قليلاً، وأخرج لفافة تبغ أخرى من علبته المعدنية، وأشعلها قبل أن يقول لـ«يوسف»:

- انت شخص غيور بطبعك يا أستاذ «يوسف».. مش كدا؟

- أكيد آه.. أي راجل المفروض إنه بيغير على أهل بيته.. ودا طبعي، وطبع عيلتي كلها.

- انت ماقتليش انت منين في الأصل؟

- أنا والدي وجدّي أصلاً من سوهاج.. اتولدوا هناك.. ووالدي عاش هناك فترة قبل ما يسافر القاهرة عشان يدرس.. وبعد الدراسة اتعين في الحكومة واتجوز وقعد هنا.

أوما الضابط برأسه، وكأنّه فهم من أين جاءت تلك الطباع الخاصّة بـ«يوسف»، ثم قال له:

- طيب، تفتكر المجني عليها كانت خايفة من إيه لما كتبت كدا في مذكراتها الأخيرة؟! يعني فكر كدا في التاريخ دا قبل فرحك بشهرين إلا ٥ أيام.. وقول لي مايفكر كدش بأي حاجة؟

- للأسف أنا قريتها كذا مرة.. وقعدت مع نفسي أفكر إيه اللي حصل في التاريخ دا.. بس ماوصلتش لحاجة.

- طب هو ماكانش فيه أي خلافات بين أسرتك وأسرتها
مثلاً في الفترة دي؟

- لا، هو كان فيه اعتراض بس أول ما اتقدمتها بعد ما
خلّصنا الكلية بشهور.. لكن في الفترة دي الموضوع كان
طبيعي جداً!

أوما «عاصم» برأسه وهو يفكر في آخر تدوينة للمجني
عليها، التي تدل على أنها كانت تشعر بدنو أجلها قبل أن
يحدث، أو على الأقل فهي كانت تشعر بالخطر الوشيك،
ثم أخبر «يوسف» بأنه سيحتفظ بتلك النوتة لحين حاجته
إليها، وطلب منه إحضار بعض الكتابات المكتوبة بخط
يد زوجته حتى يتأكد أن من كتب تلك المذكرات كانت
زوجته المتوفاة، وليس شخصاً آخر، وأخبره بأنه سيرسل
أحد مساعديه الآن معه لإحضار تلك الكتابات، وقبل أن
يغادر «يوسف» شدد عليه الضابط مجدداً بأن يخبره عن
أي معلومات جديدة أو قديمة خاصة بزوجته فور علمه بها،
مؤكدًا تحذيراته السابقة.

أوما «يوسف» برأسه بحرج دون أن يتفوّه بشيء ثم
صافح الضابط على استحياء، قبل أن ينادي الضابط على
أحد الشرطيين، ويطلب منه الذهاب رفقة «يوسف» كما
اتفقا.

غادر «يوسف» القسم، واستقل سيارته مرة أخرى، وبعد أن تحرك بها مباشرة، اتصل بـ«ليلي»، وقصَّ عليها ما دار بينه وبين الضابط، وبعد قليل وصل إلى منزله، وأعطى الشرطي ما طلبه الضابط، ثم دخل غرفته، وارتدى منامته، وجلس على مقعده الخشبي المتأرجح بجوار نافذة غرفته المطلّة على الشارع.

مكث يتأرجح على الكرسي برفق وهو هائم بخياله يتذكر زوجته التي طالما أحبها، ولم يهنأ بالعيش معها، فيبتسم تارة، ثم يعود ويمتعض وجهه تارة أخرى عندما يتذكر ما أخفته عنه حبيبته من أسرار طوال تلك المدة، وهو يتأمل الليل والفراغ الذي ملأ الشوارع المحيطة بمنزله، والذي يذكره بالفراغ الداخلي الذي غمر قلبه.

تذكّر «يوسف» أمر ذلك الجار الذي كانت «يُسرّا» على علاقة به، ومكث يفكر: ترى ما تلك التضحيات التي قدمها هذا الشاب لـ«يُسرّا» من قبل؟ وما الشيء الذي أخفته هي عني، ولجأت فيه إليه؟ كيف استطاعت أن تكون شخصًا آخر هكذا غير تلك الفتاة اللطيفة التي أحببتها سنين طويلة؟ كيف استطاعت أن تكون ذات وجهين بهذا الشكل المخيف الذي لم أتوقعه أبدًا؟ ثرى ما الشيء أو الشخص الذي كانت خائفة منه، والذي فكّرت بسببه أن تعدل عن فكرة الزواج

بي؟ هل هو ذلك المجرم الذي قتلها، أم من هو؟ يا الله،
ساعدني وهون عليّ هذه الأيام الصعبة.

الفصل السابع

في الصباح التالي، اتّصلت «ليلي» بـ«يوسف» كعادتها اليومية منذ ذلك اليوم المشؤوم، واتفقت معه على ميعاد جديد للمقابلة، وتقابلا تلك المرّة في أحد المطاعم المطلة على نهر النيل كما اتفقا، وكان مطعمًا ذا طابع هادئ.. جلسا هناك بجوار إحدى الموائد المحاذية لسور النهر، وطلبا بعض الطعام، ثم بدأ حديثهما معًا.

أخبرها «يوسف» عن رغبته في التحدث مع «طارق»، مشيرًا إلى أن «يُسرًا» كانت تلجأ إليه في الأزمات كما دوّنت في مذكراتها، ويُحتمل أن تكون قد أخبرته بما كانت خائفة منه قبل زفافهما بقليل.

أبدت «ليلي» موافقتها على الفكرة، لكنها اعترضت على قيام «يوسف» نفسه بذلك، وقالت له بتهكم:

- ممم.. طب وانت شايف إنه طبيعي إنك تروح تتكلم مع واحد وانتو الاتنين عارفين إنه كان على علاقة بمراتك؟!

نظر «يوسف» إلى «ليلي» بغضب، وجحظت عيناه فجأةً من شدة الغيظ، فلاحظت هي تلك النظرة الشرسة، فحاولت أن تعدل من كلامها على الفور قائلة:

- أنا قصدي في يوم من الأيام يعني قبل الجواز.. ودي

كمان ماكانتش أي علاقة.. دي كانت علاقة حب.. على الأقل من طرفه يعني.. عشان تقوم رايح بقى انت تتخانق معاه وتضربه.. ومش بعيد البوليس ييجي يقبض عليكو وكدا يعني! انت أكيد بتهزريا «يوسف»، صح؟!

قَطَّب «يوسف» جبينه، وقال بحدة:

- طب اتفضلي قوليلي انتي المفروض نعمل إيه، طالما رأيي مش عاجبك!

أخبرته «ليلي» أنها ستذهب هي بمفردها لمقابلة «طارق»، ثم توافيه بما أخبرها به بعد ذلك، لكنها طلبت منه أن يبلغ الضابط أولاً قبل أن تفعل ذلك، فوافقها «يوسف» على قيامها هي بذلك اللقاء، لكنه اعترض على إخبار الضابط أولاً، ضارباً بتحذيراته السابقة له غرض الحائط، قائلاً:

- ليه يعني؟ هو احنا كل ما هنجب نتكلم مع حد هنروح نستأذن من الشرطة؟ هو قالي لما يبقى فيه حاجة أو معلومة مهمة نبقى نكلمه نقوله عليها.. واحنا لسه معندناش أي حاجة جديدة نقولها.

أقلت «ليلي» إليه نظرة لائمة وهي تفكر فيما قاله، وهزّت رأسها باستنكار، ثم تنهّدت، وأخبرته بأنها ستتصل بـ«طارق» الآن لمقابلته، فأوماً هو برأسه، ثم سألها:

- بس قوليلي الأول هتفتحي معاه الموضوع دا ازاي؟!

- ماتقلقش، أنا عارفة هاجيبه الموضوع ازاي.

حضر النادل، ووضع الطعام على المائدة أمامهما في أثناء شرود «يوسف» بخياله، فانتبه «يوسف»، وبدأ في تناول بعضه، بينما أمسكت «ليلي» بهاتفها، واتصلت على هاتف «طارق» الخاص، فأجابها الأخير بصوت ناعس بائس، وبدأ وكأنه قد استيقظ من نومه تَوًّا على صوت جرس هاتفه، ثم عزَّاهَا في وفاة شقيقتها، فشكرته الفتاة، وأخبرته عن رغبتها في مقابلته للتحدث معه في أحد الأمور المهمة.

زادت دهشة «طارق» عندما أخبرته هي بذلك، لكنه وافق على طلبها، واتفقا على المقابلة معًا في أحد مقاهي المهندسين بعد عشرين دقيقة، ثم أنهت «ليلي» المكالمة، ونظرت إلى «يوسف»، الذي كان يصغي إلى تلك المكالمة باهتمام، وبفم ممتلئ بالطعام، ثم جمعت متعلقاتها الشخصية وأدخلتها في حقيبتها، وأبلغته بأنها ستذهب للقاء «طارق» الآن، وغادرت المكان سريعًا.

بينما كانت «ليلي» في طريقها إلى «طارق»، كان «يوسف» في طريقه إلى منزله، وبعد أن وصل إلى هناك جلس في

غرفته كعادته في صمت ينتظر أن تتصل هي به لموافاته بما أخبرها به «طارق»، وفي أثناء شرود ذهنه، انتفض فجأة حينما سمع نغمات هاتفه المحمول، فنظر إلى شاشته ليجد أن هناك رقمًا مجهولًا يتصل به، فأجاب على الفور.

كان الاتصال واردًا من «محمود»، مصور حفل زفافه، الذي أخبر «يوسف» برغبته في إعطائه القرص المدمج الخاص بتصوير الحفل، فطلب منه «يوسف» أن يأتي إلى منزل والده في حي الهرم، وأعطاه عنوانه، ثم جلس على مقعده ينتظر وصوله.

في ذلك الوقت، انتاب «يوسف» مزيجٌ من المشاعر المتضادة، وتسارعت ضربات قلبه، فكان يشعر بالخوف والقلق من مشاهدة حفل زفافه الذي انتهى قبل أن يبدأ، ومع ذلك كان متلهفًا أيضًا لرؤية آخر لحظات جمعته بزوجته قبل مقتلها.

بعد نحو نصف ساعة، طرق المندوب باب المنزل، ففتح له «يوسف» وتسلم قرصًا مدمجًا وظرًا أبيض مغلقًا به بعض الصور الفوتوغرافية أيضًا، ثم أعطاه بعض البقشيش، وانصرف الشاب، وعاد «يوسف» مرة أخرى إلى غرفته.

جلس على حافة الفراش، ونظر إلى الظرف المغلق بخوف وحزن، وازداد خفقان قلبه أكثر وهو يفتحه بيد مرتعشة،

ثم أفرغ محتوياته بالكامل على الفراش، وبدأ بمشاهدة الصور واحدةً تلو الأخرى، ومكث يتأملها بمشاعر متناقضة ومتداخلة، فكان يبتسم والدموع تسيل من عينيه في آنٍ واحدٍ، حتى إنه لم يستطع أن يتأمل تفاصيل الصور جيدًا.

تنهَّد «يوسف» بعمق، ومسح دموعه بعد أن انتهى من مشاهدة جميع الصور، ثم أحضر الحاسب الآلي المحمول الخاص به الذي اشتراه حديثًا من راتبه الشهري، لم يكن الحاسوب جديدًا، ولكنه كان بحالة جيدة.. فتحه ووضع القرص المدمج بداخله، وشغّل التسجيل المرئي الخاص بزفافه، وجلس يشاهده ويتذكر كل التفاصيل التي حدثت وقتها بحسرة، ودارت ذكرياته مع حبيبته مجددًا في خَلده.

اختلفت مشاعر «يوسف» حينها، ولم يستطع أن يميز إذا كان يشعر بالحزن الآن بسبب فراق حبيبته التي طالما تمنى الزواج بها منذ عدة سنوات، ولم يستطع العيش معها ولو يومًا واحدًا فقط بعد كل هذا الانتظار الطويل، أم أن حزنه كان بسبب خداعها له طوال تلك المدة التي سبقت زواجهما، فقد كان يحبها بشدة، بل كان متيمًا بها، وعلى الرغم ممّا اكتشفه من أكاذيب بعد مقتلها فإنَّ حبها لم يتأثر كثيرًا داخل قلبه، بل كان يلتمس لها الأعذار أيضًا على ما فعلته من داخل أعماقه.

بعد مرور نحو نصف ساعة من مدة عرض تسجيل زفافه،
لفت انتباه «يوسف» إحدى اللقطات لأحد الرجال الموجودين
بالحفل، الذي كان يجلس بمفرده بجوار إحدى الموائد،
وعندما توجهت الكاميرا ناحيته، وهي تدور داخل القاعة،
لاحظ أن الرجل كان يُخفي وجهه بيده اليسرى، كما كان
يوجّه بصره إلى الأسفل تجاه هاتفه المحمول الذي يحمله
بيده الأخرى.

بدالـ«يوسف» أن الرجل كان يعتمد إخفاء وجهه عن
كاميرا التصوير حتى لا يتعرّف إليه أحد عند مشاهدة ذلك
التسجيل، فأعاد «يوسف» المشهد عدة مرات، آملاً أن تأتي
إحدى اللقطات التي تكشف ولو عن جزء من ملامحه كي
يتعرّف إليه، ولكن دون جدوى، فأمسك هاتفه، وصوّر تلك
اللقطة من شاشة الحاسوب، ثم أرسلها إلى هاتف «ليلى»،
وبعدها بدقائق اتصل بها عندما لم يتلقَ منها أي رد، وسألها
عمّا إذا كانت تعرف ذلك الرجل، ولكنها أخبرته بأن التسجيل
المرسل لا يوضح ملامحه جيّداً، فاتفقا على أن يتقابلا بعد
انتهائها من مقابلة «طارق»، حتى تستطيع مشاهدة ذلك
المشهد بصورة أوضح.

استمر «يوسف» في مشاهدة التسجيل حتى نهايته،
ولاحظ أن ذلك الرجل كان يجلس في لقطة أخرى بجوار

مائدة في نهاية قاعة الاحتفال وحيّدًا على الناحية اليمنى، وقد تأكد من كونه الشخص نفسه عند رؤيته رابطة عنقه ذات اللون الأصفر المميّز، لكن الصورة كانت بعيدة بعض الشيء تلك المرة، ولم تتضح ملامحه كذلك.

بدأ «يوسف» بتفقد الصور التي كانت موجودة أيضًا على القرص المدمج نفسه بعدها، ولكنه لم يستطع أن يرى الرجل ذا رابطة العنق البشعة في أي واحدة منها، وحاول أن يفحص الصور مجددًا، ربما قد خانه النظر في المرّة الأولى، وأمضى كثيرًا من الوقت في ذلك حتى شعر بالتعب الشديد، وزاغت عيناه من كثرة تدقيق النظر إلى تلك الصور، فأراح ظهره على الفراش، وغلبه التعب، واستغرق في النوم وهو يردد:

- كرافطة صفراء.. كرافطة صف...

في الوقت نفسه، كانت «ليلي» قد وصلت إلى المكان المتفق عليه، وجلست تنتظر «طارق» الذي حضر، بعد أن دخلت هي مباشرة إلى هناك.

كان «طارق» شابًا ثلاثينيًا، طويل القامة نسبيًا، أبيض البشرة، ذا شعر بني مجعد، وعينين خضراوين، ووجه مربع،

يتميز بوحمة بنية صغيرة وسط خدّه الأيسر، وعلى الرغم من تلك الملامح المميزة، فلم يكن يمتلك نصف وسامة «يوسف»، بل لم يرتقِ إلى درجة الوسامة من الأساس.

دخل «طارق» إلى المقهى بوجه حائر وقلق ظاهر لم يستطع أن يخفيه بداخله، ثم أقبل ناحية المائدة التي كانت «ليلي» تجلس بجوارها وصافحها، ثم جلس في المقعد المواجه لمقعدهما، ودار بينهما حديث قصير عن أحوالهم وأحوال عائلة «يُسرا» أيضًا، ومكث «طارق» يواسيها على ما حدث لهم، وفجأة ألقت «ليلي» عليه سؤالًا مفاجئًا:

- طب وانت يا «طارق» أخبارك إيه؟ انت أكيد زعلان جدًا برضو على اللي حصل لـ«يُسرا» مش كدا برضو؟!

فوجئ «طارق» بذلك السؤال المباغت الذي لم يتوقعه، والذي نزل على مسامعه كالسهم، فظهر الحزن والتعجب على قسَمات وجهه، ثم قال لها:

- أكيد يا «ليلي» زعلان على «يُسرا».. وأكيد انتي عارفة السبب.

- آه عارفة طبعا يا «طارق» إنك كنت بتحب «يُسرا» وكدا يعني.. وهي كمان كانت كدا بالمناسبة، الله يرحمها.

نظر إليها «طارق» بدهشة واستنكار، وتعجب من صراحتها

الفجة، ومن ذكرها لذلك الأمر الذي لم يكن صحيحًا على الإطلاق بالنسبة له على الأقل، ثم سألها مستنكرًا:

- «يُسرًا» اللي قالتك كدا؟!

- أيوه طبعًا.. هي اللي قالت لي كدا قبل فرحها بكام يوم.

فأجابها بسخرية:

- آه طبعًا.. عشان كدا اتجوزت «يوسف».

- لأ معلش.. هي اتجوزت «يوسف» عشان انت اللي خيبت ظنّها فيك.

نظر إليها «طارق»، وقطّب جبينه، ثم قال لها بحدة ودهشة:

- نعم؟! بقى «يُسرًا» قالتك إن أنا اللي خيبت ظنّها في؟! لأ معلش بقى، العكس طبعًا هو اللي حصل.. أنا اللي ضحيت بشغلي وبمستقبلي.. وبكل حياتي تقريبًا عشانها.. وبعدها هي اللي سابتني، وراحت اتجوزت الأخ دا اللي اسمه «يوسف».

- ضحيت بحياتك ازاي بقى يعني مش فاهمة؟ أنا اللي أعرفه إنها هي اللي ضحّت بحاجات كتير عشانك يا «طارق».

انطلق «طارق» في الحديث فجأةً، وكأنه أطلق العنان لما حبسه داخل صدره لوقت طويل مضى، وكأنّ «ليلي»

قد أشعلت فتيل الحرب الكلامية التي انهار منها كثير من
الأسهم المسنونة على وجهها، فقال لها محتجاً على كلامها
الذي استفزّه بشدة:

- باقولك إيه يا «ليلى»، الكلام دا كله كذب.. هي «يُسرا»
ماقالتلكيش قبل كدا إنها اتصلت بيّ في يوم، وكانت بتعيط،
وقالتلي إنها خبطت واحد بعريبتها وهي سايقة، والراجل
مات.. ولما كلمتني وهي مرعوبة، وحكتلي اللي حصل، سبت
الشغل وجريت عليها.. ووصلت عندها قبل ما الشرطة توصل
على طول.. ولما الشرطة جت قلت لهم إني أنا اللي كنت
سابق عريبتها عشان هي ماتتهدلش.. ولما الظابط شاف
الرخص لقي إن رخصة العربية بتاعة «يُسرا» خلصت من
٥ شهور.. وخدني على القسم بعدها، وحطني في الحجز..
وبعدها رُحت النيابة.. ولما مديري عرف الموضوع دا طَّلَّعلي
قرار بالفصل من الشركة الكبيرة اللي كنت باشتغل فيها؟
طب ماقالتلكيش إنه اتحكم عليّ بعدها بسنة سجن وغرامة
غيابي؟ لأ وإيه، لما حاولت إني أتقدم عشان أشتغل بعدها
في أكثر من شركة.. في كل مرّة كنت باترفض بسبب القضية
اللي كانت عليّ.. ومع ذلك أنا اللي صلّحتها عريبتها.. عشان
هي قالتلي إنها مش هينفع تقول لباباها ومامتها.. عشان هما
بيخافوا جدّاً عليها.. ولو عرفوا موضوع الحادثة دا مش
هيفخلوها تسوق أي عربية

تاني في حياتها.. فاضطريت إني أصلحها العربية ساعتها على حسابي.. والسمكري قالي إن العربية هتتكلف كتير عشان هي بعد ما خبطت الراجل دخلت في الرصيف.. وهي ماكانش معاها المبلغ دا ساعتها.. وقالتلي إنها هتدبر المبلغ دا، وهترجعه لي قريب، ومارجعت هوش.. وأنا طبعا اتغاضيت عن كل دا عشان كنت باحبها، وكان نفسي نتجوز.. واكتشفت بعدها إني كنت مغفل.. وإني ضيعت حياتي عشان خاطر واحدة ماتستاهلش.. وكنت مخبي عليها إني أخذت الفلوس دي من خزنة بابا من غير ما يعرف.. وطبعا لما هي ماديتنيش الفلوس، بابا عرف إني سرقتة عشان خاطرها.. وحصل بيني وبينه خناقة كبيرة.. وأنا للأسف فقدت أعصابي عليه وزقيته.. وبابا ضغطه علي ساعتها من الزعل، وجاله جلطة.. آه، والله ماتستغريش جاله جلطة.. والجلطة دي عملته شلل في نص جسمه الشمال.. وبقي بيقد على كرسي بعجل.. وطبعا خسر شغله بعدها. طب بلاش ماقالتلكيش إني لما جيت وصارحتها وقتلتها إني عايز الفلوس، واعترفتلها باللي حصل، قالتلي بكل برود إنها مش عارفة تدبر المبلغ لحد دلوقتي.. واتهربت مني بعدها؟ ماقالتلكيش أي حاجة من دي؟ لأ، وبعد كل اللي حصل دا راحت واتجوزت المغفل الثاني دا وسابتني.. تضحيات إيه بقى اللي قالتلك عليها «يُسرا» مش فاهم؟ «يُسرا» ماعملتش ولو ١ في المية من

اللي أنا عملته معاها.. ومارضيتش تتنازل عن أي حاجة..
«يُسرا» كانت بتاخذ بَسّ يا «ليلي».. وعمرها ما ادّت حد
حاجة.

بدت الصدمة جليّة على ملامح «ليلي» ممّا أخبرها به
«طارق»، وشعرت بالشفقة الشديدة تجاهه، وعجزت عن
قول أي شيء، ووضعت يديها على جبهتها، ونظرت إلى
أسفل بحرج، بل وكادت تبكي، وبعد لحظات نظرت إلى
«طارق»، وقالت له:

- في الحقيقة، أنا عمري ما توقعت اللي انت قلته دا.. أنا
عارفة إن أنكل «محمد» تعب فعلاً.. بَسّ عمري ما توقعت
إن الموضوع دا يكون بسبب «يُسرا».. وأنا بجد مش لاقية
حاجة أقولها لك.. بَسّ أوعدك إني هاقول لماما على الموضوع
دا، وهاردلك فلوسك في أقرب وقت.. يا ريت بَسّ تقولي
المبلغ كان كام، وأنا مسؤولة إني أجيبهولك.

ثم أدخلت يدها في حقيبتها، وأخرجت بعض النقود بيد
ترتعش ودفعت حساب المشروب الدافئ الذي برد دون أن
تتناول منه رشفة واحدة، أما عن «طارق» فلم يتناول أي
شيء، واكتفى بالحديث فقط، ولكنه سكت قليلاً حتى انتهت
«ليلي» من دفع الفاتورة، ثم قال لها بحسرة:

- الوقت اتأخر أوي على رد الدين دا يا «ليلي».. مفيش

داعي إنك ترديه أصلاً.. أبويا اتشلّ خلاص، وساب شغله..
خلاص الفلوس مابقاش ليها لازمة دلوقتي.

ثم تنهّد بعمق، وصمت برهة قبل أن يتابع حديثه قائلاً:

- أنا آسف طبعًا يا «ليلي» إني اتكلمت في الحاجات دي في الوقت دا.. وأتمنى إنك ماتزعليش مني يعني.. بس الكلام استفزني بصراحة.. وأتمنى إن ربنا يسامحها بقي، ويغفر لها.

سكت «طارق» مجددًا لثوانٍ معدودة، ثم قال وهو ينظر إلى «ليلي» بابتسامة شامتة، شعرت منها «ليلي» بأنه «سعيد» بما حدث لشقيقتها:

- وأتمنى إنه يسامحنا، ويغفر لنا احنا كمان بقي.

نظرت إليه «ليلي» نظرة طويلة، ثم أخبرته بأنها تصر على رد هذا الدين، ثم اصطحبت حقيبتها، وانصرفت من المكان على الفور.

استيقظ «يوسف» بعد قليل، وما إن فتح عينيه حتى التقط هاتفه، واتصل بـ«ليلي» التي كانت قد انتهت من مقابلة «طارق»، وغادرت المقهى للتو، وأخبرها بأن تنتظره في سيارتها حتى يصل إليها، وبعد أن وصل إليها، ترجّلت

هي من سيارتها، واستقلت سيارته، ثم حكت له ما حدث بينها وبين «طارق».

استمع إليها «يوسف» بدهشة شديدة، وبدأ أنه لم يصدق ما حدث، ثم قال لها بمزيج من التعجب والحزن والغضب:

- ازاي يعني؟ أستغفر الله العظيم يا رب.. ازاي؟ وإمتى «يُسرًا» عملت كل دا؟!

- أنا اتصدمت بصراحة من اللي قاله.. ومش عارفة ليه أنا حاسّة إنه هو اللي عمل كدا في «يُسرًا» انتقامًا من اللي عملته فيه وفي باباه.. النظرة بتاعته وهو بيقول لي: «الله يسامحها ويسامحنا» كانت مليانة شماتة.. تحسه كان مبسوط كدا من جّواه باللي حصلها، أو إنه خد حقه منها.. مش عارفة!

سكت «يوسف»، وفكر قليلًا في تلك الرواية، ثم قال مستنكرًا:

- باقولك إيه، أنا حاسس إن الواد دا كذاب.. ازاي حصل كل الكلام دا لـ «يُسرًا» من غير ما نحس احنا بحاجة يعني؟!

- أنا بصراحة مش شايفة أي سبب يخليه يكذب في الموضوع دا.. ولو قلنا إنه بيكذب مثلاً في موضوع الفلوس.. فهو مش محتاج أصلاً.. لأن عيلته غنية جدًّا.. وعندهم

أراضي، وكذا فيلا.. وباباه مهندس، وكان مدير شركة عقارات كبيرة جدًا.

سكت «يوسف» قليلًا يفكر مجددًا، ثم أخبر «ليلي» أن باستطاعتها التأكد من رواية «طارق» عن حادث السيارة عن طريق عرض السيارة على أحد مراكز صيانة السيارات الخاص بها، ووافقت «ليلي» على ما قاله قائلة:

- والله براحتك بقي.. أنا عامّة متأكدة من اللي «طارق» قالهولي.. طريقته وهو بيحكي طريقة واحد متأثر بجد.. وماعتقدش خالص إنه يكون ألف القصة دي، وكدا يعني.

- عامّة هنشوف.. آه، نسيت أقولك صحيح.

التفت «يوسف» خلفه، والتقط حاسوبه من أعلى الأريكة الخلفية لسيارته، وفتحه، ثم أدار تسجيل حفل زفافه، وأحضر ذلك المشهد الذي لفت انتباهه من قبل حتى تشاهده «ليلي» بدورها، وجلس يتأمل ملامح «ليلي» وهي تشاهد المشهد بترقب، فالتقطت «ليلي» الحاسوب منه، ووضعتة على فخذيها، واقتربت بوجهها من الشاشة لتتفرّس في ملامح وجه ذلك الشاب ذي رابطة العنق الصفراء، ثم أوقفت التسجيل، وأعادت تلك اللقطة أكثر من مرة، وهي تحاول تدقيق النظر أكثر، وفجأة وضعت يدها على فمها، ونظرت إلى «يوسف» بدهشة، ثم قالت:

- أنا عرفتہ طبعًا.. دا «طارق»!

نظر إليها «يوسف» متشككًا، ثم سألها عن كيفية التعرّف إليه على الرغم من عدم وضوح ملامحه جيّدًا في ذلك التسجيل، فأخبرته أنها قد عرفتہ من لون شعره البني المميز، وكذلك الوحمة التي يظهر جزء منها في الصورة، وعندما دقق «يوسف» نظره في شاشة الحاسوب استطاع التأكّد من تلك المواصفات بدوره، فصرخ مستنكرًا:

- يا بن ال... لو طلع هو أقسم بالله ما هاسيبه.. يا البوليس يعدمه، يا أنا أعدمه بإيدي.. محدّش ضربه على إيدہ، وقاله يسرق أبوه يعني.

نظرت إليه «ليلی» وهو يتحدث، ولاحظت نظرات الشر والغضب الشديد في عينيه، فسكتت، ولم تتفوّه بشيء، وتركته حتى يهدأ بمفرده، فكانت تعلم جيّدًا أن «يوسف» حينما يغضب بشدة يصبح خطرًا محددًا على من حوله، وماذا سيغضبه أكثر من معرفته هويّة قاتل زوجته؟ وحتى لو لم تكن تلك الزوجة التي تمناها، فقد كان جليًا على ملامحه - على الرغم من كل ما علمه عنها - أن حبها لم يغادر قلبه حتى تلك اللحظة.

هدأ «يوسف» قليلًا، ثم قال لـ«ليلی» إنه سيخبر الضابط

بكل تلك المعلومات، حتى يتأكد هو من الأمر بطريقته، فابتسمت «ليلى» باستهجان لآراء «يوسف» المتناقضة، وعناده الغريب، فعندما تطلب منه أن يخبر الضابط عمّا عرفاه مؤخرًا كان يرفض، وعندما لا تطلب منه كان يفعل هو ذلك من تلقاء نفسه.

ترجّلت «ليلى» من سيارة «يوسف»، بعد أن أخبرته بأنها ستعود إلى منزلها، واستقلّت سيارتها، وهمت بالانصراف، وانتظرها «يوسف» حتى بدأت بالتحرك، ثم أدار محرك سيارته، وغادر المكان.

الفصل الثامن

سار «يوسف» بسيارته خلف سيارة «ليلي»، حتى وصلا إلى منزلها، ثم ترك سيارته هناك، واستقلَّ سيارة «يُسرا»، وذهب للقاء الضابط بقسم الشرطة مصطحبًا الحاسوب الخاص به معه، بعد أن اتصل بالضابط، وأخبره الأخير أنه في انتظاره، وبعد أن وصل إلى هناك، قصَّ على الضابط كل ما حدث في لقاء «ليلي» و«طارق»، ثم فتح الحاسوب، وأدار تسجيل حفل زفافه حتى يشاهده الضابط، ثم أخبره أن شقيقة زوجته قد أكدت له أنه الشخص نفسه التي قابلته اليوم.

دَوَّن الضابط بعض الملاحظات في دفتره، ثم شكر «يوسف»، وأخبره بأنه سيتحرَّى عن هذا الأمر، وإذا كان هناك أي جديد، سيتصل به على الفور، فشكره «يوسف»، ثم غادر القسم.

بعد قليل، كان قد وصل «يوسف» إلى أحد مراكز صيانة السيارات في حي الهرم قبل أن يغلق أبوابه بقليل، وقابل أحد المهندسين العاملين بالمكان، وأخبره عن رغبته في شراء تلك السيارة التي يقودها، وأنه يريد تقريرًا تفصيليًا عن حالتها، ومعرفة إذا كانت قد اصطدمت بشيء من قبل، وأصلحت أم لا، فطلب منه المهندس أن ينتظر قليلًا في غرفة انتظار العملاء حتى ينتهي من فحصها، وبعد قليل

عاد إليه المهندس بالتقرير، وشرحه له، وأخبره بأن بعض أجزاء هيكل السيارة جرى استبدالها من الناحية الأمامية للسيارة، بالإضافة إلى تركيب بعض الأجزاء الجديدة كذلك، ممّا يتفق مع رواية «طارق» عن تلك الحادثة، وأن السيارة قد اصطدمت من قبل بشيء صلب من المقدمة، فشكره «يوسف»، ودفع فاتورة فحص السيارة، وقبل أن يغادر المكان مباشرة قاطعه صوت أحد العاملين في المكان:

- يا باشمهندس.. يا باشمهندس.

فالتفت «يوسف»، ونظر خلفه بترقب وهو يركب السيارة، ثم قال:

- أيوه.. خير، فيه حاجة؟!

- لا، أنا بس كنت عايز أقول لحضرتك إني لقيت التليفون المحمول دا تحت كرسي العربية، وأنا باغسلها.. اتفضل.. أكيد حضرتك كنت داخ عليه.

نظر «يوسف» إلى يد العامل الممدودة إليه بدهشة، يتأمل شكل الهاتف الأسود الصغير ذي الكاميرا الخلفية الصغيرة من الخلف وهو يردد بدهشة:

- تليفون؟!

وسكت لبضع لحظات يفكر:

- آه، طيب تمام، متشكر أوي.. أنا فعلاً كنت بادور عليه.. ربنا يكرمك.

ثم أخرج من جيبه بعض البقشيش وأعطاه إياه، فأخذه منه العامل على استحياء مردداً تلك الجملة المعهودة:

- ماتخلي يا باشا.

فشكره «يوسف» مرّة أخرى، وغادر بالسيارة.

بعد أن تحرك «يوسف» مباشرةً أمسك الهاتف، وضغط على زر التشغيل الخاص به، لكنه لم يُفتح، وبدا له أن بطاريته قد فرغ شحنها، فنظر إليه، وظل يقلّبه في كفه يمينًا ويسارًا متأملًا إياه، وفجأة شرد بذهنه قليلاً، فتذكّر أحد الأشياء التي حدثت منذ أكثر من عام، عندما كان جالسًا بجوار إحدى الموائد بضحبة «يُسرا» في المطعم السوري المفضّل لديهما، وكانت الحقيبة الخاصّة بـ«يُسرا» حينها معلقة على أحد جانبي المقعد الذي كانت تجلس عليه، وفي أثناء انشغالهما بتناول الطعام، مر أحد العاملين بالمكان، واصطدم بتلك الحقيبة عن طريق الخطأ، ما أدّى إلى سقوطها على الأرض، وتناثر محتوياتها في كل مكان، الأمر الذي أغضب «يُسرا» بشدة، ما جعلها تصرخ بغضب في وجه العامل قائلة:

- إيه الغباء اللي انت عملته دا؟!

فأجابها العامل بحرج:

- أنا آسف جدًا يا فندم.. والله ماكانش قصدي.

- قصدك ولا مش قصدك إيه بس.. مش عارفة أقولك إيه والله!

انحنى العامل حينها بحرج ليجمع محتويات الحقيبة المتناثرة، وانحنى «يوسف» كذلك ليساعده في جمعها، فتفاجأ عندما لاحظ وجود أحد الهواتف المحمولة الصغيرة بين محتويات الحقيبة، وقبل أن يمد يده ليلتقطه، سبقته يد «يُسر» إليه والتقطته قبل أن تلمسه أصابعه مباشرة، وتذكر «يوسف» ذلك الحوار الذي دار بينه وبين «يُسر» عندما رأى ذلك الهاتف الذي لم يَرَه بضحبتها من قبل، فسألها متشككًا:

- إيه الموبايل الصغير الثاني اللي كان معاكي في الشنطة دا يا «يُسر»؟!

فارتبكت «يُسر» حينها، وأجابته بتلعثم وقلق:

- دا بتاع واحدة صاحبتني كانت عندي امبارح في البيت ونسيته عندي.

- مين صاحبتك دي يعني؟! وجايباه معاكي في الشنطة ليه

يعني مش فاهم؟!

- دي واحدة معايا في الشغل اسمها «نهى».. انت ماتعرفهاش.. وأخذته معايا عشان هي اتصلت بي من موبايل أختها امبارح بعد ما روجت، وقالتلي انها هتقابلني النهارده عشان تاخده مني.. فقلت أجيبه معايا عشان لو كلمتني وقابلتني في أي وقت أرجعهاولها على طول.

- أنا أول مرّة أعرف إن عندك واحدة صاحبك اسمها «نهى»!

- أف يا «يوسف».. هو انت مش مصدقني يعني ولا إيه؟ خلاص تعالى عدّي عليّ في الشغل لما أنزل الأسبوع الجاي، وهابقي أعرفك عليها.

على الرغم من أن «يوسف» كان حقًا سريع الغضب، فإن زوجته كانت تمتلك شخصية مُسيطرَة بعض الشيء، تجعلها تنتصر دائمًا في نهاية أي جدال يدور بينهما، حتى إن كان الأمر مخالفًا لرغبته، فقد كان حب «يوسف» لها بمنزلة نقطة ضعفه، وفي مثل تلك المواقف كان يحاول دائمًا إمساك لسانه لعدم إغضاها، وحينئذٍ صمت «يوسف» قليلًا، وكنتم غضبه بداخله، ثم قال لها بهدوء:

- ممكن تديني الموبايل دا؟! عايز أشوفه لو سمحتي.

- لاء. أكيد مش هينفع يعني، دا موبايل صاحبتى.. وأكيد مش هينفع تشوف اللي جواه.. افرض فيه صور خاصة بيها يعني.. هتشوفها ازاي بقى؟! عيب يعني! ولو سمحت يا «يوسف» بطل الشك والغيرة الأوفر اللي جواك دي.. عشان كذا كتير بصراحة.. والموضوع مش مستحمل أصلاً.

اضطر «يوسف» إلى أن يصمت حينها، ويدع ذلك الأمر يمر بسلام، وعلى الرغم من شكوكه وشعوره بالضييق الشديد، فقد تناسى ما حدث تمامًا مع مرور الوقت.

ظل «يوسف» شاردًا طوال الطريق حتى وصل أسفل منزل «يُسرا»، وأعاد سيارتها، ثم استقلَّ سيارته، وأكمل طريقه حتى وصل إلى منزله، ودخل غرفته مسرعًا، وظل يبحث عن شاحن مناسب لذلك الهاتف مجهول الهوية، وبعد بحث دام طويلًا بين أدراج الدولاب وأدراج الكومودينو المجاور لفراشه، عثر على واحد بدا مناسبًا، فوضعه بداخل الهاتف، وأوصله بالكهرباء، ثم انتظر دقائق معدودة مرت عليه وكأنها ساعات طوال للهفته الشديدة لمعرفة ما بداخل الهاتف، ثم ضغط على زر التشغيل للحظات حتى فُتح الهاتف، وأضاءت شاشته الملونة، وما إن فُتح، بدأ في فحصه بترقب شديد، فعثر على خمس رسائل تحمل الاسم نفسه، وواحدة أخيرة

من رقم آخر غير مسجل.

حاول «يوسف» أن يقرأ الاسم المسجل به صاحب الرسائل الخمس والمحفوظ على ذاكرة الهاتف، لكنه وجد صعوبة بالغة في ذلك؛ لأن «يُسرا» كانت تحفظ أرقام الهواتف بحروف، وليس بأسماء مقروءة، وكانت الحروف هي A.SH.W»، فنظر «يوسف» إلى تلك الطلاسم ولم يفهم شيئًا، فتح أول رسالة وقرأها بتاريخ 2/3/2017:

- «يُسرا»، انتي صحيح هتتجوزي؟ طب وأنا يا «يُسرا»؟ وأنا؟!

ثم مكث يفتح بقية الرسائل واحدة تلو الأخرى..

بتاريخ 3/3/2017:

- «يُسرا».. أنا عمّال أكلمك مابتريديش! ولا بتيجي الشغل.. كلميني ضروري أول ماتشوفي الرسالة.

بتاريخ 5/3/2017:

- «يُسرا»، أنا عرفت من «سالي» إنك هتتجوزي فعلاً واحد اسمه «يوسف».. أقسم بالله يا «يُسرا» ماهاسكتلك، وحياة أمي لهابوّظلك الجوازة دي لو الموضوع دا طلع بجد.

بتاريخ 7/3/2017:

- لاء، ما هو انا اصلي مش بعد ما طلقت مراتي.. ورميتها في الشارع.. ومراتي رفعت علي قضية نفقة.. تروحي انتي كدا وتتجوزي ولا كان حصل حاجة.. لاء دا انتي باين عليكي ماتعرفيش انا ممكن اعمل ايه.. كلميني احسن لك يا «يسرا».. عشان لو ما كلمتينيش هتزعلي بجد مني.

بتاريخ 2/5/2017:

- ألف مبروك يا عروسة.. ايه، مش ناوية تعزميني على الفرح ولا ايه؟! ايه خلاص نسيتي كل حاجة؟ دي ماكانتش عشرة سنتين دي.. عامّة حتى لو مش هتعزميني انا كدا كدا جاي عشان اتعرف على عريسك وأباركله طبعًا، وأقول له إنه فعلاً عرف يختار!

كان «يوسف» يجلس واجمًا مصدومًا وهو يقرأ تلك الرسائل، وبحركة تلقائية ألقى الهاتف على فراشه، وظل يضرب كفًا بكف، ثم ضرب الحائط المجاور له بيده بقوة عدّة مرّات متتالية من شدة الغيظ، حتى تورّمت يداه في حينه، ومكث يهز رأسه باستنكار غير مصدقٍ ما قرأه للتو، ثم تذكر أمر تلك الرسالة الأخيرة التي لم يفتحها، والتي كانت من رقم هاتف لم يُحفظ على ذاكرة الهاتف، فأمسك الهاتف مرّة أخرى، ونظر إلى تاريخ الرسالة فوجد أنها بتاريخ 9/3/2017، ففتحها ليقرأ تلك الجملة الصغيرة:

- لكل ظالم نهاية.

ارتقى «يوسف» بجسده على مقعده الخشبي المجاور لنافذة غرفته، وحاول أن يتمالك أعصابه ويهدأ قليلاً، ومكث يرتب أفكاره، محاولاً أن يحل ما قرأه الآن من تلك التهديدات الصريحة، وظل يحدث نفسه بداخله:

ثرى من هذا الأحمق الذي أرسل تلك التهديدات صراحة هكذا إلى هاتف «يُسرا»؟ لقد ذكر في رسالته اسم «سالي».. يبدو أنها «سالي» زميلتنا في الجامعة التي كانت تعمل مع «يُسرا» في الشركة نفسها.. يجب أن أتصل بها، وأسألها عن ذلك الرجل، ولكن من صاحب تلك الرسالة الأخيرة؟ يجب أن يكون هو من قتل «يُسرا»، ولكن لماذا أرسل إليها تلك الرسالة؟ لا أصدق حقاً.. ما كل هذه الأسرار يا «يُسرا»؟ وكيف لم أعلم عنها شيئاً إلا الآن؟ هل كنتُ ساذجاً إلى هذا الحد؟!

أمسك «يوسف» بالهاتف مجدداً، وظل يبحث عن رقم «سالي» بين أرقام الهواتف المسجلة عليه، ولاحظ أن هناك عدة أسماء مسجلة، وبجوارها كلمة «work»، أو «الشغل»، وبعد أن بحث قليلاً عثر على رقم محفوظ باسم «سولي»، فقال لنفسه: «أكيد هي دي»، وقبل أن يتصل به، نظر في ساعة الهاتف ليجد أنها قد تخطت الثانية عشرة بعد منتصف

الليل، فأدرك أن الوقت قد تأخر كثيرًا على إجراء تلك المكالمات، وذهب إلى فراشه على مضض، بعد أن قرر تأجيل تلك المكالمات إلى الصباح الباكر.

لم يَنَمْ «يوسف» إلا قليلًا في تلك الليلة من كثرة التفكير، وقضى معظمها في أرق شديد وقلق، وانتظر حتى تخطت الساعة الثامنة صباحًا، ثم اتصل بـ«سالي» على الفور، وبعد أن رنَّ الهاتف قليلًا، أجابه صوتها بقلق:

- ألو.

فأجابها «يوسف» بتردد:

- أيوه.. «سالي» معايا؟

- أيوه، أنا «سالي».. انت «يوسف» مش كدا؟!

تعجَّب «يوسف» من أن «سالي» قد تعرَّفت إليه سريعًا، على الرغم من أنه لم يتصل بها من هاتفه الخاص من قبل، فسألها مستنكرًا:

- أيوه أنا «يوسف».. انتي عرفتني منين؟!

- ازيك يا «يوسف».. البقاء لله.. أنا أصلي معايا رقمك.

- معاكي رقمي؟ ازاى؟ دا انا عمري ما كلمتك في الموبايل قبل كدا.. دا غير إني غيَّرت رقمي اللي كان معايا في الكلية

كذا مرة!

- لأ، ما هو أصل أنا كنت أخذت رقمك من موبايل «يُسرًا» قبل كذا.. عشان كنت بافكر أكلّمك بصراحة من فترة، بس غيرت رأيي يعني.

- تكلميني؟ تكلميني في إيه؟! وغيّرتي رأيك ليه؟ أنا مش فاهم حاجة بصراحة.

أخبرته «سالي» بأن الأمر يطول شرحه، وأنها داخل مقر عملها الآن، ولا تستطيع التحدّث بحرية، فاتفق معها على لقائها في مقهى يُسمى «كوتس» بجوار مقر عملها في المهندسين.

أنهى «يوسف» المكالمة، ثم خرج من غرفته، فوجد أمه قادمة من ناحية المطبخ ممسكة ببعض أطباق الطعام، وعندما شاهدته يخرج مسرعًا في اتجاه باب المنزل نظرت إليه بقلق، وسألته عن وجهته، فأخبرها بأنه سيُقابل أحد زملائه ويعود على الفور بعدها، ثم توجه نحوها واحتضنها، وخرج من المنزل، ليتركها بابتسامة باهتة ودعاء من القلب إلى الله بأن يحفظه ويوفقه ويُبعد عنه الشر.

وصل «يوسف» إلى المقهى المتفق عليه، وقابل «سالي» التي عزّته في وفاة «يُسرًا»، فشكرها، وجلس أمامها، ثم قال

لها بترقب:

- إيه يا «سالي»؟ فيه إيه بقى؟ قلقتيني.

- في الحقيقة يا «يوسف»، أنا أخذت رقمك من موبايل «يُسرا» من غير ما هي تاخذ بالها.. في يوم كدا واحنا في الشغل؛ عشان كنت عايزة أنبّك لحاجة مهمة ساعتها.. بس بصراحة خفت إنك ماتصدقنيش.. أو تقول لـ«يُسرا»، فتحصل مشكلة بيني وبينها.. وأنا بصراحة كنت باخاف منها.. وباتجنّب أي مشكلة معاها أصلاً.

- بتخافي منها؟ هي للدرجة دي كانت «يُسرا» بتخوّف وأنا ماعرفش؟! ما علينا.. طيب إيه بقى اللي كنتي عايزة تنبهيني ليه؟!

- كنت عايزة أقولك إن «يُسرا»، الله يرحمها يعني، كانت على علاقة بمديرنا في الشغل.. مش قصدي علاقة وحشة لا سمح الله.. بس تقدر تقول كدا كانت مفهّماه إنها بتحبه، وإنها هتتجوّزه.. ودا طبعاّ عشان توصل للي هي عايزاه مش أكثر.

- نعم؟! مديرها كمان؟! وإيه بقى اللي هي كانت عايزة توصل له إن شاء الله؟!

- يعني إنها تترقى في الشغل.. وتتنقل قسم ثاني فيه مميزات أكثر.. تتأخّر على الشغل براحتها.. تاخذ الأجازات

اللي هي عايزاها.. يديها الشغل اللي بيبقى فيه مكافآت كويسة.. كدا يعني.. وطبعا دا راجل أد أبوها.. عنده ييجي ٥٠ سنة مثلا، أو يمكن أكثر.. وطبعا هو ما صدق إنه لقي شابة أمورة وصغيرة زيها تديله ريق حلو.. فطبعا حبها.

- مممم.. ما شاء الله! أنا مش مصدق والله.. أنا حاسس إني باحلم.. بقالي حوالي أسبوع باحلم والله!
ثم سكت «يوسف» قليلا، وتنهد، ثم استطرد:

- طب والموضوع دا كان معروف بقى عندكم في الشغل وكدا عادي؟!

- لأ مش لدرجة معروف يعني.. بس هو الناس كانت حاسة طبعا من المعاملة المميزة اللي كان بيعاملها لها المدير.. ونظراته طبعا كانت فاضحاه.

ضغط «يوسف» على أسنانه محاولا كتمان غيظه، وهو يقول:

- مممم.. كملي.. وبعدين؟!

- ولا قبلين، دا كل الموضوع.. فأنا بس كنت عايزة أنبّهك للموضوع دا ساعتها عشان انت يا «يوسف» إنسان كويس ومحترم وماتستاهلش واحدة زيها.. وطبعا عشان العشرة

اللي كانت بيّنّا أيام الجامعة.. بسّ لما قعدت مع نفسي وفكرت بالعقل، اكتشفت إن أنا كدا اللي ممكن أتضرّر أكثر واحدة.. وممكن «يُسرا» تقول للمدير.. فالمدير يمشيني من الشغل مثلاً.. فبصراحة قُلت مالميش دعوة.

وضع «يوسف» يده على عينيه، وهز رأسه وهو يقول بحسرة:

- يا ريتك كنتي قُلتيلي والله.. يا ريت!

- بصراحة يا «يوسف»، أنا مش عارفة انت ازاي اخترت «يُسرا» دونًا عن البنات كلها اللي في الجامعة.. أنا كنت شايفة إن «دينا» أنسبك بكتيير بصراحة.. لكن «يُسرا» كانت معروفة بشرّها وسطنا، إحنا البنات زمايلها.. وكلنا كنا بنعمل لها حساب أصلاً؛ لأنها كانت ذكية جدّا بصراحة، وعارفة نقطة ضعف كل واحدة فينا.. فكلنا كنا بنتجّبها.. و«دينا» الوحيدة اللي كانت بتقف لها رغم إنها كانت طيبة أوي، وكانت بتحبك جدّا على فكرة.. بسّ للأسف هي كمان ماسلمتش من عمايل «يُسرا».

- «دينا» المجنونة؟! وماسلمتش ازاي بقى إن شاء الله؟!

- «دينا» كانت عاقلة وكويسة ومفيهاش حاجة على فكرة.. وهي اللي حكت لـ «يُسرا» عليك أول مرة.. و«يُسرا» طبعا

ماسكتتش إلا اما خدتك منها.

- بس أنا أصلاً ماكانش فيه حاجة بيني وبين «دينا» يعني،
عشان «يُسرّا» تاخدني منها!

- بس كنتوا بتتكلموا في الأول.. و«دينا» كانت طلبت من
«يُسرّا» تقولك إنها معجبة بيك، وتعرف انت ممكن ترتبط
بيها ولا لأ.. ولما قالتك انت قتلها إنك مش واخد بالك مين
«دينا» دي أصلاً.. ولمّا شاورتك عليها قتلها إنك مش مهتم..
وبعدها الموضوع انتهى بينك وبين «دينا».

- يا بنتي باقولك ماكانش فيه حاجة بيّا عشان «يُسرّا»
تنهي الموضوع.. وبعدين «يُسرّا» عمرها ما قالتلي على
موضوع «دينا» دا أساسًا.

- كمان؟! يعني «يُسرّا»، الله يرحمها، كانت بتحوّر في دي
كمان؟! والله أنا كنت حاسّة أصلاً.

ازدادت صدمات «يوسف» واحدة تلو الأخرى، وحاول أن
يقنع نفسه بأن «سالي» تبالغ في الكلام السيئ عن «يُسرّا»،
ربما قد آذتها «يُسرّا» هي الأخرى، لكنها لم تذكر ذلك، ولكن
بداخله كان لا يستبعد ما أخبرته عنها، وكان يعرف في قرارة
نفسه أن ما قيل هو شيء متوقّع حدوثه من زوجته التي ما
زالت تفاجئه بأسرارها وأفعالها البشعة بعد مقتلها، خصوصًا

بعد أن علم ما فعلته مع «طارق» الذي تسببت له في كثير من المشكلات الكارثية في حياته، ثم تركته بعد ذلك دون حتى أن تعتذر أو تعوضه عن أي شيء! وأيضًا بعد أن وجد ذلك الهاتف الذي لم تخبره «يُسرا» بوجوده، وبعد أن قرأ ما بداخله من رسائل وتهديدات، وما قرأه أيضًا في النوتة السريّة الخاصّة بـ«يُسرا».

مكث «يوسف» يؤثّب ضميره ويجلد ذاته، وازداد شعوره بالغباء والحسرة على طبيته وسذاجته، وسرح بخياله يفكر فيما حدث وهو ينظر إلى «سالي» التي لم تكف عن الحديث المتواصل والسب في حق «يُسرا»، وكأنها لن تستطيع أن تصمت بعدها أبدًا.

كانت «سالي» فتاة عشرينية في عُمر «يوسف» نفسه تقريبًا، قصيرة نسبيًا، ولديها بشرة بيضاء كالثلج، وعينان عسليتان، وترتدي الحجاب والملابس الفضفاضة، فتشعر حينما تراها للوهلة الأولى أنها فتاة ذات خلقٍ عالٍ، لا تشوبها أي شائبة سوى السباب في حق زوجة «يوسف» المتوفاة، ولكن في الحقيقة لا أحد يستطيع النظر داخل أي شخص آخر ليدرك ما يخبئه من مشاعر حقيقيّة، أو ليتأكد من صدق نيته.

توقفت «سالي» أخيرًا عن ثرثرتها المستمرة للحظات عندما

لاحظت أن «يوسف» قد سرح بخياله بعيدًا، وأنه لم يعد يعلق على ما تقوله، وكأنها أغلقت فمها لتعطيه مهلة حتى يستوعب كل تلك المفاجآت التي أخبرته بها الآن، وبعد ثوانٍ نظر إليها «يوسف»، ثم قال:

- أنا بسّ اللي مستغرب له، إن ازاى «يُسرا» كانت وحشة أوي كدا مع كل اللي حواليتها.. وأنا الوحيد اللي ماكُنتش ملاحظ الموضوع دا.. هي آه أنا باعترف يعني إنها كانت شخصيتها قويّة شويتين، لكن فيه أوقات تانية كانت بتبقى رقيقة وحنينة أوي معايا.. وإلا ماكُنتش حبيتها واتمسكت بيها واتجوزتها!

قالها «يوسف» مُعَاتِبَةً وتبريرًا لسذاجته الواضحة، فاستشعرت «سالي» ما شعر به، وحاولت أن تجبر بخاطره، ولو قليلًا، فقالت:

- بصراحة يا «يوسف»، «يُسرا» كانت بتحبك فعلاً.. انت الوحيد اللي حبتك بجد.. ودي يمكن الحاجة الوحيدة العِدلة اللي هي عملتها في حياتها.. عشان كدا يمكن هي كانت بتبقى ضعيفة أحيانًا قدامك.. وانت أكيد ماحستش بالموضوع دا عشان انت بتحبتها.

ثم زادت «سالي» الطين بِلَّةً بعدها، واستطردت بابتسامة ساخرة معاتبة إياه:

- وبصراحة انت أصلاً ماكنتش اجتماعي خالص أيام الكلية
يا «يوسف».. وطبيعي إنك ماتعرفش أي حاجة من الحاجات
دي.

رمقها «يوسف» بنظرة حرجة، وحاول أن يحفظ ماء وجهه
قائلاً:

- طب يعني مفيش حد واحد بس قدر ينبهني لأي حاجة
من الحاجات دي؟ واحد بس حتى! طب الناس اللي معاها
في الشغل ماكانوش يعرفوني كويس، لكن الناس اللي في
الجامعة إيه؟ دا حتى «ليلي» ماقلتليش أي حاجة.. ولأ
صحيح هتلاقىها هي كمان كانت بتداري عليها.. ما هي أختها
برضو (قالها باستنكار).

- على فكرة، «ليلي» و«يُسر» ماكانتش علاقتهم حلوة
أصلاً ببعض.. وكنت ساعات باسمعهم وهما بيتخانقوا في
التليفون، و...

وقبل أن تبدأ «سالي» في سيل جديد من الثرثرة الأبدية،
قاطعها «يوسف» بسخرية قائلاً:

- هو انتي يا «سالي» عارفة كل حاجة عن «يُسر»؟!
فاجأها «يوسف» بذلك السؤال التهكمي الصادم حتى

يُسكتها قليلاً، فنظرت إليه «سالي» بتعجب رافعةً حاجبيها لأعلى، وأغلقت فمها دون أن تجيب عما قاله، فاستطرد «يوسف» في الحديث وكأن شيئاً لم يكن:

- عامّةً أنا فيه حاجة كنت عايز أسألك عليها، هو المدير بتاعكو دا كان اسمه إيه؟

فسكت «سالي» لبرهة قبل أن تجيبه بإجابة مختصرة ونبرة جادة:

- اسمه.. «أحمد».. «أحمد شاكر».

سكت «يوسف» قليلاً يتذكّر تلك الحروف التي حفظ رقمه بها على هاتف «يُسرا» مردداً في سرّه: «A.SH.W»، فوجد أنها متطابقة مع اسمه، وأوماً برأسه، ثم أخرج ذلك الهاتف الأسود الخاص بـ«يُسرا»، ورفعهُ أمام عيني «سالي»، وسألها قائلاً:

- هو الموبايل دا بتاع «يُسرا»؟

التقطت «سالي» الهاتف من يده، وأخذت تتفحصه جيّداً، وتدقق النظر فيه، ثم أخبرته أن «يُسرا» كانت تملك واحداً مشابهاً، وتابعت قائلة:

- متهيّالي هو، بس مش متأكدة بصراحة عشان ماظلمهاش.

تمتم «يوسف» في سرّه: «ما تظلميهاش؟! هو انتي لسه هتظلميه بعد كل تقطيع فروتها اللي انتي عملتيه دا؟!»، ثم سألها:

- طب ودا رقم موبايل المدير بتاعكم؟

نظرت «سالي» إلى الرقم المكتوب على الهاتف، ثم أخرجت هاتفها، ونظرت إلى شاشته قليلاً لثقارن بين الرقم المحفوظ على ذاكرة هاتفها والرقم الآخر، فوجدت أن الرقمين كانا مختلفين، فقالت:

- لا، أنا معايا رقم ثاني ليه.. ما عرفش بقى إذا كان الرقم دا بتاعه برضو ولا لا.

- طيب بُصي، هو باعت رسالة لـ «يُسرا» بيقولها إنه عرف إنها هتتجوّز منك انتي.. انتي قُلتيله الموضوع دا فعلاً؟

- آه، بصراحة قُلتله فعلاً.. في يوم كدا كانت «يُسرا» قعدت ماتجيش الشغل لمدة يومين، وهو كان باين عليه أوي إنه متعصب ومتوتر، وسأل عليها كذا مرة.. فأنا قُلتله بقى إن «يُسرا» مشغولة أصلاً عشان بتجهز لفرحها بعد شهرين تقريباً في نادي «المهندسين» في الزمالك.

نظر إليها «يوسف»، واتسعت حدقتا عينيه باستنكار، وشرّد بذهنه يفكر في أنها قد أخبرت مدير زوجته الغاضب بمكان

الزفاف، يبدو أن الجميع كان يكره «يُسرًا»، ويتمنى لها الشر عداه هو! ثم تذكر أمر رسائل التهديد التي أرسلها ذلك المدير إلى هاتفها، فأوماً برأسه، وأضاف «أحمد شاكر» إلى القائمة الوهميّة للمتهمين المحتملين بقتل زوجته، ثم استفاق من شروده، وعاد مجددًا إلى عالم الواقع والمقهى الذي يجلس بداخله على الصوت الذي لا يتوقف.

- بيني وبينك، قلت أريّحه بقى وأقولّه بطريقة غير مباشرة إنه ينسى الموضوع دا.

ابتسم «يوسف» بسخرية، وهو يقول:

- بطريقة غير مباشرة؟! دا انتي قُلتيلُه كل حاجة تقريبًا! ما علينا.. طيب هو الراجل دا لسه موجود عندكم في الشغل؟

- لأ، دا مشي بعدها بيومين بالضبط.. لما «يُسرًا» رجعت الشغل.. فجأة كدا لقيناه بيلم حاجته ومشى.. وبعدين الإشاعات انتشرت بقى.. وفيه ناس كانت بتقول إنهم شافوا «يُسرًا» خارجة من مكتب المدير العام يومئذ.. وبعدها بدقايق أستاذ «أحمد» دخل له هو كمان.. وفي نفس اليوم برضو ساب الشغل.. فبيقولوا إن «يُسرًا» اشتكتة وكدا.. ودا السبب إنه مشي من الشغل يعني.

سكت «يوسف» قليلًا يفكر في ذلك المدير المُتصابي، ثم

تذكر الرسالة الأخيرة الموجودة في هاتف «يُسرا»، التي كانت من رقم مجهول، فسأل «سالي» عن الرقم وهو يشير إليها بإصبعه إلى شاشة هاتف «يُسرا»، فحدّقت «سالي» في الشاشة مجددًا، ثم نقلت الرقم إلى هاتفها، ولكن لم يظهر لها أي اسم، فأجابته قائلة:

- لا، الرقم دا مش متسجّل عندي.. بس ما له الرقم دا؟

- الرقم دا بعت رسالة لموبايل «يُسرا» بيقولها: «لكل ظالم نهاية»!

- إيه؟ يعني صاحب الرقم دا هو اللي عمل كدا فيها؟!

نظر إليها «يوسف» نظرة لائمة وكأنه أراد أن يقول إنه لا يستبعد أن تكون هي التي فعلت ذلك، ثم قال:

- مش عارف.. جايز برضو.. طيب انتي ماتعرفيش حد في شركة المحمول دي يقولنا الرقم دا باسم مين وعنوانه وكدا؟

- لا، بصراحة ماعرفش.. وعامّةً هما ممنوع عندهم يقولوا بيانات عملائهم لأي حد غير بإذن نيابة تقريبيًا.. عشان أنا واحدة صاحبتي كان موبايلها اتسرق، ولما كلمت الشركة، قالولها لازم تعملي محضر وتجييلنا قرار من النيابة بكدا.. و...

وضع «يوسف» يديه على جانبي رأسه حتى لا يسمع بقية

حديثها الذي لم يكن يهتم بمعرفته، خصوصًا في ذلك الوقت، وسرح قليلًا يفكر، وأدرك أن عليه أن يُخبر الضابط بهذا الرقم، لا محالة، ضاربًا بكرامته التي انتهكتها «يُسرا» بأفعالها وعلاقاتها قبل زواجهما بقليل عرض الحائط؛ لأن الضابط هو الوحيد الذي يستطيع معرفة هُويّة مالك ذلك الهاتف، وفي أثناء شرود ذهنه وتجوّل الأفكار برأسه، قاطع شرودّه صوت «سالي»:

- إيه يا «يوسف»؟ رُحت فين؟

- لأ مفيش، معاكي.. معاكي..

هَبَّ «يوسف» واقفًا فجأةً، ثم شكر «سالي»، وودّعها، وخرج من المقهى بألم شديد في نصف رأسه الأيمن، ثم استقلَّ سيارته، وغادر المكان، وفي الطريق التقط الهاتف فجأةً، ونقل رقم الهاتف مُرسِل الرسالة الغامضة إلى هاتفه واتصل به، ليرن الهاتف كثيرًا قبل أن يجيبه صوت رجل ذي لهجة شعبية جليّة قائلاً:

- ألو.

- أيوه.. مين معايا؟

- انت اللي متصل.. مين انت يا عمّ انت؟

- لو سمحت الرقم دا بعثلي رسالة على موبايلي من فترة،
وأنا ماخدتش بالي منها غير النهارده.. ممكن أعرف مين
معايا؟

- بعثلك رسالة؟! من فترة إمتى يعني سعادتك؟!

- من حوالي شهرين كدا.

- شهرين؟! شهرين إيه يا ريس؟! أنا فاكر كنت إيه امبارح؟!
مين معايا انت؟!

- أنا «حسام إبراهيم».. قولّي بقى اسمك يمكن نكون نعرف
بعض.

- اسمي «مصطفى» يا عام.. كدا عرفتني يعني؟!

- انت تعرف واحدة اسمها «يُسرا» يا «مصطفى»؟

- «يُسرا»؟! «يُسرا» مين يا عم انت؟! يا عم باقولك إيبيه،
أنا لسه صاحي من النوم وانت عمال تقولّي إشي «حسام»،
وإشي «يُسرا».. باقولك إيه يا جدع انت، الرقم غلط..
ماتتصلش هنا تاني.. واتكل على الله بقى عشان عايز أناام.

أنهى الرجل المكالمة سريعًا قبل أن يعطي «يوسف»
الفرصة ليقول أي شيء آخر، وحاول «يوسف» أن يتصل به
أكثر من مرة بعد ذلك، لكن الأخير لم يرد على هاتفه أبدًا

بعدها.

كان «يوسف» يأمل في معرفة كل أسرار «يُسرّا» بمفرده، تلك الفتاة التي طالما أحبها، ووثق بها، وتمناها زوجةً له، ولم تكن هي جديرة بذلك الحب وتلك الثقة؛ فلم يكن يتخيل أبدًا أن تلك الحبيبة ستخيّب ظنه كما حدث! لكنه على الصعيد الآخر كان يعلم في قرارة نفسه أنه لن يستطيع أن يعرف قاتل زوجته وكل الأسرار الأخرى دون إخبار الضابط بكل شيء، لكنه كان يخشى من أن يلومه الأخير على تلك التصرفات التي فعلها من تلقاء نفسه على الرغم من تحذيره بعدم فعل ذلك مسبقًا، فكان «يوسف» حائرًا بين إخبار الضابط بما فعله، والخوف من إلقاء الضابط اللوم عليه.

الفصل التاسع

بينما كان «يوسف» جالسًا مع «سالي» في المقهى سالف الذكر، كان «عاصم» مجتمعًا بزملائه من الضباط يتناقش معهم حول تلك القضية، ويشرح لهم ما توصلت إليه التحريات من معلومات قائلًا:

- بُصوا يا بهوات، دلوقتي بقى بعد التحريات اللي عملناها لكل معارف المجني عليها، سواء من ناحية أصحابها، أو زمايلها في الشغل.. أو معارفها ومعارف جوزها، وبعد ما اطلعنا على تقرير الطب الشرعي اللي استنتجنا منه إن مرتكب الجريمة يرجح إنه قتل المجني عليها بدافع الانتقام، ودا لأن الجروح الناتجة عن الطعن كانت عميقة جدًا.. وكانوا ٣ طعنات بعمق نصل السكينة بالكامل، وبنفس الشكل تقريبًا.. ودا بيدلّ على الغل والقوة اللي كان بيطعنها بيها الجاني.. واللي بياكد دا كمان إن مفيش أي متعلقات اتسرقت من مسرح الجريمة، سواء خاصّة بالمجني عليها، أو بجوزها.. دا غير إن التقرير أثبت إن المجني عليها كانت عذراء لحد وفاتها.. ودا بيخلينا نستبعد إن فيه دافع الخيانة عند الزوج، لكن ممكن يكون عنده دافع تاني، ودا اللي هاشرحه لحضراتكم بعد كدا.. ولو بصينا لتحليل شخصية المجني عليها فهنلاقوها هي كمان بتأكد الكلام دا.. فهي كانت

إنسانة ذكية جدًا.. شخصية مسيطرة.. مؤذية لدرجة كبيرة..
ما بتبصش إلا لنفسها بس.. وممكن تعمل أي حاجة في سبيل
إنها توصل للي هي عايزاه.. ودا اللي هنعرفه بالتفصيل في
اللي جاي.

تناول «عاصم» قليلًا من الماء من الكوب الموجود أعلى
مكتبه، ثم أعاده مجددًا، واستطرد في الحديث مع زملائه:
- ودلوقتي هاستعرض معاكم المشتبه بيهم، والدوافع اللي
عندهم:

أولاً: «يوسف»، جوز المجني عليها، وهو المشتبه فيه الأول
لحد دلوقتي؛ لأنه كان موجود في الأوضة وقت الجريمة..
ولو افترضنا إن القاتل حد غير جوزها، فطبعًا صعب عليه
أوي إنه يتكهن بإن جوزها هيدخل الحمام أول ما يخش
الأوضة.. ولو نفترض إنه تكهن بكدا، ودا برضو شيء وارد،
فصعب جدًا إنه يحدد بالضبط الوقت اللي هيكون جوزها
فيه جؤا الحمام عشان يستفرد بالمجني عليها ويرتكب
جريمته، إلا بقى لو كان قاعد معاهم ومستخبي جؤا الأوضة
مثلًا.. أو على الأقل كان شايفهم بطريقة ما.. دي حاجة.
الحاجة الثانية بقى: إن لو بصينا للضحية، فهنلاقي إنها كانت
من عيلة غنية.. عندها حساب في البنك فيه حوالي ٢ مليون
وكسور.. عندها فيلا باسمها في كومباوند في الشيخ زايد..

وعندها عربية محترمة... إلخ، أما جوزها فهو من أسرة على أدّ حالها مقارنةً بأسرة المجني عليها.. ودا الوحيد من ضمن المشتبه فيهم اللي وارد يكون عنده دافع ثاني غير الدافع الانتقامي، وإنه عايز يورثها مثلاً.. إلا بقى لو كان عرف إنها كانت ليها علاقات برجاله ثانية، وعندها أسرار كتيرة هو ماكانش يعرفها، وعرفها مثلاً أثناء الفرح، فالعرق الصعيدي اشتغل عنده، وقتلها.. أو إنه كان عارف عن علاقات مراته قبل الفرح.. واستنى لما يتجوزها عشان يورثها ويضرب عصفورين بحجر، أو وارد يكون لسبب ثاني بقى إحنا مانعرفوش.

ثانيًا: «دينا فتح الباب».. ودي كانت زميلة المجني عليها وجوزها في نفس الكلية، وفي نفس السنة.. وهي بنت مضطربة نفسيًا.. بتحب زوج المجني عليها بجنون.. وكانت على علاقة بيه قبل ما يرتبط بالمجني عليها لما كانوا لسه في الكلية.. لكن المجني عليها بعد كدا - واللي ماكانتش سهلة أبدًا، وسابقة سنها زي ما بيقولوا - قدرت إنها تخطف «يوسف» منها، وترتبط بيه، وتتجوزه.. «دينا» دي بقى كانت بتتعالج في مصحة نفسية.. وكانت حالتها بتتحسن أحيانًا، وأحيانًا بتقع ثاني.. وقبل وقوع الجريمة بيوم.. قدرت إنها تهرب من المصحة بطريقة غير معلومة لحد دلوقتي، واختفت فترة.. وبعد كدا أبوها لقاها نائمة في مدخل العمارة

اللي هما ساكنين فيها بعد الجريمة بيوم واحد، والجيران أكدوا الكلام دا.. وكانت لابسة فستان سواريه أبيض عليه بقعة دم.. طبقًا إحنا بعنا الفستان للطب الشرعي، ومستنيين نتيجة التحليل، ويمكن تيجي النهارده.. الأغرب بقى في الموضوع دا إن البنت دي لمّا أبوها لقاها وقعد يتكلم معاها عشان يعرف هي كانت فين ، كانت في حالة انهيار عصبي، ومابتقولش غير جملة واحدة بس، هي «أنا العروسة!».. فطبقًا هي كمان وارد يكون عندها دافع الانتقام من زميلتها اللي خطفت حبيبها اللي كانت عايزة تتجوّزه.. وطبقًا الخل النفسي اللي عندها كمان ممكن يكون ساعدها في إنها تأخذ قرار زي دا.

ثالثًا: «طارق».. ودا جار المجني عليها، وكان بيحبها جدًّا، وهي كانت بتستفيد منه مش أكثر.. والدافع الانتقامي موجود عنده برضو؛ لأن المجني عليها استنجدت بيه في مرة لمّا عملت حادثة.. وساعتها ساب شغله وراح لها، وقال للظابط اللي عاين الحادثة إن هو اللي كان سايق، رغم إن الشهود ساعتها أنكروا.. لكن هو باعترافه على نفسه اتحجز، واتعرض على النيابة، وخد حُكم ابتدائي بالحبس، لكن الحكم اتخفّف بعدها في الاستئناف، وماقضاش عقوبة في السجن.. لكن الموضوع دا سبّب له مشاكل كتير بعدها، وهي إنه اتفصل من شغله.. دا بالإضافة إلى إن المجني عليها

استغلته، وطلبت منه يصلحها العربية على حسابه وهتبقى تردّله المبلغ دا حين ميسرة يعني، وطبعًا دا ما حصلش.. وعشان ماكانش معاه فلوس كافية اضطر إنه يسرق خزنة والده عشان يصلحها العربية.. ولمّا والده عرف الموضوع دا اتخانق معاه، والولد زقّ أبوه، فالراجل ماستحملش، واتشلّ، وطبعًا ساب شغله بعد كدا.. المفاجأة بقى إن «طارق» دا كان موجود في قاعة الفرح ساعتها.. رغم إن محدّش عزمه.. ولمّا سألناه: انت كنت في الفرح؟ أنكر في الأول.. لكن لما واجهناه بالفيديو والصور والفيديوهات بتاعة كاميرات الفندق اعترف إنه كان موجود فعلاً.. بسّ كان خايف يقول كدا لما عرف إن «يُسرّا» اتقتلت، خصوصًا إن محدّش عزمه من الأساس.. وقال كمان إنه ساب الفرح ومشى في نُصّه تقريبًا؛ لأنه ماستحملش يشوف حبيبته القديمة وهي بتتجوز وسعيدة ومبسوطة مع واحد تاني غيره أكثر من كدا.. وبيقول إنه سافر مع صحابه بعدها مباشرة!

رابعًا: «أحمد شاكر»، مدير المجني عليها في الشغل.. ودا كانت المجني عليها ضاحكة عليه هو كمان، ومفهمّاه إنهم هيتجوزوا.. ودا طبعًا راجل أدّ أبوها، وكان متجوز.. طبعًا الراجل ريّل أول ما المجني عليها اتودّدت له، وطلّق مراته وطردها من البيت.. ومراته رفعت عليه قضية بعد كدا.. وولاده اتبرّوا منه لما عرفوا إن أبوهم بيجري ورا واحدة

من دور ولاده.. ومش كدا وبس، دي كمان المجني عليها لما اشتكتة للمدير العام بتاع الشركة، المدير طرده.. وكمان سُمعته باظت.. وطبعًا عرف بعد كدا إنها هتتجوز.. فدا كمان عنده دافع انتقامي بعد اللي حصله وحصل لعيلته.

بالنسبة بقى لعيلة العريس والعروسة، عيلة العريس اتحركت بعد ما الفرح خلص مباشرة بعربية والد الزوج الساعة ١:٣٧، والفرح خلص ١:٢٠، عقبال ما اتصوروا وسلموا على الناس كان عدّى ١٠ دقائق تقريبًا.. والعريس والعروسة دخلوا الأوضة ١:٣١ بالظبط. أما عيلة المجني عليها بقى فخدوا وقت أكثر من كدا بشويّة؛ ودا لأن والد المجني عليها راح يجيب موبايله اللي نسيه من جُؤا القاعة، بعد ما كان وصل هو وأسرته عند عربيته، واكتشف إن موبايله مش في جيبه.. فسابهم جُؤا العربية ودخل جابه، ورجع بعدها على طول، وخرج من النادي الساعة ١:٤٤. وفيه حد من أفراد أمن النادي أكد إنه شاف مراته وبنته الصغيرة وهما قاعدين مستنيينه في العربية لحد ما رجع هو عند العربية.. طبعًا المواعيد دي مش من دماغي.. دي عرفناها من كاميرات المراقبة، سواء اللي على باب النادي من بَرّا، أو اللي في طريقة الغرف.. وبعد ما فحصنا قاعة الفرح من جُؤا اكتشفنا إن ليها بابين.. باب يبص على الشارع جُؤا النادي.. والثاني بيوَدّي على صالة الفندق، ومنها على طريقة الغرف.. موظف

الريسبيشن أكد إنه ماشافش والدها أو أي حد من أسرتها في الريسبيشن.. وفيديو كاميرا المراقبة بتاعة الصالة برضو مظهرش فيه حد منهم في الوقت دا.. دا غير إن القاتل دخل وخرج أصلاً من بلكونة الأوضة.. ولو افترضنا إن «شريف» هو اللي قتل بنته فكان عشان يوصل لبلكونة الأوضة كان محتاج يمشي مسافة أكثر من ١٥٠ متر رايح، وزيهم راجع من الطريق اللي بزا القاعة.. وعقبال ما يدخل وينيم الجثة على السرير وينقذ جريمته ويغطيها ويرجع ثاني فكان هياخد وقت أكبر من الربع ساعة اللي ما بين دخول العريس والعروسة الأوضة وبين اكتشاف الزوج للجريمة.. يعني مش أقل من ٢٠ دقيقة مثلاً.. بالإضافة إلى إنه مفيش دافع محدد عنده أصلاً.. وبكدا فاحنا بنستبعده هو وأي حد من عيلته أو عيلة الزوج كمان.

أشعل «عاصم» لفافة تبغ أخرى، ثم أردف:

- الأربعة الأولانيين دول يا بهوات هما المشتبه فيهم الأساسيين عندنا في القضية، طبقاً للمعلومات اللي عندنا لحد دلوقتي.. فدلوقتي بقى احنا عايزين نفحص حجة غياب كل واحد فيهم عن مسرح الجريمة.. ما عدا طبقاً زوج المجني عليها؛ لأننا عارفين إنه كان جوا الأوضة.. فهنقسمها، وكل ظابط هيمسك مشتبه واحد منهم، ويتأكد من مكانه

وقت وقوع الجريمة كان فين بالظبط، وبالدليل.. «ياسر بيه» هيروح يتحرى عن «أحمد شاكر»، مدير المجني عليها في الشغل.. و«صلاح بيه» هيتحرى عن «طارق»، جار المجني عليها.. أما «ياسين بيه» بقى فهيتحرى عن «دينا»، البنت المضطربة نفسيًا، وعايزين نعرف يا «ياسين بيه»، «دينا» هربت ازاي من المصححة.. ودي طبعاً أصعب مأموريّة فيهم.. بسّ طبعاً «ياسين بيه» أدها إن شاء الله.. ولّا إيه يا «ياسين بيه»؟!!

قالها بابتسامة تشجيعية، فأجابه الأخير مبتسمًا بإيماءة من رأسه، ثم استطرد «عاصم» بعدها:

- تمام يا بهوات.. مرگزين معايا ولا حد سرح ولا إيه؟ يا «صلاح».. «ياسر».. ها.. «حسام».. تمام يعني.. طيب يلا.. اتحركوا دلوقتي، وكلموني أول ما توصلوا لحاجة.. بالتوفيق إن شاء الله.

وما إن انتهى «عاصم» من حديثه، وانصرف جميع الضباط الذين كلّفهم بتلك المهام، حتى رنّ هاتفه المحمول، وكان الاتصال واردًا من «يوسف»، الذي أخبر الضابط عن رغبته في التحدث معه بخصوص بعض المعلومات الجديدة، فأخبره «عاصم» أنه في انتظاره كعادته في مكتبه.

توجّه «يوسف» إلى القسم، وفي طريقه إلى هناك، كان

«عاصم» جالسًا مع أحد زملائه، ويُدعى المقدم «جلال»، وبعد أن أنهى المكالمة مع «يوسف» قال للمقدم «جلال»:

- دا جوز المجني عليها يا باشا.. وبيقول إن فيه معلومات عنده جديدة عايز يضيفها.

- وماله؟ كويس.. اسمع منه برضو، وشوف هيقولك إيه.. ونبقى نتأكد من المعلومات دي بعدها.. ونشوف معلوماته صحيحة ولا الراجل دا بيحاول يضللنا ولا إيه.

- أكيد يا باشا، هاعمل كدا طبعًا.. بس هاستأذنك بقى يا «جلال بيه»، لما ييجي سبني معاه لوحدنا؛ عشان هو عصبي ومتحفظ وبيقول الكلام بالعافية.. ومش عايزه يحس إن احنا كلنا موجودين ومايقولش كل اللي عايز يقوله.. أنا فاهم أصلي شخصيته كويس.. وهاعرف ازاي أتعامل معاه.

- يا باشا مفيش مشكلة، ناقشه انت لوحدك.. ونبقى نتناقش في اللي قاله بعد كدا.

بعد قليل، وصل «يوسف» إلى مكتب الضابط، وجلس على المقعد الذي اعتاد أن يجلس عليه، وخرج الجميع من المكتب، ما عدا «عاصم»، الذي حكى له «يوسف» عن تفاصيل ما حدث مؤخرًا، وأخبره بذلك الهاتف الذي وجدته في سيارة زوجته، وتلك الرسائل التي وجدها في الهاتف من

مديرها، وحديثه مع «سالي»، تلك الفتاة التي شعر «يوسف» بأنها مثيرة للجدل، لكنه لم يذكر شيئاً عن اتصاله بذلك الرقم المجهول من هاتف «يُسرا»، ثم دسَّ يده في جيبه، وأخرج الهاتف الخاص بزوجته، وأعطاه للضابط حتى يطلع بنفسه على ما بداخله، وبعد أن انتهى الأخير من قراءة ما بداخله من رسائل، ألقى على «يوسف» سؤالاً مفاجئاً يختبره فيما إذا كان قد اتصل بمُرسل تلك الرسالة المجهولة إلى هاتف زوجته، فارتبك «يوسف» قليلاً، وحاول إخفاء ذلك الارتباك، وأجاب على الفور:

- أنا؟ لأ طبعًا، ما حاولتُش.

- متأكد يعني إنك ماتصلتُش بالرقم دا؟ متأكد؟!

- آه.. متأكد طبعًا يا فندم.

نظر إليه الضابط نظرة لائمة، وبدا أنه لا يصدّق إجابته، ثم أوما برأسه وكأنه أراد أن يتخطّى ذلك الأمر، وسأله إذا كانت هناك أي أشياء أخرى يريد أن يخبره بها، فأجابه «يوسف» بالنفي، فتحفّظ الضابط على الهاتف المذكور مع هاتف المجني عليها الآخر، الذي قد فحصه من قبل دون أن يجد به أي شيء يثير الانتباه، ثم شكر «يوسف» على تعاونه معه، وطلب منه الانصراف بعد أن أكد له أن القبض على الجاني قد أصبح وشيكًا للغاية، وقبل أن ينصرف «يوسف» طرق

أحدهم باب المكتب، فسمح له «عاصم» بالدخول، فدخل أحد مساعدي الضابط، ومعه ظرف مغلق، وأعطاه للضابط الذي فتحه على الفور، ومكث يقرأ الخطاب الموجود بداخله، وفي أثناء قراءته امتعض وجهه قليلاً، ثم نظر إلى «يوسف» بجدية، وقال:

- انت عارف إيه اللي في إيدي دا يا أستاذ «يوسف»؟

ارتاب «يوسف» قليلاً، وخشي أن تكون تلك الورقة قد كشفت عمّا أخفاه عن الضابط؛ فالكاذب دائماً ما يكون مضطرباً وقلقاً خوفاً من أن يُكشَف عن كذبتِه، فربما كان الضابط يمسك بسجل المكالمات الخاص بهاتف «يوسف» المحمول، وقد كشف كذبتِه، فابتلع ريقه، ثم أجاب بنبرة قلقة مبعجلة:

- لأ مش عارف يا «عاصم بيه».. إيه دا؟

- دا تقرير المعمل الجنائي الخاص بنتيجة الفحص الخاصّة بفستان «دينا».. وهاقولك إيه اللي فيه قبل ما تمشي برضو عشان تطمّن من الناحية دي.

ابتسم «يوسف» وتنهّد، وزال قلقه سريعاً، واعتدل في مقعده، وكان متلهفاً بشدة لسماع ما بداخل ذلك التقرير، ثم تابع الضابط حديثه:

- التقرير بيثبت إن الدم اللي كان على فستان «دينا فتح الباب» هو دمها هي.. ويرجح إنه بسبب نزيف نتيجة لاعتداء جنسي حصل لها...

ثم احتدّ «عاصم» فجأةً، واستطرد في الحديث:

- ودا معناه إن فيه واحد مريض شافها بنت ناس ولقاها قاعدة في الشارع لوحدها فاعتدى عليها للأسف يعني.. ودا طبعا كان خلال الفترة اللي هربت هي فيها من المصحة، وقبل ما ترجع البيت.. وفي الأغلب هو اللي اشتراها الفستان دا.. وممكن يكون أقنعها إنه هيتجوزها مثلاً.. وبعدين وداها مكان، واعتدى عليها.. وطبعاً استغل مرضها النفسي وضحك عليها.. وسابها في الشارع بعدها زي مالقاها.. ودا بيتفق مع إنها كانت بتقول جملة «أنا العروسة، أنا العروسة».. طبعا دا إنسان مريض وحقير.. بس احنا مش هنسيبه.

قالها الضابط «عاصم» بوجه جاد، وعلى ملامحه بدا الضيق والغضب الشديد.

دهش «يوسف» بشدة عندما استمع لحديث الضابط وما قاله التقرير، وأحس بندم شديد على ما ظنه في تلك الفتاة المريضة التي لا حول لها ولا قوة، والتي أصبحت ضحية هي الأخرى أيضاً، وأشفق عليها وعلى والدها، بل شعر بالذنب تجاههما، وعقد النية على الاعتذار لوالدها فيما بعد، ثم

استأذن الضابط بالانصراف، وغادر القسم.

أمسك «يوسف» هاتفه، ثم اتصل بـ«ليلي» على الفور، عندما وجد أن هناك عدة اتصالات فائتة على هاتفه من هاتفها لم يرد عليها، وظنّ أنه قد وضع هاتفه على الوضع الصامت دون أن يقصد، ثم أخبرها بكل الأخبار الجديدة التي حدثت كعادته، فأبدت «ليلي» شعورها بالحزن والشفقة تجاه «دينا»، وعاتبت «يوسف» على ما فعله مع والدها، وأخبرته بضرورة الاعتذار لوالدها على الأقل.

أوماً «يوسف» برأسه موافقاً على كلامها، واعترف بأنه قد ظلم البنت وأباها، ووجب عليه الاعتذار، ثم أردف بندم قائلاً:
- أنا خايف أكون أنا اللي وصلتها للمرحلة دي.. أستغفر الله العظيم.

- واضح إننا غلطنا إننا مشينا ورا الحوار دا مع نفسنا فعلاً يا «يوسف» زي ما قالك الضابط.. مع إني قُلتك الكلام دا من الأول، وما سمعتش كلامي.

حاول «يوسف» إخفاء ندمه، وصرخ فجأة دون مبرر مقبول:

- خلاص بقى يا «ليلي»، كفاية تقطيم بقى.. يعني هو أنا المفروض أفضل قاعد حاطط إيدي على خدي زي الحريم

لحد ما الشرطة تجيب لي حق مراتي؟ ماتنسيش إني صعيدي.

سكت قليلاً ليهدأ، ثم استطرد معترفاً بذنبه:

- عامّةً، أنا مش هانكر إني غلطت.. وبعد كدا هابقي أحط الظابط دا معايا في الصورة.. هو برضو باين عليه إنه بي فهم في شغله كويس.. وسابقنا في كل الخطوات اللي احنا عملناها من غير ما يعرف موضوع النوتة دا أساسًا.. بس دا مايمنعش برضو إني أدور على قاتل مراتي.. افرضي هو ما عرفش يقبض عليه! وبعدين أنا لازم أعرف إيه اللي كانت أختك مخبياه عني تاني.. الله يرحمها ويسامحها بقي.

شعرت «ليلي» بالغیظ الشديد من كلام «يوسف» المتناقض، وظلت تلقي عليه اللوم، وأخبرته بأنه لا يتعلم من أخطائه أبدًا، كما كانت تصفه «يُسرا» من قبل، فأنزعج «يوسف» ممّا قالت، وصرخ بها مجددًا:

- وقالت لك إيه تاني عني يا «ليلي»؟ يلا اتفضلي فاجئيني انتي كمان بياقي الأسرار اللي ماعرفتهاش عن مراتي غير بعد ما ماتت!

- يا ابني، أنا قصدي إنها كانت بتقول إنك عصبي جدًا، وعنيد.. ومابتعترفش بغلطك أبدًا.. وبصراحة أنا شايفة إنها

ماقالتش أي حاجة غلط.. بدليل اللي انت بتعمله دلوقتي..
وسلام بقى دلوقتي عشان أنا واقفة باكلمك من البلكونة..
والجو برد النهارده.. هابقى أكلمك بكرة.. سلام.

أغلقت «ليلي» الهاتف سريعًا قبل أن يتحدث «يوسف»
ثانيةً، ما أشعره بالغیظ الشديد كعادته، فصرخ محدثًا نفسه
قائلًا:

- برد إيه؟ إحنا في الصيف أساسًا!

الفصل العاشر

بينما كان «يوسف» يتحدث إلى «ليلي» على الهاتف، كان «عاصم» يخبر الضابط «جلال» عن هاتف «يُسر» الآخر الذي أحضره له «يوسف»، ودار بعض الحديث بينهما.

كان «جلال» بمنزلة رئيس «عاصم» المباشر في عمله، وكان رجلًا في بداية الأربعينيات، طويل القامة، أبيض البشرة، ذا عيين خضراوين، وأنف ضخمة، وشعر بني قصير.

أمسك «جلال» الهاتف، وبدأ بفحصه، وعندما شاهد تلك الرسائل، خصوصًا تلك الأخيرة مجهولة المصدر، أخبر «عاصم» بأن يتصل بالنيابة العامة لاستصدار الإذن بتتبع مكان الشخص حامل ذلك الرقم، ومعرفة بياناته تمهيدًا للقبض عليه ومواجهته برسالة التهديد من هاتف المجني عليها.

بعد قليل، جهّز «عاصم» بعض عناصر القوة من معاونيه، بعد أن أدرك أن صاحب الرسالة مقيم في حي ميت عقبة بالجيزة، فتحرك الضابط والقوة المرافقة له إلى العنوان نفسه، وضبطوا المذكور، ثم اصطحبوه عائدين إلى ديوان القسم مجددًا، وفي أثناء طريق عودته إلى هناك اتصل به النقيب «ياسر»، وأخبره بأن مدير المجني عليها كان

محجورًا في أحد أقسام الشرطة وقت وقوع الجريمة على ذمة القضية التي رفعتها ضده زوجته، مشيرًا إلى أن زوجته قد اتهمته بالضرب إلى جوار قضية النفقة الزوجية، فشكره «عاصم» وطلب منه أن يعود إلى القسم، بعد أن استبعد «أحمد شاكر» من قائمة المشتبه بهم في ارتكاب تلك الجريمة.

بعد دقائق، رنَّ هاتفه مرة أخرى، وكان النقيب «صلاح» في تلك المرّة، الذي أخبر «عاصم» بأن «طارق» كان على متن القطار المتوجّه إلى مدينة الإسكندرية وقت وقوع الجريمة، كما أخبرهم في أثناء مناقشته من قبل؛ فبعد أن غادر قاعة الزفاف في الساعة الثانية عشرة، قابل أحد أصدقائه وجيرانه قبل أن يصعد إلى شقته بالزمالك، وعندما لاحظ الأخير أن صديقه كان حزينًا ويائسًا بشدة، عرض عليه أن يسافر برفقته إلى الإسكندرية لمقابلة بعض أصدقائهما المقيمين هناك في إحدى الفلل الخاصّة بحي المعمورة، ووافق «طارق» على ذلك العرض من صديقه، وتوجّها إلى محطة القطار، وحجزا تذكرتين على قطار الإسكندرية المغادر في تمام الساعة الواحدة والنصف، وقد تأكد الضابط من تلك المعلومات حينما اطلع على تسجيل كاميرات المراقبة الخاص بمحطة القطار برمسيس، وشاهد أحد الشباب الذي يشبهه كثيرًا على شاشة العرض في تمام

الساعة الواحدة والثلاث بعد منتصف الليل، وبالتالي فإن ارتكابه تلك الجريمة يُعد مستحيلًا، وذلك لبُعد محطة القطار عن موقع الجريمة.

أغلق «عاصم» هاتفه بحيرة، ومكث يفكر فيما أخبره به «صلاح»، وفي أن الاشتباه قد انحصر الآن في اثنين فقط، إما «دينا»، وإما «يوسف»، ولكنه كان يميل أكثر إلى الاختيار الأخير، وبعد أن وصل إلى القسم دخل مكتبه، وبدأ بمناقشة مالك الهاتف الذي قبض عليه منذ قليل، فنظر إلى بطاقته قبل أن يقول:

- انت اسمك «سعيد محمد إبراهيم»؟

- آه يا معالي الباشا.. هو فيه إيه يا باشا بس؟ أنا ماعملتش أي حاجة والله.

استطرد «عاصم» متجاهلاً سؤاله، وهو يشير إلى الرقم الموجود على هاتف «يُسر»:

- رقم الموبايل دا بتاعك؟

كان «سعيد» شابًا في مقتبل العمر، ذا بشرة سمراء محترقة من أشعة الشمس، نحيلًا للغاية، ذا طول متوسط، يرتدي بنطالًا ضيقًا من الجينز، وقميصًا ملتصقًا بجسده، وبدأ أنه من الطبقة الفقيرة الشعبية، كما بدا أنه لا يعرف أي شيء

على الإطلاق، وكان القلق والخوف واضحين على قسمات وجهه، وعندما سأله الضابط عن ذلك الرقم، انحنى بجسده، واقترب بوجهه ناحية الهاتف ببلاهة شديدة، وظل يتفرس في شاشته بقلق وحيرة، ثم قال بتردد واضح:

- أيوه سعادتك، دا رقمي.. ما لُه بس؟!

قاطع «عاصم» حديثه موجهًا له الأسئلة بطريقة مقتضبة ومتتابعة:

- الموبايل دا معاك على طول ولّا فيه حد غيرك بيستخدمه؟

- لأ معايا يا باشا.. معايا من كذا سنة.

- تمام.. انت بقى تعرف «يُسرا» مين؟

- «يُسرا» مين يا فندم؟ أنا ماعرفهاش سعادتك.. انت حضرتك تاني واحد يسألني السؤال دا!

دُهِش «عاصم» ممّا قاله «سعيد» وحدّق بعينه وهو يقول:

- تاني واحد؟! ازاي يعني؟! مين اللي سألك عليها غيري؟!

- ماعرفش يا بيه.. فيه رقم اتصل بيّ النهارده وقالى أنا «حسام»، وسألني على «يُسرا» برضو.. وقلتله النمرة غلط، وقفلت السكة.

طلب «عاصم» منه أن يملي عليه ذلك الرقم، فأمسك
«سعيد» بهاتفه، وأشار له إلى الرقم، فكتب الضابط الرقم
على هاتفه، ليظهر اسم «يوسف» على شاشته، فأكفهر وجهه
وهو يهز رأسه باستنكار، وتمتم ببعض الكلمات بغضب، ثم
استطرد في سؤال «سعيد»:

- طب لما انت ماتعرفش «يُسرا»، إيه اللي خلّاك تبعتها
الرسالة دي؟

ثم أمسك الضابط بهاتف «يُسرا» ووجّه شاشته ناحية
«سعيد»، ونظر إليه يراقب تعبيرات وجهه التي لم تدل إلا
على الحيرة والدهشة الشديدة، وبدا للضابط أنه لم ير تلك
الرسالة من قبل، واتسعت حدقتا عينيه خوفاً، ثم قال بقلق:

- ماعرفش والله يا باشا.. أنا مابعتش الرسالة دي والله.

ثم سكت «سعيد» لبرهة يفكر قبل أن يقول بحماس:

- أيوه يا باشا، أنا افكرت سعادتك.. ممكن يكون اللي بعت
الرسالة دي الراجل اللي لقي الموبايل بتاعي يا فندم.. ماهو
أنا الموبايل بتاعي أصله وقع مني سعادتك في «المهندزين»،
لما كنت باوصل «أوردن الأكل».

- مين الراجل اللي لقي الموبايل دا؟

- ماعرفش والله سعادتك مين اللي لاقاه.

انفعل «عاصم»، وكاد يفقد صبره، وصرخ قائلاً:

- نعم ياخويا!!؟! يعني إيه ماتعرفش اللي لقي الموبايل؟!

اضطرب «سعيد» من انفعال الضابط، وقال له بتلعثم:

- سعادتك أنا موبايلي ضاع، أو حد سرقه.. وماعرفش مين اللي عمل كدا.. أنا قصدي إن اللي سرقه، أو اللي لقااه، هو اللي بعت الرسالة دي.

نظر «عاصم» إلى «سعيد» مقطّباً جبينه، ثم أشعل لفافة تبغ، وقال:

- آه، قول كدا بقى.. كمّل.. اتسرق ازّاي؟ ولّا وقع فين؟
وبعدين «أوردر» إيه؟ هو انت شغال «دليفري»؟!

- أيوه سعادتك، أنا كنت شغال طيار باوَصّل «الأوردنات» للزباين لحد البيت لما كنت شغال في مطعم «فويكانو» اللي في «المهندزين».

سكت الضابط وهو يسلّط بصره إلى «سعيد» منتظراً أن يُكمل باقي إجابة السؤال الذي طرحه عليه الآن، وسكت «سعيد» لبرهة كذلك وهو ينظر إلى الضابط بقلق، ثم استطرد بصوت مرتعش خافت:

- ماهو أنا سعادتك بصراحة، مش عارف هو وقع من جيبي وأنا راكب المكنة، ولأ حدّ خده من زمايلي.

ظل «عاصم» ينظر إلى «سعيد» نظراتٍ متفحّصةً وهو يتحدث، محاولاً الضغط عليه حتى يُخطئ في الحديث إذا كان يخفي شيئاً، فتنهّد بعمق بعد أن توقف «سعيد» عن الكلام، وقال:

- طب انت عملت محضر بفقد الموبايل دا؟

- آه عملت يا بيه.. رُحت القسم بعدها وعملته.

- معاك رقم المحضر دا؟

- كنت كاتبه في ورقة سعادتك.. بس مش عارف هي فين!

- هو وقع منك وانت سايق الموتوسيكل يعني، ولأ اتسرق منك، ولا إيه؟ حاول تفتكر كدا.

- والله يا معالي الباشا مش عارف.. أنا بعد ما وصلت عند بيت الزبون باحط إيدي في جيبي مالقيتووش.

حاول «عاصم» أن يعيد عليه السؤال نفسه بطرق مختلفة؛ فربما يغير «سعيد» إجابته في إحدى المرّات، وكان يدوّن كل إجابة يتلقاها منه منفردة؛ حتى يختبر رد فعله ويتأكد من صدق كلامه، فقال له:

- أَمَّا انت ليه قُلت إنه وقع منك يا «سعيد» في الأول؟

- والله يا باشا أنا مش عارف أصلاً هو راح فين.. ولَمَّا رجعت ودوّرت عليه في المحل وسألت زمايلي مالقيتوش.. فقلت أكيد وقع مني وأنا سايق المكنة يعني.

تنهّد الضابط بعمق، محاولاً تهدئة أعصابه، ثم قال بحدّة:

- لأ، ركّز في إجابتك قبل ما تقولها.. إحنا مش بنخمن هنا.. اللي ماتعرفوش قول ماعرفوش.. دي قضية قتل، إحنا مش جايبينك هنا عشان نقعد نتسامر معاك، هاه.

دُعر الشاب عندما علم بأن وجوده بقسم الشرطة كان بسبب قضية قتل ما، فوضع يده حول عنقه يتحسّسه بقلق بالغ، وقال بخوف شديد:

- قتل؟ قتل إيه يا بيه؟! أنا ماعرفش حاجة والله.

- يعني انت مش متأكد الموبايل بتاعك وقع ولا اتسرق؟

- لأ مش متأكد يا باشا.

- طيب الكلام دا حصل إمتى؟

- كلام إيه سعادتك؟!

- ركّز معايا يا عمّ «سعيد».. اليوم اللي مالقيتش فيه الزفت

الموبايل دا كان إمتى؟

- مش فاكّر بالظبط سعادتك.. كان من حوالي شهرين ثلاثة.

- يعني نقول في أول شهر ثلاثة مثلاً؟

- مثلاً يعني يا باشا، مش متأكد.

- مممم.. طيب ولما الموبايل ضاع جرّبت تتصل بيه؟

- جرّبت يا بيه طبعًا.. بس كان مقفول.

- طيب وماتفتحش ثاني من ساعتها؟

- لأ سعادتك، ماتفتحش ثاني من ساعتها.

- ماشي.. استريح شوّية برّا لحد ما أبعثلك.

رفع «سعيد» يده وكأنه يعطي التحية العسكرية للضابط،
والتفّ ناحية باب المكتب وهو رافع إياها، ثم التفت مرّة
أخرى إلى «عاصم» وهو يسأله بقلق:

- يعني خير يعني سعادتك؟

- خير يا «سعيد».. خير إن شاء الله.. ماتقلقش.. استثنائي

بس شوّية.

أشار «عاصم» لأحد مساعديه بأن يصطحب «سعيد» إلى
غرفة الانتظار في الخارج، ثم اتصل بهاتف محمول رئيس

مباحث قسم الشرطة التابع له ذلك المطعم، وأعطاه بيانات «سعيد»، وطلب منه التأكد من تقديمه بلاغًا للقسم عن فقد هاتفه المحمول في ذلك التوقيت، وبعد قليل اتصل به الأخير وأكد صحة ما أخبره به «سعيد»، فشكره «عاصم»، وأنهى المكالمة، ونادى على «سعيد»، وطلب منه أن يوقع على المحضر.

بعد قليل، اتصل الرائد «ياسين» بهاتف «عاصم»، وأخبره بأن «دينا فتح الباب» قد شوهدت من قبل بعض العاملين في المحلات التجارية في حي الدقي وهي مستلقية على مقعد صالون قديم تالف بجوار إحدى مناطق إلقاء المخلفات قبل وقت وقوع الجريمة بساعة، وقد ظلت هناك حتى الساعات الأولى من الصباح، وقد تعرّفوا إليها بعد أن أطلعهم على صورة شخصية لها، وأكدوا جميعهم أنها هي الفتاة نفسها؛ لأنهم حينما شاهدوها مستلقية في ذلك المكان، لفتت أنظارهم جميعًا؛ لأن هيئتها وملابسها كانت تبدو مختلفة ومميزة عن بقية المتسولين الموجودين في الشارع، فكانت ترتدي بنطالًا جينز وقميصًا أصفر اللون، ولكن لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها، لكونها امرأة، وخافوا من أن تصرخ، أو تفعل شيئًا يضر بسمعتهم في منطقة عملهم، وعندما عادوا في صباح اليوم التالي لم تكن في المكان! أما عن طريقة هروبها فلم يستطع تحديدها؛ لأن المصحة لم تكن مراقبة

بالكاميرات.

دلف «عاصم» داخل مكتبه بعد أن تحدث مع زملائه حول آخر المستجدات، وأخبرهم برغبته في المكوث هناك بمفرده، حتى يتسنى له التفكير بهدوء ومراجعة ما توصلت إليه التحريات بدقة مرة أخرى.

جلس خلف مكتبه متعبًا من كثرة العمل والتفكير، وكان يشعر بالضيق الشديد لعدم توصله إلى هُويّة ذلك الجاني - الذي بدا شديد الذكاء - ولعدم استطاعته فك لغز تلك الجريمة التي اقتربت من حد الكمال، خصوصًا بعد استبعاد معظم المشتبه بهم لاحتمالية ارتكاب تلك الجريمة، وعاد مرّة أخرى إلى نقطة البداية.

مكث يحاور عقله، وجالت برأسه علامات استفهام عدّة دون إجابات: ثرى، مَنْ الجاني؟! وكيف نفّذ جريمته؟! هل تسير التحقيقات في الطريق الصحيح، أم علينا أن نبدأ في اتجاه آخر؟! ماذا عن تسجيلات الفندق؟ هل يوجد بها شيء مهم لم نلاحظه؟ وكيف اختار الجاني اللحظة المناسبة لتنفيذ جريمته؟ نعم، يجب أن نبدأ من تلك النقطة.. ثرى هل كان بداخل الغرفة؟! ولكن كيف دخلها؟! ومتى؟! وهل مكث بداخلها حتى حانت اللحظة المناسبة؟! ولكن أين اختبأ تحديدًا في تلك الغرفة الكبيرة؟ ولم لا يكون القاتل هو

الزوج الغاضب طوال الوقت؟! ولكن يجب عليه أن يكون ممثلاً بارعاً حتى يظهر بهذا الثبات كل هذه المدة.. ولماذا لا تكون إحدى صديقاتها التي لم تسلم من شر «يُسر»؟! وماذا عن خطيبها السابق؛ فلم نتحرّ عنه كثيراً أيضاً؟! وماذا لو كان الجاني شخصاً آخر نجهله، أنهت «يُسر» على حياته أيضاً بطريقة أو بأخرى، ولم نتوصل إلى هُويّته حتى الآن؟

تشّت ذهن «عاصم» بشدة، وشعر بألم في رأسه من كثرة التفكير والتركيز وقلة النوم، فأخرج إحدى علب العقاقير المسكنة من دُرج مكتبه، وتناول منه قرصين، ثم أغمض عينيه قليلاً، ومكث في هدوء تام محاولاً تهدئة عقله، وبعد دقائق وضع جميع الأوراق المتعلقة بتلك القضية على المكتب أمامه، ووضع ورقة بيضاء كبيرة أمامه، وأمسك بأحد الأقلام، وكتب اسم «يوسف» بخط كبير، ووضع حوله دائرة، ورسم أسفلها علامة استفهام، ووضع حولها دائرة أيضاً، ثم وضع القلم على مكتبه الخشبي بجوار الورقة، ومكث ينظر إليهما قليلاً قبل أن يشرّد مجدداً.

حاول الضابط استجماع أفكاره ومراجعة المعلومات بعقله مجدداً، لكنه لم يستطع مواصلة عمله بهذا الشكل، وفقد تركيزه تماماً، وشعر بالإرهاق والتعب الشديد، فلم يغادر العمل بالقسم منذ أن وقعت تلك الجريمة، ونظراً لكونه على

قدر عالٍ من الوعي، ويعلم جيّدًا أنه لن يستطيع إنجاز أي شيء إذا وصل عقله إلى تلك المرحلة من التشبُّث، فكان يدرك أن عليه أن يأخذ قسطًا من الراحة، وأن يفعل أي شيء آخر عدا التفكير في تلك القضية، حتى يستعيد يقظته وطاقته، ويعود إلى العمل مرّة أخرى على نحو أفضل.

أراح ظهره في مقعده، ثم نظر بجواره، والتقط جهاز التحكم الخاص بالتلفاز الموجود على جانب مكتبه، ثم فتح التلفاز، وظل يتنقّل بين محطاته بلا هدف كلما مرت بضع ثوانٍ، حتى لفت انتباهه أحد البرامج، الذي يتحدث عن مجهودات الشرطة وما ضبطه رجال وزارة الداخلية في المدة الأخيرة من الخارجين عن القانون، فترك القناة تعمل، وسرح قليلًا محدقًا في شاشة التلفاز دون أن يشاهد شيئًا في حقيقة الأمر، حتى أعلن البرنامج عن شيء أثار فضوله، فانتبه مجددًا، ورفع صوت التلفاز، وسمع صوت مُقدم البرنامج يقول إن ضباط الجمارك نجحوا في إحباط محاولة تهريب مئة كاميرا مراقبة مُخبّأة على هيئة مُنْبّه منزلي صغير على شكل طائر البطريق بلونيه الأبيض والأسود، وأن تلك الكاميرات يمكن توصيلها بالهواتف الذكية والحاسبات الآلية، لتعطي بثًا مباشرًا لما يحدث في الوقت نفسه إلى حامل ذلك الهاتف.

اعتدل «عاصم» في مقعده بانتباه حينما شاهد تلك اللقطة الأخيرة، ثم هبّ واقفًا، واقترب من شاشة التلفاز، وصوّرها حينما كانت تعرض شكل إحدى تلك الكاميرات منفردة، ثم عاد مرّة أخرى إلى مقعده وجلس يفكر محدثًا نفسه:

- ماذا لو أن مهربي تلك الكاميرات قد نجحوا في تهريب بعض منها قبل ذلك؟ وماذا لو كان الجاني قد استخدم كاميرا مماثلة لمراقبة موقع الجريمة؟ تسلل إلى الغرفة، ووضعها بالداخل، ووصلها بهاتفه المحمول قبل أن ينفذ جريمته، ثم جلس بالقرب ليراقب الزوجة وزوجها على شاشة الهاتف.. وبناءً عليه اختار اللحظة المناسبة للانفراد بضحيته.. حينما دخل «يوسف» الحمام.. ليجد الجاني أن الفرصة قد أصبحت سانحة له حتى يُجهز على ضحيته.. فدخل الغرفة، ونفذ جريمته.. ثم اصطحب الكاميرا وغادر الغرفة قبل أن يخرج الزوج من الحمام.. تبدو الفكرة مقبولة كثيرًا، ولكن كيف دخل الغرفة من الأساس؟ بالتأكيد هو لم يدخل من باب الغرفة.. فإن الكاميرا المسلطة على طريقة الباب لم تُظهر أي شخص يدخل إلى الغرفة.. فبالأكيد قد دخل وخرج من الشرفة، ولكن كيف استطاع أن يفتح باب شرفتها من الخارج؟ هل يمكن أن يكون الباب قد قُتِح بالصدفة؟! ولكن أعتقد أنه لا مجال للصدف في جريمة كهذه؛ فنحن نسعى إلى القبض على قاتل محترف.. ولا أعتقد

أنه قد ترك طريقة دخوله للظروف.. بالطبع لا.. فهو ليس بهذا الغباء.. يجب أن يكون قد دخل الغرفة مُسبقًا وترك باب الشُّرفة مواربًا، ووضع كاميرته، ولكنَّ هناك شيئًا مفقودًا.. إذا كانت هذه هي الطريقة التي راقب بها الغرفة من الداخل.. إذا فمتى وضع الكاميرا هناك؟

ظَلَّ «عاصم» شاردًا بعض الوقت، وتوالت الأفكار على رأسه، وبدأ أكثر تركيزًا في ذلك الوقت، ثم فتح حاسوبه الموجود أعلى مكتبه، وبدأ مرَّة أخرى في مشاهدة التسجيلات الخاصَّة بكاميرات المراقبة القريبة من الغرفة لساعات قبل وقوع الجريمة.

كان هناك مشهد بدا طبيعيًا - للوهلة الأولى - لأحد الأشخاص يرتدي القبعة الرياضية (الكاب) قادمًا من ناحية فناء مبنى الفندق الخارجي إلى الدَّرَج المؤدي إلى مطبخ الفندق بالقبو السفلي للمبنى نفسه، والمختص بدخول العاملين في تمام الساعة الثامنة مساء يوم وقوع الجريمة، وكان يرتدي بنطالًا أسودَ وقميصًا أبيض اللون يشبه زي العاملين بالفندق، كما كان يرتدي حقيبة ظهر متوسطة الحجم سوداء اللون، وقد ظهرت تلك اللقطة في تسجيل الكاميرا المعلقة أعلى مدخل الدَّرَج، ولكن ما لفت انتباه «عاصم» بعدها أن ذلك الشخص ظهر مجددًا وهو يخرج

من مدخل الدَّرَج في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، ثم اختفى عن محيط الكاميرا، وعاد مرّة أخرى إلى المدخل نفسه بعد ذلك بدقائق، وكان يحمل صينية مغطاة، وبعد انتهاء حفل الزفاف ببضع دقائق، أي في توقيت حدوث الجريمة، خرج الشخص نفسه حاملاً الحقيبة من مدخل الدَّرَج، وكان يحمل الصينية المغطاة أيضًا، ولكنه كان يرتدي جاكِت أسودَ تلك المرّة، ولم يظهر مرّة أخرى في تلك الكاميرا.

استمر الضابط في مشاهدة ذلك التسجيل حتى وصل إلى توقيت ما بعد اكتشاف الجريمة، ولم يُثر انتباهه أي شيء آخر في التسجيل، فألقى نظرة متفحصة سريعة على شاشة الحاسوب، حتى وجد الملف الخاص بتسجيل الكاميرا المعلقة أمام باب مطبخ الفندق نفسه من الخارج، فشغّله وشاهده بدايةً من التوقيت الذي هبط فيه مُرتدي القبة الدَّرَج المؤدي إليه، فشاهده وهو يخرج من مطبخ الفندق في الساعة الثانية عشرة والنصف حاملاً حقيبته، ثم عندما عاد إليه وهو يحمل الصينية، ثم عندما خرج منه مجددًا بعد انتهاء الحفل حاملاً الصينية والحقيبة، ولم يظهر مرة أخرى.. وهنا لاحظ الضابط شيئًا بدا غريبًا بعض الشيء؛ فعندما خرج الرجل من مدخل الدَّرَج إلى فناء الفندق في المرّة الأخيرة بعد انتهاء الحفل، كان يرتدي بدلة كاملة في تسجيل

كاميرا مدخل الدَّرَج، لكنه ظهر في تسجيل كاميرا المطبخ في التوقيت نفسه وهو يرتدي البنطال والقميص فقط!
فكّر «عاصم» قليلاً فيما شاهده، ودار حديث غير مسموع بخَلده:

- لماذا ارتدى الرجل شُترة البدلة وهو يصعد الدَّرَج؟! هل يمكن أن يكون قد شعر بالبرد المفاجئ مثلاً فوضع الصينية على الأرض، ثم أخرج الشُترة من حقيبته وارتداها وأكمل صعود الدَّرَج؟! وإلى أين ذهب بعد ذلك؟! هل غادر الفندق؟! ولكن لماذا في هذا التوقيت؟ مَنْ هذا الرجل؟!

بحث «عاصم» عن التسجيل الخاص بكاميرا مراقبة الباب الرئيسي للنادي، ثم شَغَله، فشاهد ذلك الشخص بعد أن خرج من مدخل الدَّرَج ببضع دقائق، وقد خلع شُترته مرة أخرى، وكان ذلك بعد توقيت وقوع الجريمة مباشرة في تمام الساعة الواحدة وخمس وأربعين دقيقة بعد منتصف الليل.

ظهر مُرتدي «الكاب» من الخلف في تلك اللقطة وهو يسير أثناء خروجه من النادي ومغادرته إياه، حينما استوقفه أحد أفراد الأمن الموجودين على البوابة، وتحدث معه للحظات، ثم تركه الرجل وانصرف، وعبر الطريق إلى الجهة الأخرى، دون أن تظهر ملامحه في عدسة الكاميرا، وكأنّه حرص على ألا يلتفت إليها مطلقاً.

لم يكن ذلك المشهد مثيرًا للاهتمام عندما شاهده «عاصم» في المرة الأولى عقب حدوث الجريمة؛ لأنه قد شاهد كل تسجيل على حدة، خصوصًا أن ذلك الشخص كان يرتدي مثل ما يرتديه العاملون في الفندق، ولكن حينما شاهد «عاصم» تلك التصرفات المثيرة للشك من الشخص نفسه على بقية التسجيلات مُجمعةً، فإن رؤيته لتلك اللقطات قد اختلف كثيرًا الآن.

الفصل الحادي عشر

اتَّصل «عاصم» بـ«ياسر»، مدير أمن فندق النادي، على الفور، وأخبره أن يقابله في الفندق بعد دقائق، ثم توجه إلى هناك.

كان «ياسر» رجلًا في بداية الأربعينيات من عُمره، قمحي البشرة، لديه أنف ضخمة، وخدَّان مُنتفخان، وملامح طفل صغير، شعره أسود، وجسده مُمتلئ قليلًا، يرتدي البدلة الكاملة دائمًا، ويبدو كسولًا ثقيل الحركة، على الرغم من تمثُّعه بصحَّة جيدة، كما يبدو أنه لا يغادر مكتبه إلا للضرورة القصوى.

جلس «عاصم» في مكتبه، ثم وضع القرص المدمج الذي يحتوي على تسجيل كاميرات الفندق في الحاسوب الخاص بمكتب «ياسر»، وأداره، ثم أوقف تلك اللقطة التي يتحدَّث فيها ذلك الرجل المُريب مع فرد الأمن الخاص بالبوابة، وبعد أن شاهدها «ياسر»، أخبر الضابط بأن فرد الأمن الظاهر في تلك اللقطة يُدعى «محمود النمس»، لكنه لم يستطع تحديد هويَّة الشخص الآخر الذي كان يتحدَّث معه، فطلب منه الضابط أن يستدعي ذلك «النمس» الآن ليتحدَّث معه قليلًا، فضغط «ياسر» على أحد الأزرار الموجودة أسفل مكتبه، فأتى إليه أحد العاملين في المكان، ثم أخبره أن يُحضر

«محمود» إلى مكتبه في الحال، وبعد دقائق وصل «محمود».

كان «محمود» شابًا في بداية الثلاثينيات، أسمر البشرة، ذا شارب سميك مُتدلّ يغطي شفته العليا بالكامل، ثوحي ملامحه بأنه كان شرطياً سابقاً، وكان يمتلك ثقة بالنفس كبيرة للغاية - دون أي سبب مُقنع - قد تصل إلى حد الغرور.

دخل «محمود» إلى المكتب فاتحاً ذراعيه يهز أكتافه، وكأنه بطلٌ في رياضة كمال الأجسام، لا يستطيع ضم ذراعيه؛ لأن عضلات «مجانسه» المهولة تمنعه من ذلك، وبعد أن دخل جلس على المقعد المُواجه لـ «عاصم»، وقال بثقة وجدية:

- أؤمر يا «ياسر بيه».

- الأمر لله يا حبيبي.. «عاصم بيه» رئيس مباحث القسم كان عايز يسألك على شويّة حاجات كدا.

فالتفت «محمود» بوجهه إلى «عاصم» قائلاً:

- عينيّ يا فندم.. أؤمر يا «عاصم بيه».

- ما يؤمرش عليك ظالم.. بص يا عمّ «محمود»، أنا عايز أوريك حاجة كدا الأول، وبعدين نتكلم.

أدار «عاصم» شاشة الحاسوب ناحية «محمود»، ثم شغل تلك اللقطة المذكورة، ليشاهدها الأخير بدوره، وبعد أن

شاهدها قال له الضابط:

- فاكّر اللقطة دي يا «محمود»؟

حدّق «محمود» في شاشة الحاسوب يشاهد اللقطة بجبينٍ مُقَطَّبٍ، وتحركت مُقلّته في حركة دائرية وهو يفكر، ثم قال:

- يعني تقريبًا كدا يا «عاصم بيه».. آه فاكّر ها.. «محمود النمّس» ما ينساش حاجة أبدًا سعادتك.

- تمااااام.. مين دا بقى يا محمود يا نمّس؟

- دا عمّ «منصور» يا باشا.

نظر «عاصم» إليه بترقّب، واستهلّت أساريّزه إعجابًا، ثم قال له بلهفة:

- عمّ «منصور» مين بقى يا عمّ «خودة»؟

- دا عمّ «منصور» يا أستاذ «ياسر».. الراجل الكبير الغلبان دا.. اللي اتعيّن في فندق النادي من شهرين كدا تقريبًا.. وببشتغل في المطعم اللي تحت يا «ياسر بيه».. ما انت حضرتك عارفه يا باشا.

ابتسم «عاصم» عندما بدأت الأمور تتضح له أكثر، بينما كان «ياسر» وكأنه يعيش في عالم مُوازٍ آخر، لكنه حاول أن يتظاهر بمعرفة كل شيء حتى يحفظ ماء وجهه أمام

«عاصم» قائلاً:

- آه.. آه، عارفه طبعًا.

كتم «عاصم» ضحكة ساخرة داخل فمه، ثم قال لـ«ياسر»
بلهفة:

- فين عمّ «منصور» دا دلوقتي بقى يا أستاذ «ياسر»؟

فقاطعه «محمود النمى» قبل أن يقع مديره في الحرج
مرة أخرى:

- والله يا باشا مش عارف، بسّ أنا بقالي كام يوم
ماباشوفوش.. ماعرفش هو واخذ أجازة ولا إيه!

فقال الضابط بنفاد صبر موجهًا كلامه لمدير أمن المكان:

- الراجل دا موجود ولا فين يا «ياسر بيه»؟

- والله يا باشا الراجل دا تقريبًا إحنا مشيناه، لو هو اللي في
دماغي يعني.. بسّ ثواني هاتأكد لحضرتك.

اتصل «ياسر» بأحد مساعديه، واستعلم عن شخص يعمل
بالمطبخ يُدعى «منصور».. ثم سكت وأنصت للحظات، ثم
أنهى المكالمة وقال:

- آه مشي يا باشا.. مشي بعد الفرخ بيوم.

امتعض وجه الضابط من الغيظ، ثم قال بدهشة وغضب:

- مشي ازاى يعني؟! يعني هو اللي طلب يمشي، ولّا انتو اللي مشيتوه من نفسكم؟!!

- لّا احنا اللي مشيناه؛ عشان كان بيتأخر كثير.

هزّ الضابط رأسه بغضب ودهشة في الوقت نفسه، وتمتم ببعض الكلمات، ثم استطرد في حديثه مع مدير أمن الفندق، وقال:

- طيب انت ادّتي صورة بطاقته في الملف اللي أنا أخذته يا «ياسر بيه» ولّا لّا؟ (سأله «عاصم» متشككًا).

- أكيد يا باشا.. أنا ادّيتك الملف كله.. أكيد جّواه الصورة.

- ممم.. طب معلش ابعت حد يجيلنا صورة بطاقته ثاني كدا.

- حاضر.. هاجيبها لك حالًا، حاضر.

أمسك «ياسر» بهاتف المكتب مرة أخرى، واتصل بموظف الصالة، وطلب منه إحضار صورة البطاقة الخاصة بالطاهي «منصور»، ثم أغلق الهاتف، وبعد نصف ساعة تقريبًا، رنّ هاتف المكتب مرّة أخرى، فأجاب «ياسر» قائلاً:

- أيوه.. هاااه.. وبعدين؟ يعني إيه مش لاقوها؟! يعني

هتكون راحت فين؟! دؤر كويس ثاني.. دؤر كويس عشان
الشرطة عايزاها.. يلاً ورّد عليّ بسرعة.

ألقى «ياسر» نظرة حرجة إلى «عاصم» الذي كان يجلس
واجماً في صمت ينتظر في ملل، وبعد لحظات سأله «عاصم»
باستهجان قائلاً:

- إيه يا «ياسر بيه»؟ راحت فين صورة البطاقة؟

- موجودة يا باشا، موجودة.. تلاقيها بس سقطت من الملف
ولّا حاجة.. بيدوروا عليها، وإن شاء الله هيلاقوها.

- هو انتو بتشيلوا الملف دا فين؟

- بيبقى موجود يا باشا في مكتب الموارد البشرية على
الكمبيوتر بتاعهم.. كنا زمان بنعمله ملف ورقي كدا.. لكن
الموضوع دا قدم أوي.. فمؤخرًا بقى جنبنا كمبيوتر وموظف
الموارد بيحفظ عليه البيانات دي.

- طب وموظف الموارد البشرية دا بيبقى موجود الصبح
بس، ولا نظام شيفتات؟

- بيبقى موجود الصبح بس يا باشا لحد الساعة خمسة.

- مممم.. طب وبعد ما بيمشي، المكتب بيتقفل يعني، ولّا
يبقى فيه حد ثاني؟

- لاً، بيتقفل، ويبقى مفتاحه في الريسبيشن.. بس ماتقلقش سعادتك، هيلاقوا الصورة إن شاء الله (قالها «ياسر» بقلق).

وقبل أن يتم جملته رنَّ هاتف مكتبه مرة أخرى، فابتسم للضابط، ثم أجاب بكل ثقة:

- هاه، لقيتوه؟

ثم سكت قليلاً، واحمرَّت وجنتاه البيضاوان خجلاً، واستطرد بغضب قائلاً:

- يعني إيه يا عم؟ أقسم بالله لهاعملكم تحقيق انتو الثلاثة.. يعني إيه يعني؟ حد مسحه ولا إيه؟! اتصلوا بموظف الموارد البشرية خليه ييجي يدور عليه دلوقتي.. آه ييجي من أجازته.. باقولك إيه.. أقسم بالله لو ماجبتوليش صورة البطاقة النهارده ما هيحصل كويس.

ثم أغلق الهاتف بعنف، ونظر إلى الضابط بحرج، واعتذر له عن ذلك الإهمال غير المتعمد، ثم أكد له أن صورة تحقيق شخصية «منصور» موجودة داخل نسخة ملف الموظفين التي أعطاها إياه مُسبقًا.

نظر إليه «عاصم» نظرة متشككة، وكأنَّ لديه يقينًا بعدم صدق كلامه، ثم طلب منه أن يستدعي مدير المطبخ

لمقابلته، فاتصل «ياسر» به، وطلب منه أن يحضر إلى مكتبه في الحال، فأخبره الأخير بأنه في طريقه إلى الفندق، وسيصل في غضون دقائق قليلة.

اتصل «عاصم» بأحد مرؤوسيه في القسم، وطلب منه أن يبحث في تلك النسخة الخاصة ببيانات العاملين بالفندق، التي قد أخذها مُسبقًا منذ ليلة الحادث، وأخبره بأن يبحث عن اسم «منصور» بين تلك الأسماء، لعل حدسه كان مُخطئًا.

وبعد دقائق قليلة وصل «حسام»، مدير المطبخ، إلى مكتب «ياسر»، فصافحه «عاصم»، وطلب منه الجلوس لسؤاله عن بعض الأشياء، فجلس الأخير، ثم قال له الضابط:

- فيه واحد شغال معاك في اصطفّ المطبخ اسمه «منصور»، أو عمّ «منصور» يعني، مش كدا؟

- آه يا فندم عمّ «منصور».. بسّ دا مشي.. ما لهُ؟!

- تعرف اسمه إيه بالكامل؟

- في الحقيقة لأ.

- طيب عنوانه.. رقم موبايله.. أو تليفون بيته حتى؟

- معايا رقم موبايله بسّ.. لكن ماعرفش عنوانه بصراحة.. بسّ أعتقد إنه ساكن في الهرم.

سكت «عاصم» برهة، وهمّ بكتابة شيء ما، لكنه تراجع ثانية، ثم قال:

- هو اللي قالك، ولّا انت عرفت منين إنه ساكن في الهرم؟
- والله يا فندم، بيتهيّالي إنه قالّي في مرة إنه قاعد في الهرم مع ابنه.. والله أعلم.

- طيب ماقالكش فين في الهرم؟

- لا والله للأسف.. أصل هو لسه جديد يا فندم.. اتعيّن هنا من حوالي يمكن شهر وئص، أو شهرين بالكثير.

قالها وهو ينظر إلى «ياسر»، ربما يؤكّد كلامه، لكن الأخير تعمّد أن يتجنّب النظر إليه، فسأله «عاصم» ببصيص أمل عن رقم هاتف «منصور»، فأخرج «حسام» هاتفه، وأملى عليه الرقم، واتصل «عاصم» بعد ذلك بأحد زملائه، وأخبره بأن يخاطب النيابة بشأن الموافقة على تتبّع ذلك الرقم، ثم يبلغه ببياناته وسجلّ مكالماته على الفور، ثم استطرد في مناقشة مدير المطبخ قائلاً:

- هو عمّ «منصور» دا شكله عامل ازاي؟

- هو راجل كبير.. معدي الستين تقريبًا.. أصلع كدا.. وخمري وقصير شويّة.. ورفيع.. وباين على وشّه الشقا كدا.. وشكله

راجل غلبان وفي حاله يعني وما بيتكلمش كثير.. يعني تقدر تقول كان فيه مواصفات العامل المثالي.. ما عدا طبعًا الغياب اللي كان بيغيبه في آخر فترة.

ابتسم «عاصم» ابتسامة باهتة وكأنه أيقن بشيء ما داخل عقله، وهو يُدوّن مواصفات المشتبه به، وكل المعلومات المهمة كذلك في دفتره الخاص، ومكت يفكر في الأشخاص الصُّلع الذين تربطهم علاقة بالقتيلة، فتذكر أن والدها كان هو الأصل الوحيد من ضمنهم، ثم أردف قائلاً:

- مممم.. طبعًا انت مامعاكش صورة ليه؟

- لا، بصراحة لا.

- هو الزي اللي بتلبسوه في المطبخ عبارة عن إيه بالضبط؟

- إحنا حضرتك بنلبس بنطلون اسود، وقميص أبيض، وطاقية الشيف البيضاء.. وطبعًا بنعلق مريلة بيضا برضو فوق اللبس.

- ممم.. طيب هو المطبخ فيه كاميرات؟

- هو فيه يا فندم.. بس مش عارف إذا كانت شغالة ولا لا.

قالها «حسام» وهو يُلقي نظرة إلى «ياسر» بطرف عينيه، ثم أردف محاولاً تجميل ما قاله:

- أعتقد إنها من سخونة المطبخ بتبوظ مع الوقت يا فندم..
بس فيه كاميرا قدام المطبخ من برّا، دي شغالة.

فسأله الضابط بتهكّم يختبره:

- واشمعنى دي بقى اللي شغالة؟ ماهي نصّ كاميرات النادي
عطلانة يعني.. وبعدين عرفت مينين إنها شغالة أصلاً؟

- أصل من حوالي شهر، أو شهر ونص تقريبًا، حصل موقف
كدا مع عمّ «منصور» برضو، فعرفنا إنها شغالة يعني.

اعتدل «عاصم» في مجلسه، ومال بجسده إلى الأمام تجاه
«حسام»، ونظر إلى عينيه بترقّب، ثم طلب منه أن يقصّ
عليه ما حدث، فأخبره «حسام» بأنه في أحد الأيام أثناء
فترة العمل الليلية بالفندق، حضر إليه «منصور»، وكان القلق
جليًا على ملامحه، وكاد يبكي، وأخبره بأنه قد أضاع هاتفه
المحمول، فطمأنه «حسام» بعد أن بحثا عنه قليلًا دون أن
يعثرا عليه، وأخبره بأنه سيذهب إلى غرفة مراقبة الكاميرات
عندما يأتي فرد الأمن المسؤول عنها بعد قليل، حتى يفحص
تسجيلات كاميرات المراقبة الموجودة داخل مطبخ الفندق
وخارجه، وبعد ساعة تقريبًا ذهبوا إلى هناك بضحية مُراقب
الغرفة، وبحثوا بين التسجيلات حتى عثروا على الهاتف.
واستطرد «حسام» يصف ما حدث قائلاً:

- طلع الراجل يا عيني كان حاطّه على رفّ من الأرفف؛
عشان وهو ماشي كان ماسك صينية عليها أكل، ووقعت
منه على الأرض؛ لأنه كان باصص في الموبايل ومش مركّز
ساعتها.. فلما وقعت الصينية اتخضّ وقام حطّ موبايله على
أرفف الصواني.. وشال الحاجة من على الأرض.. وبعد كدا
نسي وسابه ومشى.

أنصت الضابط إلى الطاهي باهتمام، وفكّر قليلاً فيما قاله،
ثم التفت إلى «ياسر» مرّة أخرى، وطلب منه أن يلتقي
موظف الموارد البشرية لسؤاله عن عدّة أشياء، فاستعلم
الأخير عن وصول الموظّف إلى الفندق، وعلم أنه ما زال في
طريقه إليه، وأخبر الضابط بذلك، فطلب منه «عاصم» أن
يصطحبه في جولة داخل الفندق، مؤكّداً مروره من طريقين
بأعينهما، هما: الطريق المؤدي من المطبخ إلى الشرفة
الخاصّة بغرفة المجني عليها، والطريق من المطبخ إلى
مكتب الموارد البشرية، فقام «ياسر» من مقعده على الفور،
واصطحبه إلى هناك.

كان الضابط مُمسكاً بورقة بيضاء وقلم أثناء سيره في
تلك الجولة، وكلما مشى قليلاً رسم تلك الطرق على الورقة
بحوزته، ثم وضع بعض العلامات عليها، مشيراً إلى أماكن
كاميرات المراقبة الموجودة بها، وما إن انتهى من جولته

حتى توجّه إلى مكتب الموارد البشرية، وجلس بضحية «ياسر» ينتظران الموظف المختص هناك.

وفي أثناء جلوسهما بالمكتب، أمسك الضابط بالورقة أمامه، وبدأ بفحصها جيّدًا، ففوجئ بأن الجزء الخلفي للمطبخ كان يقع أسفل غرفة الجريمة تقريبًا، كما لاحظ أن هناك طريقين من المطبخ ذي الباب الواحد، أحدهما يؤدي إلى الطريقة الموجودة بها غرف النزلاء، أما الآخر، الذي كان يعرفه «عاصم» مُسبقًا، فهو الدّرج المؤدي إلى فناء الفندق الخارجي الذي تطل عليه جميع الشرفات الخاصّة بالغرف من الخارج. أما عن غرفة الجريمة فكانت تطل شرفتها على السور الخلفي للنادي بالضلع المقابل لمدخل دَرَج المطبخ.

بعد أن انتهى «عاصم» من فحص تلك الورقة، سأل «ياسر» عن المدة الزمنية الخاصّة بتسجيل كاميرات المراقبة، فأخبره الأخير بأنها تحفظ التسجيلات لمدة ٣ أسابيع على الأكثر، فطلب منه «عاصم» أن يستدعي الموظف المسؤول بغرفة الكاميرات، الذي أتى إليهما مباشرة، وأشار له الضابط إلى أماكن تلك الكاميرات على الورقة التي رسمها منذ قليل، وراجع أماكنها معه مقارنةً بالتسجيلات الموجودة بحوزته، حتى يتأكّد من صحة معلوماته، ثم سأله عمّا إذا كانت هناك كاميرات أخرى في تلك الممرات لم يلاحظها خلال فحصه،

لكن الأخير نفى وجود أي كاميرات أخرى، ثم همّ بالانصراف، بعد أن شكره الضابط.. وقبل أن ينصرف، دلف موظف الموارد البشرية داخل المكتب، وكان شابًا في مُقتبل العُمر يُدعى «عمر»، وما إن دخل إلى مكتبه، حتى قال لـ«عاصم» بضيق شديد:

- خير يا فندم؟ قالولي إن حضرتك عايزني.

- خير إن شاء الله.. انت تفتكر طباخ اسمه «منصور».. عيَّنته انت هنا من حوالي شهر ونص تقريبًا؟

- «منصور».. «منصور».. هو راجل كبير كدا تقريبًا؟

- آه، معدي الستين تقريبًا.

- أيوه، افكرته يا فندم.. دا ما له دا؟

- دا اتعيّن هنا إمتى بالضبط؟ وفين الملف بتاعه؟

- هاقول لحضرتك حاضر.. ثانية واحدة أشوف الملف بتاعه.

نظر الموظف إلى شاشة الحاسب الآلي الخاص بمكتبه، وظلّ يبحث عن بيانات «منصور» مرارًا وتكرارًا على مَضَض، دون أن يعثر عليها، فقال حائرًا:

- أنا مش عارف.. هو كان موجود في «ال فولدر» دا.. حاجة

غريبة أوي.. طيب ثانية واحدة، أنا عامل نسخة من الملف في مكان ثاني على الكمبيوتر.. معلش حضرتك ثواني بسّ.

نظر الضابط إليه بملل شديد ضامًا ذراعيه إلى صدره، وظل ينظر إليه في انتظار أي جديد، وبعد نصف ساعة من البحث المتواصل، نظر «عمر» إلى الضابط بخيبة أمل وحيرة، ثم قال له:

- للأسف يا باشا، أنا مش لاقى الملف بتاعه.. ومش عارف راح فين.. أنا مستغرب جدًا بصراحة!

نظر إليه «عاصم»، وكاد ينفد صبره، على الرغم من طول صبره المعهود، ثم سأله بجدية عمّا إذا كان يحتفظ بنسخة ورقية منه، فنظر إليه الموظف بحرج مرة ثانية، واحمرّ وجهه خجلًا، ثم ألقى نظرة سريعة بتردد على «ياسر»، وقال:

- لا، هي على الكمبيوتر بسّ يا فندم.. بسّ عامّةً هو اتعيّن هنا زيّ ما حضرتك قُلت من شهر ونص بالظبط.

- زي ما أنا قُلت! ها (قالها «عاصم» بسخرية).. طيب احكي لي بقى إيه اللي حصل.. وجالك هنا المكتب ولا قابلته فين؟

- آه يا فندم من شهر ونص تقريبًا.. جابهولي حد من أفراد الأمن.. وقالّي إنه عايز يقابلني.. فقلتله ماشي خليه يتفصّل..

فدخل المكتب.. وكان باين عليه إنه غلبان كدا ومحترم.

استطرد «عمر» يحكي الحوار الذي دار بينهما:

- صباح الخير يا فندم.

- صباح النور.. أؤمر يا حج.

- والله يا ابني أنا مُخرج بصراحة.. أنا اسمي «منصور»..
وآسف إني جيت من غير معاد.. أنااا عندي خبرة كويسة جدًا
في الطبخ.. وكنت شغال في كذا مطعم قبل كدا.. وسبت
شغلي الأخير في مطعم كدا في المعادي.. عشان المطعم كان
كله شباب صغيرين ومستهترين.. وتعبوني بصراحة.. وأنا
زيّ ما حضرتك شايف يعني خلاص كبرت على البهدلة وقلة
القيمة.. وكنت محتاج شغل يعني لو أمكن.. وقبل ما حضرتك
تقول رأيك، أنا حابب بسّ أقولك إني خبرة ٣٥ سنة في
الطبخ والمطاعم.. ومش طالب مرتب كبير ولا حاجة.. اللي
هتقولوا عليه أنا موافق عليه.. وأنا كنت عايز بسّ تجربوا
الأصناف اللي أنا باعملها.. وأنا متأكد إن شاء الله إن الأكل
هيعجبكم جدًا.. فيا ريت يعني لو أمكن حضرتك تعيّني هنا
في المطبخ؛ لأن كمان ابني عمل حادثة من يومين ومتجسس
وقاعد من الشغل.. وهو متجوز وعنده طفل رضيع.. فأنا
يعني اللي شايل البيتين كدا زيّ ما بيقولوا لحد ما يقوم هو
بالسلامة إن شاء الله.. فأتمنى يعني وأتشرف إن يكونلي

مكان وسطيكو هنا.. والبركة في حضرتك بقى بعد ربنا إن شاء الله.

استطرد «عمر» في الحديث مع الضابط، واصفًا شعوره تجاه «منصور» وما قام به بناءً على ذلك قائلاً:

- كان راجل مؤدب ومحترم بصراحة.. وكان لبق جدًا في الكلام.. وتحسّ كدا إنه كان ابن ناس والدنيا جت عليه.. وبصراحة صعب عليّ لما حكالي ظروفه.. ففكرت، وقُلت إن كدا كدا الفندق هنا ما بيديش مرتبات كويسة للطباخين والاصطفّ اللي شغال.. والناس بتطفش بمعنى أصح.. دا غير إنه مش طمّاع، وهو اللي جاي ومزنوق، ومش هيكلفنا مرتب عالي.. فكلمت مدير المطبخ وقُلتله هبعثك حد.. شوفه كدا لو بيعمل أكل كويس نعيّنه.. فاخبره وقالّي تمام، فعينته من ساعتها.. وكان ماشي كويس لحد قبل يوم جريمة القتل اللي حصلت دي بكام يوم.. بدأ يتأخر ساعات، ويقفل موبايله ومايردّش علينا.. وتروح عليه نومة بقى وكدا يعني.. فأستاذ «حسام» مدير المطبخ كلمني، وقال لي الكلام دا.. فقُلتله خلاص احنا نمشي، بس بعد الفرحة؛ عشان في المناسبات بيبقى فيه ضغط شغل وكدا.. وفعلاً بعد الفرحة بيوم هو اتصل، واعتذر وطلب أجازة، فقولنا له لأ خلاص بقى خليك

أجازة على طول. ومشّيناه.. بس وما جاش تاني حتى ياخذ بقية حسابه.

أوما «عاصم» برأسه، وفكّر قليلاً قبل أن يهّم بمغادرة الفندق، ثم نظر إلى «ياسر» بغضب، وأخبره بأن يهتم بتأمين الفندق بجدية أكثر من ذلك، مشيراً إلى أن خطة تأمين الفندق سيئة للغاية، وأنه سيُعطيه مهلة محددة لإعادة توزيع كاميرات المراقبة، وتغيير التالف منها، وسيرسل لجنة لفحص تأمين الفندق بعد انتهاء المهلة المتفق عليها.

انصرف الضابط غير راضٍ عن الحالة الأمنية للفندق، وعاد إلى القسم مرة أخرى، وكان النهار قد أشرق من جديد، في يوم شديد الحرارة. جلس «عاصم» يراجع تلك النسخة من ملف العاملين بالفندق بنفسه، بعد أن راجعها أحد الضباط، وأخبره بأنه لم يجد إلا شاباً واحداً في الخامسة والثلاثين من عُمره يُدعى «منصور»، ولم يصل «عاصم» كذلك إلى أي نتيجة مختلفة.

بعد ذلك، استدعى بعض زملائه، وجلسوا داخل مكتبه يفحصون جميع التسجيلات المتاحة ثانيةً، بداية من ثلاثة أسابيع سابقة للجريمة، واضعين تركيزهم تلك المرّة على تحركات الطاهي «منصور» - مُرتدي القُبّة - داخل الفندق، فربما قد التقطت تلك الكاميرات منخفضة الجودة ملامح

وجهه، وفي أثناء الفحص ظهر ذلك الـ«منصور» في عدّة لقطات، وقد بدا شديد الدهاء كما وصفه «عاصم»؛ فقد لاحظ أن المذكور كان يحفظ أماكن تلك الكاميرات عن ظهر قلب، وكان حريصًا دائمًا على ألا تظهر ملامحه في أي واحدة منها، ولم يخلع قُبْعته عن رأسه أبدًا، التي ساعدته في إخفاء بعض الظل على ملامح وجهه، كما ساعدته إضاءة النادي الخافتة في الأماكن المفتوحة على ألا تكشف عنه الكاميرات، أما عن تلك اللقطات التي كان يظهر بها داخل الفندق نفسه، فكان ينجح دائمًا في إخفاء ملامح وجهه بطرق مختلفة وطبيعية في آنٍ واحدٍ، فتارةً ينظر إلى الأسفل ناحية هاتفه، وتارةً أخرى يتظاهر بأنه يمسح وجهه بيده حتى يمر من المنطقة التي تغطيها الكاميرا، وتارةً يتظاهر بالنظر إلى الجهة الأخرى.. وما إلى ذلك، أما عن الكاميرا الموجودة في طرقات غرف الفندق فلم يظهر بها أبدًا، وبدا أنه كان ينتقي الأماكن التي يمر من خلالها خلال وجوده بالفندق، فضلًا عن أنه لم يكن كثير الحركة والتنقّل هناك، فكان يقتصر خط سيره المعتاد على السير من باب النادي إلى المطبخ الموجود في قبو الفندق، والعكس فقط.

تنهّد الضابط تنهيدة طويلة، ثم جلس يفكر ويفكر في ذلك المجرم المذهل الذي نجح في الاختفاء حتى ذلك الوقت.. ومكث يفكر في ذلك الطاهي «الشبح»، كما وصفه.. هل شكّه

تجاهه كان في محله؟ ثرى هل يبحث في الاتجاه الصحيح تلك المرّة؟ هل ذلك الشخص هو الجاني الذي يبحث عنه، أم أن كل ما شاهدته وسمعه عنه كان ضدفةً أيضًا؟!

كان الضابط يدرك جيّدًا أنه لا توجد جريمة كاملة على الإطلاق، كما أجمع علماء علم الجريمة، وحتى إن اقتربت تلك الجريمة من حد الكمال، فلا بُدّ من وجود ولو خطأً واحدًا قد ارتكبه ذلك المُجرم، وأن ذلك الخطأ هو الذي سيكشف عن هويّته، ويضعه بين أيدي العدالة.

بعد قليل، وأثناء انغماس عقل الضابط في التفكير، دخل إلى مكتبه النقيب «ياسر»، الذي كان قد كلّفه مُسبقًا بتتبّع الرقم الخاص بالمدعو «منصور»، وأخبر «عاصم» أن ذلك الهاتف لم يُسجّل بأي بيانات في شركة الاتصالات التابع لها، وقد أُغلق بعد وقوع الجريمة بساعات فقط، ولم يستقبل أو يُجر أي مكالمات منذ ذلك الحين، وأن جميع المكالمات التي تمت منه مُسبقًا كانت من أماكن مختلفة، أغلبها في حي الهرم في أماكن متفرقة، كما أن كل الأرقام التي اتصل بها كانت رقم الطاهي «حسام»، مديره في العمل، و«عمر»، موظف الموارد البشرية بالفندق.

بدأ «عاصم» في التأكّد من شعوره تجاه ذلك الطاهي، فكيف لم يتحدّث إلى أي شخص آخر، عدا أرباب عمله؟!

وكيف لا يكون هناك مكان ثابت يُجري منه مكالماته؟ لا بُدَّ من أنه لا يسكن في حي الهرم من الأساس.

جلس «عاصم» بمفرده يفكر في كل الأشياء، محاولاً أن يربط الأحداث ببعضها ببعض، ثم وافته فكرة لم يفكر فيها من قبل، وتحدث عقله قائلاً:

- إذا كان ذلك الرجل المدعو «منصور» يعمل طاهياً، وكان جيّداً في ذلك العمل، كما أخبره «حسام»، مدير مطبخ الفندق.. وفي الوقت نفسه كان شاب التوصيل «سعيد» يعمل في أحد المطاعم أيضاً.. فربما كان «منصور» يعمل معه في المطعم نفسه وهو الذي سرق هاتفه وأرسل منه الرسالة المذكورة إلى هاتف «يُسر».. وتخلّص منه بعد ذلك.. مع العلم بأن ذلك المطعم كان على مقربة من الشركة التي كانت تعمل بها الضحية في حي المهندسين.. فلا بُدَّ من وجود علاقة ما في ذلك.

التقط الضابط هاتفه المحمول من أعلى مكتبه، واتصل بـ«سعيد»، شاب التوصيل سالف الذكر، فأجابه الأخير:

- ألو.. مين معايا؟

- أنا الرائد «عاصم» يا «سعيد» معاك.

- أيوه يا معالي الباشا.. أوْمِرنِي حضرتك.

- باقولك إيه يا «سعيد»، هو انت سبت الشغل في المطعم
اللي كنت بتشتغل فيه دا إمتى؟

- بعد ما التليفون اتسرق مني بيومين كدا يا باشا، خدت
باقي حسابي، واثكت على الله.

- ممم.. طب انت كان فيه حد من الطباخين، أو حتى
زمايلك في المطعم، اسمه «منصور»؟

- «منصور».. «منصور».. «منصووور».. أيوه يا باشا، كان
فيه واحد اسمه «منصور» كان شغال في المطبخ معانا.. بس
دا مشي سعادتك معايا بعد المشكلة اللي حصلت دي.

فتنهّد الضابط ببريق من الأمل، ثم طلب منه أن يصفه له،
فأخبره «سعيد» بأنه رجل أصلع في الستينيات من عُمره، ذو
جسد نحيف. فابتسم «عاصم» بحماس، ثم أردف قائلاً:

- طب انت عارف هو ساكن فين، أو معاك رقم تليفونه؟

- لأ، للأسف يا باشا.. الأرقام كلها ضاعت مع التليفون.. بس
لو سعادتك عايزني أجيبهولك أجيبه يا باشا.

- لأ خلاص يا «سعيد»، ماتتعبش نفسك انت.. وباقولك
إيه، إوعى حد يعرف إنني كلّمتك المكالمة دي أبدًا.. ولا حتى
مراتك اللي معاك في البيت.. عشان الموضوع كبير.. وانت

راجل محترم يا «سعيد».. ومانرضالكش بالأذية.

- لا يا معالي الباشا.. أنا مليش دعوة بحاجة.. انت سعادتك
ماكلمتنيش أصلاً.

- ماشي يا «سعيد»، متشكرين.. سلام.

- مع ألف سلامة يا سعادة الباشا.. مع ألف سلامة يا فندم..
مع السلامة.. سلامة.. سس...

أغلق الضابط الهاتف، وابتسم، وشعر ببادرة أمل قد أتت
بعد عناء طويل، وأنه قد اقترب من الإيقاع بالجاني المراد،
ثم استدعى النقيب «صلاح» إلى مكتبه، وأخبره بأن يتوجّه
إلى مطعم «فولكانو»، الكائن بشارع البطل أحمد عبد العزيز
داخل منطقة المهندسين، مصطحباً بعضاً من أفراد الشرطة
معه، ثم تابع قائلاً:

- هتسأل على واحد اسمه «منصور» لو موجود.. قوله بس
عايزينك في كلمتين كدا، وهاته وتعالى.. لو ماكانش موجود
عايزك تجيلي عنوانه أو تليفونه، وتعمل إجراءات التتبع..
ماشي؟! عايزين نجيبه هنا النهارده يا «صلاح».. يلاً روح،
وتابعني بالتليفون.

- حاضر يا باشا.. هاروح أشوف الدنيا إيه، وهاكلمك على
طول.

خرج «صلاح»، وجلس «عاصم» في مكتبه ينتظر على أحز من الجمر ما سيحدث لاحقًا، على الرغم من شعوره بأن ذلك الشخص هو شخص آخر غير مُرتكب الجريمة، وأن هذا واحد آخر من الأعيب ذلك المجرم الداهية، ولكن نظرًا لتلك المعلومات المُستنتجة التي تفيد بأن ذلك الرجل يُشتبه وبشدة بأن يكون هو المجرم الذي يبحث عنه، فكان يجب عليه أن يخوض كل الطرق وكل الاتجاهات؛ فربما كان إحساسه خاطئًا، ويكون ذلك الرجل هو القاتل الذي يبحث عنه، فلا يوجد أمامه حيل أخرى الآن.

بعد مرور ساعة تقريبًا، اتصل به النقيب «صلاح»، وأخبره بأن «منصور» قد ترك العمل بالمطعم منذ شهرين، لكنه استطاع أن يحصل على عنوانه من أحد زملائه من العاملين بالمطعم. وأضاف أن المذكور يقطن في منطقة المريوطية، حي الهرم، بالعقار رقم ١٦ ب، في الطابق الثاني، فأخبره «عاصم» أن يتوجّه إلى العنوان المذكور، ويُحضره إلى القسم على الفور، بينما سيتواصل هو مع النيابة لاستخراج الإذن اللازم بالقبض عليه، ثم سأله قائلًا:

- باقولك.. انت طمّنت الناس في المطعم إن مفيش حاجة بالنسبة لهُ، وإننا عايزين بشّ نسأله على حاجة بسيطة وكدا؟
- ماتقلقش يا باشا.. أنا دخلتلهم لوحدي، وقلتلمهم إني عايز

بسّ أسأله على حاجة.. ومفيش داعي إن حد يزعجه يعني.

- طب تمام يا باشا، الله ينوّر.. يلاً اطلع على هناك، وطمّني، وبالزّاحة يا «صلاح»، هاه.. عشان أنا عارفك.. يلاً توكل على الله.

أغلق «عاصم» الهاتف، ثم أنهى الإجراءات المتبعة مع النيابة بناءً على المعلومات الجديدة التي بحوزته، ثم اتصل بصلاح مرّة أخرى، وطمأنه بأن الأمر قد أصبح قانونيًا الآن، وأن يُحضر المشتبه به حتى ولو بالقوة المناسبة إذا حاول الهرب، أو المقاومة، ثم أنهى المكالمة.

بعد قليل، عاد «صلاح» إلى القسم وبصحبته المدعو «منصور»، ثم أدخله إلى مكتب «عاصم» الذي أجلسه على المقعد أمامه، ثم اطلع على بطاقته الشخصية، فوجد أن اسمه «منصور السيد عبد العال محمد»، وكان رجلًا خمسينيًا، ثم اتصل بالطاهي «حسام»، وأخبره بأن يأتي فورًا إلى القسم ليتعرّف إلى ذلك الشخص، ويخبره إذا كان هو الشخص نفسه الذي كان يعمل معه أم لا.. وبعد قليل حضر الطاهي، ودخل إلى مكتب الضابط، ونظر إلى ذلك الشخص، ولم يفهم شيئًا، في حين أن ذلك الرجل المدعو «منصور» كان يجلس دون أن يفهم ماذا يحدث كذلك، وبعدها طلب الضابط من أحد معاونيه أن يصطحب «منصور» إلى غرفة الانتظار في

الخارج قليلاً، حتى يُعطي الفرصة لـ«حسام» كي يتحدث بحرية، لكن «حسام» أخبره أن ذلك الرجل لم يكن الطاهي نفسه الذي كان يعمل معه، على الرغم من تقارب عُمرهما وهيئتهما إلى حدٍّ ما، فشكره «عاصم» وطلب منه المغادرة، ثم استدعى «منصور» إلى داخل المكتب لمناقشته، ورمقه بضيق، ثم قال له بحرج:

- إحنا بنعتذر يا أستاذ «منصور» على الطريقة اللي جبنّاك بيها.. بس احنا عايزين نسألك على حاجات كدا معلش، وهنمشيك على طول.

فأجابه «منصور» بغضب:

- يا فندم فيه إيه بس؟ لو عايزين تسألوني عن حاجة، ما كنتوا تسألوهالي وانا في البيت، أو حتى بالتليفون.. مش لازم يعني تجيبوني القسم بالطريقة دي.. وانا شكلي بقى وحش بصراحة وانتو واخدتي كدا معاكو بالطريقة دي.

- معلش يا أستاذ «منصور»، إحنا بنعتذر تاني.. هنسألك بس سؤالين، وهنتكل على الله تروح بعدها إن شاء الله.

هزّ الرجل رأسه بغضب، ثم قال على مضض:

- اتفضّل حضرتك اسأل.

- انت كنت شغال في مطعم «فولكانو» اللي في المهندسين،
مش كدا؟

- أيوه يا فندم، وسبت الشغل هناك خلاص.

- طيب وشغال فين دلوقتي؟

- شغال في مطعم ثاني في الهرم اسمه «أولاد الحناوي»
بتاع مشويات.

- طيب وانت سبت «فولكانو» ليه؟

- يا فندم يعني حضرتك جاييني ومبهدلني عشان تسألني
أنا شغال فين؟!

- يا عمّ «منصور» جاوبني على الأسئلة عشان تمشي..
وماتتعبنيش معاك الله يرضى عليك.. أنا مانمتش بقالي
أسبوع.

تنهد «منصور» بغضب، وهزّ رأسه ثانيةً، ثم قال:

- حاضر يا فندم.. سبتك حضرتك بعد المشكلة اللي حصلت
بتاعة الموبايل.

- مشكلة إيه بقى بالظبط؟ وإيه علاقتك بيها يعني؟
احكي لي.

- هاحكي حاضري.. كان فيه شاب عندنا اسمه «سعيد»،
دليفري، كان بيوصل أوردري، وبعد ما رجع مالقاش موبايله..
وسأل عليه في المحل، فمحدّث جاوبه.. فقام مسك في
خناق واحد زميله من «الدليفريّة».. فزمايلهم اتحمأوا لهم..
والخناقة كبرت.. والمحل اتكسّر.. وبعدها الشرطة جت.. بسّ
اتصالحو في الآخر لما صاحب المطعم اتدخل.. وقال إنه
مش عايز مشاكل.. وماتّهمش حد بحاجة.. بسّ طبعا طرد
نصّ اللي شغّالين في المحل بعدها عشان اللي حصل.

- ياااه.. دي كانت خناقة كبيرة بقي؟

- آه يا فندم.. خناقة كبيرة طبعا.. دي اتصوّرت وجت على
النت.

اعتدل «عاصم» في مقعده فجأة، ونظر إلى «منصور»
بترقّب، ثم قال بدهشة:

- على النت كمان؟!

- أيوه يا باشا.. اكتب حضرتك كدا على النت «خناقة
فولكانو» هتلاقيها.

ألقي «عاصم» نظرة متسائلة إلى أحد زملائه الذي كان
يجلس بالقرب منه، ثم التقط هاتفه، وبحث بالاسم نفسه
الذي أخبره الرجل به على موقع «يوتيوب»، فعثر على أحد

التسجيلات بعنوان «مشاجرة مطعم فولكانو بالمهندسين»، فضغط عليه على الفور ليفتحه، وجلس يحملق في شاشة هاتفه الصغيرة وهو يشاهد نحو عشرة أشخاص يتشاجرون بعضهم مع بعض، ثم ألقى أحدهم أحد المقاعد على الآخر، لكنه انحنى برأسه ليتفادى ذلك المقعد الطائر، فاصطدم المقعد بواجهة المحل الزجاجية، فتهشمت وتناثرت أجزاؤها على الأرض، وكان الجميع داخل شاشة هاتفه يتشاجرون، ما عدا شخصين بدوا كبيرين في السن نسبيًا، وكان أحدهما «منصور» الذي يجلس أمامه الآن، أما الآخر فبدا مألوفًا أيضًا للضابط، وكان كلاهما يقف في صمت، مكتفيين بمشاهدة ما يحدث أمامهما.

طلب «عاصم» من زميله أن يوصل هاتفه المحمول بشاشة التلفاز الموجودة بالمكتب، حتى يشاهد الصورة بشكل أفضل، وعندما أوصله بالشاشة أصبحت الرؤية أكثر وضوحًا، وبدا أن التصوير كان من أحد الهواتف عالية الجودة، وظهرت ملامح جميع من في التسجيل جيّدًا، حتى استطاع «عاصم» أن يتعرّف إلى وجه «سعيد» المتسبّب في المشاجرة من بين زملائه، واستمرّ في مشاهدة التسجيل وهو يدقّق النظر إلى جميع الوجوه التي ظهرت به، لعلّه يعثر على أحد الأشخاص ذوي العلاقة بالجريمة بصورة أو بأخرى، وبعد لحظات التقطت عدسة الكاميرا «منصور» والرجل

الآخر الذي كان يقف بجواره، وكان الرجل يضع يده اليمنى على شعره يتحسسه ببطء، وفجأة هرول «عاصم» ناحية التلفاز وهو يدقق النظر في شاشته، ثم صرخ بحماس شديد:
- أهو.. هو دا.

الفصل الثاني عشر

في الليلة السابقة، كان «يوسف» قد عاد إلى منزله بعد مقابلة «عاصم»، وما إن دخل حتى وجد والده ووالدته يتناولان الطعام، فتوجّه إلى والده، وقبّل رأسه، ثم قال له يُداعبه:

- إيه يا حاج، انت فين؟ أنا ماباشوفكش خالص.

فأجابه والده وهو يبتسم ابتسامة باهتة بنبرة عتاب:

- لساك فاكرا يا ولا إن أبوك موجود ولسه عايش معاك في البيت؟!

- معلش يا والدي.. انت عارف الظروف.. هاعمل إيه؟ بس حقك عليّ، ماتزعلش.

- لأ أنا مش زعلان منك يا ابني.. ربنا يعلم إني راضي عنك دايماً.. أنا بس زعلان عشانك.. ونفسي أشوف ضحكك زي زمان.

- حاضر يا والدي.. من عيني.. انت تؤمر يا حج.

جلس «يوسف» بضجة والديه، وتناول معهما الطعام، ومكث يتحدث معهما ويضحك حتى يُشعرهما بأن حالته النفسية قد تحسّنت كثيراً على عكس الحقيقة التي أخفاها

بداخله.

وبعد قليل، أخبر والديه بأنه سيتوجّه إلى غرفته وسيمكث بداخلها حتى موعد نومه، وطلب من والدته أن توقظه في الصباح الباكر حتى يتناول الإفطار مع والده قبل ذهابه إلى العمل، ثم قبّل رؤوسهما ثانيةً، ودلف إلى غرفته، وجلس على مقعده المعهود بجوار النافذة المطلّة على الشارع، وكانت الشمس قد هدأت حدّتها، وبدأت تتوارى خلف المبنى المجاور لمنزله، ذلك المشهد الذي طالما يذكّره بـ«يسرا»، ويؤلّب عليه المواجه والآلام، ومكث يفكر فيما أخبرته به «ليلي» و«سالي» وغيرهما، وفي حبيبته التي خدعته كثيرًا، وأظهرت له شخصيّة أخرى غير شخصيّتها الحقيقيّة؛ فقد منعته طبيئته من أن يرى الحقيقة حينها، ولم يكن يدري أن لكل شخص رواية ما لم يقرأها أحدٌ غيره.

لم يشعر «يوسف» برغبته في النوم كما أخبر أبويه، وأحس بأنّ همومه وأفكاره قد أوشكت على إدخاله في نوبة اكتئاب شديدة، وأن جدران غرفته قد ضاقت بشدة من حوله، وأوشكت على ابتلاعه، فقرر أن يخرج من المنزل مجددًا، ويذهب ليجلس في أحد الأماكن الهادئة والقريبة إلى قلبه، ربما يُفرغ ما به من هموم هناك، ويستريح عقله.

كان «يوسف» دائمًا يفضّل الجلوس في الأماكن الهادئة

المطلة على ضفاف النيل، ولم يكن قد بدّل ملابسه منذ عودته من الخارج بعد، فخرج من المنزل في هدوء، وتوجّه مرّة أخرى إلى حي «الزمالك»، وذهب إلى ذلك الشارع المطل على ضفاف النيل، ثم ترك سيارته وترجّل منها وتوجّه ناحية إحدى الدكّ الخشبية الموجودة بجوار سور شاطئ النيل، وجلس عليها يتأمّل منظر الشمس وهي تغرق في مياه النيل عاكسةً أشعّتها في عينيه السارحتين.

جالت الذكريات برأسه، فتذكّر عندما اتصل بـ«يُسرا» يومًا في بداية خطبتهما قبل ثلاثة أعوام، عندما كانت سيارته مُعطّلة، وأخبرها بأن تذهب إليه لتصحبه حتى يذهبها للتنزّه في ذلك اليوم بسيارتها، وأخبرته هي حينها أن سيارتها كانت بحوزة والدها؛ لأن سيارة والدها كانت مُعطّلة أيضًا، وأنه قد تركها في مركز صيانة السيارات الخاص بها إلى أن يتم إصلاحها، وقد دُهِش «يوسف» بعد ذلك حينما مرّ على «يُسرا» في اليوم التالي، وكان قد انتهى من إصلاح سيارته، لكنه لم يشاهد سيارتها بجوار منزل أبيها، كما اعتادت تركها بهذا المكان، وتذكر المشهد عندما سألها عن مكان سيارتها، وأجابته هي بغضب قائلة:

- العربية مع بابا يا «يوسف».. بتسأل ليه؟!

- أنا بس كنت مستغرب إن العربية بتاعتك مش مركونة

تحت البيت.. وخفت تكون اتسرقت ولّا حاجة.

- لأ ماتقلقش موجودة.. وبعدين يا «يوسف» لو كانت اتسرقت أكيد كنت أنا أخذت بالي يعني أول واحدة!

- طب وانت متعصبة ليه دلوقتي؟!

- انت عارف ليه؟ أنا قُلتك كام مرّة تبطل الشك اللي جوّالك دا.. المفروض إن فيه ثقة بيّنّا يعني.. أنا زهقت بصراحة وعايضة أروّح البيت.

سكت «يوسف» حينها، وتناسى ما حدث أيضًا كما فعل من قبل في عدة مرّات سابقة، لكنه ظل يسأل نفسه مجددًا معاتبًا إيّاها:

- كيف كذبت «يُسرّا» كل هذا الكذب دون أن أشعر، أم الحقيقة أنني كنت أشعر بكل شيء، لكنني تظاهرت بعكس ذلك؟ يبدو أنني كنت أحبها بشدة حتى أتغاضى عن كل هذه الأفعال السابقة.. كيف كنت صبورًا للغاية معها على عكس طبيعتي؟ ربما ذلك كان هو السبب الذي جعلها تكذب وتخفي عني بعض الأشياء؛ لأنها تعرف أنها نقطة ضعفي، لكن الغريب أنها أخفت أمر هذا الحادث عن أهلها أيضًا.. وربما أقنعتهم بأن سيارتها كانت بضحتي أنا حينها.. كما أقنعتني بأن

السيارة كانت بضحية والدها.. يبدو أن تلك المدة هي التي حدث خلالها حادث السير.. وكانت السيارة بضحية «طارق» حينها حتى يُصلحها.

تنهّد «يوسف» بعمق وهو يتخيّل ملامح وجهها وهي تضحك، ثم استطرد في حديثه غير المسموع إلى نفسه:

- الغريب أنني ما زلتُ أحبها، وكأنَّ شيئًا لم يحدث.. وكأنني لم أعلم شيئًا ممَّا علمته بعد رحيلها.. لقد رحلت بسرعة شديدة لم أتوقعها.. ولم أستطع توديعها.. يا ليتني قد علمتُ كل ما أخفته عني وهي ما زالت هنا.. كنت قد استطعت على الأقل مُعاتبتها.. ربما استطاعت أن تبرّر لي ما فعلته.. ربما كان لديها أسبابٌ اضطررتها لفعله.. ربما كنتُ قد استمررتُ في التغاضي عمّا مضى.. وبدأت صفحة جديدة مختلفة معها.

استفاق «يوسف» من شروده بعد قليل من الوقت، نظر في ساعته، فتذكّر أنه لم يؤدّ فريضة المغرب على غير عادته؛ فقد كان مُواظبًا على صلاته، لا تفوته صلاةٌ أبدًا، لكنه لم ينتبه لإقامة الصلاة التي أعلن عنها مكبر الصوت الخاص بأحد المساجد المجاورة منذ قليل، فنهض من مجلسه وسار قليلًا حتى وصل إلى ذلك المسجد، وعندما دخله أدرك أن صلاة الجماعة قد انتهت منذ دقائق، ولم يتبقّ في المسجد إلا رجلان فقط، فتوضّأ وصلى الفريضة، ثم جلس قليلًا يقرأ

في أحد المصاحف، وبعد لحظات من القراءة انهمرت الدموع من عينيه فجأةً حزناً على ما أصابه، وحينئذٍ رآه شيخٌ كبيرٌ جالسٌ على مسافة قريبة منه، فقام من مجلسه واقترب من «يوسف»، ثم سأله برفق:

- ما لك يا ابني؟ أنا شايفك بتبكي كدا بحرارة.

لم يجد الشيخ أي إجابة منه، فاستطرد قائلاً:

- أنا طبعًا مش قصدي أتطفّل عليك، لكن أنا قلت أسألك يمكن أقدر أساعدك في حاجة.

نظر إليه «يوسف» بحزن شديد ومسح دموعه، ثم قال له باستهجان:

- مفيش حاجة يا عم الشيخ.. مفيش حاجة حصلت.. كل الموضوع إنني اتجوّزت من خمس أيام ومراتي ماتت.. وبعدها عرفت عنها حاجات ما كنتش أعرفها قبل ماتت.. وعرفت إنها أذت ناس كتير.. ودي حاجة عمري ما توقعتها...

ثم أجهش «يوسف» بالبكاء مجددًا وهو يتحدث، وكفّ عن الكلام قليلًا، وجلس الشيخ بجواره ينظر إليه بحزن مشفقًا على حاله، ثم استطرد «يوسف» وهو يمسح وجهه بصوت مبحوح:

- أنا حتى مش عارف أنا باعيط ليه.. باعيط عشان ماتت
ولّا عشان اتخدغت فيها وضورتها بقت وحشة قدامي.. ولّا
باعيط على حالي ولا باعيط على إيه بالضبط!

ثم وضع يده على وجهه، وحاول إخفاء دموعه، فربت
الشيخ على كتفه يحاول مواساته، ونظر إلى أسفل، ثم قال
بحزن:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.. وخذ الله، انت شكك شاب
متدين، الله يرحمها يا رب، ويغفر لها.. واضح إنك كنت
بتحبها جدًا.

تمالك «يوسف» نفسه، ومسح دموعه، ثم قال:

- للأسف، آه.

فابتسم الشيخ ثم قال:

- ماتقولش للأسف يا ابني.. لو انت بتحبها فعلاً حاول
تصلح اللي هي عملته.. اللي تقدر عليه طبعًا.

- أصلح إيه ولّا إيه بس يا مولانا؟ المفروض أصلح اللي أنا
عملته الأول.. أنا كمان ظلمت ناس مالهم مش ذنب.. وخايف
يتردلي الظلم دا والله.

- بُص يا ابني، انت زيّ ولادي.. أنا هاحكيلك على قصة

حقيقِيَّة حصلت فعلاً من سنين طويلة.. عشان تفهم بس اللي عايز أقول هولك.. سامحني أنا عارف إن الوقت مش مناسب، بس أنا حابب إنك تسمعها يعني.

نظر إليه «يوسف» بلا مُبالاة؛ فقد كان آخر همّه هو سماع قصّة ذلك الشيخ المتطّفل، ثم استطرد الشيخ يسرد القصّة دون أن يتفوه يوسف بشيء:

- من مدة طويلة، كان فيه راجل غني.. كان عنده ٣ ولاد.. مراته اتوفّت وسابتهم له.. وكان أكبر واحد عنده ٩ سنين.. فكان الراجل دا قايم هو بالدورين لولاده: الأب والأم.. ولما ولاده كبروا قرروا إنهم يورثوه بالحيا، وياخدوا كل اللي حيلته ويسيبوه ويسافروا برّا البلد.. وكأنهم بيعاقبوه على المجهود الكبير اللي عمله في تربيتهم.. هو زعل منهم صحيح.. بس كان خايف عليهم في نفس الوقت.. ما هم ولاده برضوا! وزيّ ما انت عارف إن أغلى ناس عند أي راجل همّا ولاده وأمه.. فنسي الراجل كل حاجة عملوها.. وكان كل همه إنه يشوفهم تاني.. وكان دايمًا يدعي ربنا إنهم يرجعوله.. وهو هيسامحهم على كل اللي عملوه.. همّا بقى كان عليهم إنهم يختاروا: يرجعوا لأبوهم ويقضوا معاه اللي فاضل من عمره، أو يفضلوا مكملين حياتهم في البلد اللي راحولها.. الابن الأصغر بس هو اللي كان بيحاول يقنعهم

بأنهم يرجعوا لأبوهم ويعتذروا له.. لكن اخواته الكبار
مارضيوش.. وهددوه بأنهم هياخدوا فلوسه ونصيبه في
المشروع اللي كانوا عاملينه في البلد اللي هما قاعدين فيها
بفلوس أبوهم.. فماقدرش الولد يكسّر كلامهم.. وخاف ليرجع
وأبوه مايسامحوش فيبقى خسر الحاجتين: أبوه وفلوس
أبوه.. وبعد فترة، ربنا استجاب لدعاء الأب، واتنصب على
ولاده.. وفلوسهم ومشروعهم وأحلامهم كلها راحت في ليلة..
فاضطروا يرجعوا مصر لأبوهم ثاني.. بس لما رجعوا كان
أبوهم راح للي خلقه.. سبحان الله! تشاء الأقدار إن الابن
الأصغر دا اخواته يتوفوا وهُمّا ماحيلتهمش جنيه بعدها،
وهُمّا لسه في شبابهم.. واحد ورا الثاني.. وهو يتجوّز ويخلف
بنت وولد.. وولاده يكبروا.. وبرضو يسافروا برّا البلد وينسوا
أبوهم.. ومايسألوش حتى عليه.. ويحس هو بكل مشاعر
الحزن والاشتياق اللي حسّها أبوه.. فالراجل لجأ لربّنا برضو،
وكل يوم كان بيدعيه إنه يشوفهم بس ولو مرة قبل ما
يموت.. وإن مصيره مايكونش زي مصير والده اللي مات من
القهرة على ولاده.. سبحان الله! ربنا ردهاله بنفس الطريقة..
وأديه قاعد قدامك دلوقتي أهو مش عارف إيه اللي ربنا
كاتبهوله.. ورغم إني ساكن فوق المسجد مباشرة.. بس من
ساعة ماسابوني وأنا مش قادر أقعد في البيت لوحدي..
وبقيت باقعد في الجامع هنا طول اليوم لحد صلاة العشا..

ابتلع الشيخ ريقه الذي جفَّ من كثرة الحديث، ثم أردف قائلاً:

- الظلم وحش أوي يا ابني.. وأنا واخواتي ظلمنا أبونا، وظلمنا نفسنا.. وربنا ما بيرضاش بالظلم.. فلو انت حاسس إنك انت أو مراتك ظلمتوا ناس، روح للناس دي، وحاول تصلح اللي حصل.. الحي أبقى من الميت.. وهي خلاص راحت للي خلقها.. وكلنا هنقف قدامه، واللي اتظلم هياخذ حقه من اللي ظلمه.. روح لهم يا ابني.. روح واعتذر طالما غلطت.. وشوف تقدر تصلح الغلط دا ازاي.. وصدقني، ربنا هيريح قلبك بعدها طالما انت ندمت على الغلط اللي غلطته.. ونويت تصلحه.. بس اوعى تصلح الغلط بغلط وتنسى الظلم اللي عملته.. خُد دا مبدأ في حياتك عامّة.. وافكر كلامي كويس.

استمع «يوسف» إلى ما قاله الشيخ باهتمام، ولم يقطع حديثه أبداً، بعد أن نجح الأخير في جذب انتباهه وتركيزه بطريقة سرده المميّزة، وبعد أن انتهى الشيخ من الحديث، اكتفى «يوسف» بإيماء رأسه له بالموافقة وهو يتنهد من أعماق صدره، ثم شرد مجدداً يفكر فيما حدث لـ«دينا» التي أصبحت ضحية كذلك بسبب أحد المرضى النفسيين الذي يستحق ذلك اللقب بدلاً منها، وربما يحتاج إلى العلاج أكثر

منها، بل والسجن أيضًا، وتذكر عندما التقى والد «دينا» وأهانه، بل وكاد يضربه، بينما كان الأخير قد علم للتو بما حدث من فعلٍ بشع لابنته، فاستغفر ربّه مجددًا، وعقد نيته على أن يذهب إليه في اليوم التالي حتى يعتذر له، ويطلب منه زيارة ابنته في مشفاها، ربما يستطيع أن يصلح أي شيء ممّا حدث لتلك المسكينة التي لم تخطئ بفعل شيء سوى أنها أحبّته، ثم نظر إلى الشيخ بابتسامة باهتة، وقال له:

- ربنا يسامحنا كلنا يا مولانا.. وإن شاء الله ولادك يرجعوك وتشوفهم تاني قريب.. بس انت ماتزعلش منهم أهم حاجة.. أكيد فيه حاجة منعتهم عنك.

ابتسم الشيخ بسخرية، ثم هزّ رأسه بالنفي وهو يقول:

- أنا مش زعلان منهم، وبادعيلهم دايمًا.. بس مش هاخبي عليك.. هُمّا وحشوني أوي بصراحة..

سكت الشيخ بُرهةً، ثم استطرد في الحديث:

- أنا آسف إنني باحكيك حكايتي.. بس أنا كنت عايز أفهمك الظلم أدّ إيه وحش، وإن دايمًا ربنا ما بيعملش إلا الخير حتى لو انت شايفه شر.. تأكّد من الكلام دا.. انت بس خليك معاه، وقرب منه دايمًا.. هتلاقيه هيقرب منك أكثر.. ومين عالم؟ مش يمكن كان هيحصلك حاجة وحشة بسبب الجوازة دي،

ويمكن يكون مكتوب لك حياة ثانية مع زوجة أفضل إن شاء الله؟! ومين عارف؟ يمكن ألاقي ولادي أنا كمان داخلين علي المسجد ياخدوني دلوقتي.. ويمكن يكونوا جايبينلي عروسة أنا كمان.

ضحك «يوسف» وهو يمسح دموع عينيه، ثم نظر إلى الشيخ، وقال:

- ضحكتني والله يا مولانا وأنا متضايق.

- أيوه كدا يا عم اضحك.. إحنا هنعيش أد إيه؟ وبُص دايماً للناحية الإيجابية.. ماتخليش حزنك يعميك عن الخير اللي هيجيلك بعد كدا.. دا ربنا اللي قال: «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»، وكمان: «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»، ماتنساش.. يلاً أسيبك أنا بقى.. سلامو عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ابتسم «يوسف» بعد ذلك الحديث الذي أثلج صدره، ولو قليلاً مع ذلك الشيخ الذي لم يشاهده من قبل، والذي أحس بأن مقابله اليوم لم تكن صدفة، وكأنه بُعث إليه خَصِيصٌ كي يوصل إحدى الرسائل الإلهية إليه، وظلَّ يفكر فيما قاله له وهو يغادر المسجد، ثم نظر في ساعته فوجد أنها قد تخطت الثامنة مساءً، فعاد إلى منزله، ثم خلد إلى النوم

سريعًا حتى يستطيع الاستيقاظ مبكرًا، ويذهب إلى عمله
بعد أن قرر أن يقطع إجازته، ربما يُنسيه العمل همّه وحزنه.

الفصل الثالث عشر

توجّه «يوسف» في اليوم التالي إلى مقر عمله بإحدى الشركات في منطقة الجيزة، وكانت تلك هي المرّة الأولى التي يذهب بها إلى هناك منذ مقتل زوجته، وما إن وصل حتى استقبله جميع زملائه، وقَدّموا له العزاء في وفاة زوجته، ثم جلس خلف مكتبه يتابع مهام عمله، محاولاً التأقلم مرّة أخرى على قدر استطاعته.

بعد مرور عدّة ساعات، أُضيئت شاشة هاتفه المحمول الموجود على مكتبه، فألقى عليه نظرة خاطفة، ولكن لم يلقِ له بالاً في البداية، وبعد قليل شعر ببعض الملل، فأمسك هاتفه، ونظر إلى شاشته، وتفاجأ عندما رأى إشعاراً لطلب صداقة باسم لم يتوقع أبداً أن يراه مرّة أخرى على مواقع التواصل الاجتماعي، كان باسم «يُسرا سليمان».

شعر «يوسف» بدهشة كبيرة، ودار بعقله كثير من الأمور، ثم ضغط على شاشته ليفحص ذلك الحساب المريب باسم زوجته، وشعر بقشعريرة غريبة وهو يقرأ بياناته، وبالطبع أدرك أن هناك شخصاً يتلاعب به، فكانت بيانات ذلك الحساب تُطابق بيانات زوجته التي قُتلت منذ أسبوع فقط! الغمر نفسه، واسم الشركة التي كانت تعمل بها أيضاً قبل الزواج، فتحدّث بداخله قائلاً:

- ما الذي يحدث هنا؟! ترى مَن هذا الأحمق المُنحط الذي يفعل ذلك؟!

ثم قبل طلب الصداقة، وظلَّ يفحص ذلك الحساب، ويبحث عن بيانات أكثر، فلاحظ أن الحساب قد أنشئ منذ يومين فقط، ولم يكن يحتوي على أي صور سوى صورة واحدة فقط، هي الصورة الرئيسة للحساب، ففتحها، ونظر إليها ليجد أنها خلفية سوداء مكتوب عليها جملة واحدة فقط بخط دقيق:

«ماذا لو كنت تعلم من الذي قتلني؟!».

اضطرب «يوسف»، وشعر بحيرة بالغة، وكاد يُجنُّ جنونه، ثم أرسل رسالة إلى ذلك الحساب يسأله عن هُويَّته، لكنه لم يتلقَ أيَّ رد في حينه، فجلس حائرًا غاضبًا، يتنَفَّس بصوت عالٍ أشبه بثورٍ هائجٍ على وشك أن يفتك بقطعة حمراء من القماش، وبعد دقائق قضاها بترقُّب شديد، أُضيئت شاشة الهاتف مجددًا، وكان هناك أحد التسجيلات المرئية المُرسلة من الحساب نفسه تظهر في خلفيَّة الشاشة.

أمسك «يوسف» بهاتفه على الفور، وضغط على الشاشة بإصبعه، وانتظر ثواني حتى حُمِّل التسجيل، ثم فتحه بلهفة شديدة وقلق أشد، وكانت مفاجأة غير سارة على

الإطلاق، فكان يظهر به مجموعة من الفتيات يقفن في أحد الأركان داخل جامعته، وعندما دَقَّ «يوسف» النظر في وجوههن، استطاع أن يرى وجه زوجته بضحية «دينا» وبقية أصدقائهن بالجامعة، وكُنَّ يتناولن بعض المشروبات، ثم اقتربت عدسة الكاميرا من الكوب الخاص بـ«دينا»، لتظهر يد «يُسرًا» وهي تُسقط شيئًا ما في ذلك الكوب سريعًا دون أن يلاحظها أحد سوى مَنْ يقف خلف الكاميرا، وتبتعد عدسة الكاميرا بعد ذلك قليلًا، لتظهر جميع الفتيات مرّة أخرى وهن يتحدثن ويضحكن دون أن تنتبه إحداهن لما حدث.

نظر «يوسف» إلى هاتفه بدهشة شديدة، ثم أعاد ذلك المشهد عدّة مرّات كي يتأكّد ممّا شاهده، وكاد يفقد عقله، ثم سرح قليلًا، وتذكّر تلك العبارة التي قد كتبتها «يُسرًا» من قبل في نوتة مذكراتها، وهي:

- لقد جُئْتُ هذه الفتاة تمامًا.. وإن لم تكن كذلك سأحرص على أن تكون كذلك بنفسى.. على الأقل في عيني «يوسف».

ظَلَّ «يوسف» يضرب كفاً بكفٍّ غير مصدقٍ ما شاهده، وتحدّث عقله قائلاً:

- كيف لـ«يُسرًا» أن تمتلك كل هذا الشر بداخلها؟ لقد تفوّقت على جميع شياطين الإنس والجن.. بل إن الشيطان قد يبدو ملاكًا مقارنةً بها.. هل ما شاهدته الآن كان صحيحًا؟

هل من المعقول أن «يُسرّا» كانت تضع أحد العقاقير في المشروبات التي تتناولها «دينا»، وهي التي جعلتها تصل إلى تلك المرحلة من الاضطراب النفسي؟! أنا حقًا لا أصدّق.. يجب أن تكون قد فعلت ذلك مرّات عدّة؛ فقد كانت «دينا» فتاة عاقلة طبيعياً مثل جميع الفتيات في السنوات الأولى من الكلية.. وبعد وفاة والدتها في بداية السنة الأخيرة من الكلية ظلّت حالتها تتحوّل من السيئ إلى الأسوأ، حتى جُنّت تمامًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى قبل انتهاء العام.. يالها من فتاة مسكينة حقًا! لتصبح ضحية بهذا الشكل المؤسف. ولكن مهلاً.. إذا كانت «دينا» قد جُنّت، فهل هي التي قتلت «يُسرّا»؟!

وما إن أتمّ «يوسف» سؤاله حتى وصلت إلى هاتفه رسالة أخرى من الحساب نفسه، ففتحها «يوسف» على الفور ليجد تسجيلًا مرئيًا آخر، فحمّله سريعًا ليشاهده، وانقبض قلبه حينما شاهد تلك الصورة التي كانت ظاهرةً في خلفية التسجيل قبل أن يُفتح، ذلك المكان كان مألوفًا له للغاية، نعم فهو يتذكره جيّدًا، وربما لن يُمحى ذلك المشهد أبدًا من ذاكرته مهما مرّ عليه من وقت.

مدّ «يوسف» إصبعه ناحية الشاشة بيدٍ مرتعشةٍ وقلقٍ جَمٍّ، ثم تنهّد تنهيدة طويلة، وابتلع ريقه، وضغط على الشاشة،

فُفْتُحَ التَّسْجِيلُ، وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ الصَّدْمَةُ الْكُبْرَى لـ«يُوسُفَ»،
كَمَا كَانَ يُتَوَقَّعُهَا بِالضَّبْطِ، فَكَانَتْ تَظْهَرُ غُرْفَةُ الْفَنْدَقِ الَّتِي
قُتِلَتْ فِيهَا زَوْجَتُهُ فِي أَوَّلِ التَّسْجِيلِ.

تِلْكَ الْغُرْفَةُ الَّتِي كَانَتْ مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنَّ تَشْهَدَ بَدَايَةَ
حَيَاةٍ سَعِيدَةٍ، لَكِنِّهَا، عَلَى عَكْسِ التَّوَقُّعَاتِ، شَهِدَتْ نَهَايَتَهَا..
تَسَارَعَتْ دَقَّاتُ قَلْبِهِ، وَارْتَعَشَتْ يَدَاهُ الْمُمَسْكَتَانِ بِالْهَاتِفِ،
وَابْتَلَّ جَبِينُهُ عَرَقًا مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ بَرُودَةِ
الْمَكَانِ مِنْ حَوْلِهِ.

فَكَانَ التَّسْجِيلُ يُظْهِرُ جَسَدَ أَحَدِ الْأَشْخَاصِ دُونَ أَنْ يُظْهِرَ
رَأْسَهُ، كَانَ يَرْتَدِي الْبَزَّةَ الرَّسْمِيَّةَ الْخَاصَّةَ بِالْعَامِلِينَ فِي
الْفَنْدَقِ، ثُمَّ يَقِفُ قَلِيلًا بِمَكَانِهِ، وَكَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ مَا، أَوْ
رَبَّمَا يَتَفَقَّدُ الْمَكَانَ مِنْ حَوْلِهِ، ثُمَّ يَقْتَرِبُ مِنْ مِرَاةِ التَّسْرِيحَةِ
الْخَاصَّةِ بِالْغُرْفَةِ مُمَسِّكًا بِمُنْبَتِّهِ صَغِيرَ أُسُودٍ، ثُمَّ يَنْحِنِي بَعْدَ
ذَلِكَ لِيَضَعَ الْمُنْبَتِّهِ عَلَى الْمَنْضَدَةِ الْمَجَاوِرَةِ لِلتَّسْرِيحَةِ، فَتَعْكَسُ
مِرَاةُ التَّسْرِيحَةِ وَجْهَهُ لِيُظْهِرَ جِلْيًا تَمَامًا فِي عَدْسَةِ الْكَامِيرَا.

كَانَتْ الصَّدْمَةُ شَدِيدَةً لِلْغَايَةِ عَلَى «يُوسُفَ»، وَكَانَ يَجْلِسُ
مَذْهُولًا مُحَدِّقًا فِي الْأَشْيَاءِ لِثَوَانٍ، وَفَجْأَةً هَبَّ وَاقِفًا
كَالْمَجْنُونِ، وَهَرُولَ نَاحِيَةِ بَابِ الشَّرْكَةِ دُونَ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَى
أَحَدٍ، وَاسْتَقَلَّ سَيَارَتَهُ وَانْطَلَقَ بِهَا مُسْرِعًا بِوَجْهِهِ شَدِيدَ الْحَنْقِ،
وَعَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ مُشْتَغِلَتَيْنِ يَتَطَايَرُ مِنْهُمَا الشَّرُّ، تَكَادَانِ

تحرقان كل ما تنظران إليه.

كان ردّ فعلٍ طبيعيًّا للغاية، ومُتوقعًا حدوثه من قِبَل أي شخص سريع الغضب في طبيعة الحال، فما بالك بأن ذلك الغاضب قد شاهد للتوّ قاتلَ زوجته وحبّ حياته؟! كان عقله يتحدث بداخله وهو يقود سيارته بسرعة فائقة كالسّكّير:

- سأقتل ذلك الحيوان.. سأقتله بيديّ العاريتين.. لا يهمّ إذا كانت «يُسرا» قد آذته.. لا يهمّ إذا كانت قد آذت أقرب الناس إليه.. لا يهمّ أي شيء؛ فهم ما زالوا أحياء يتنفسون.. أما عن «يُسرا» فهي إنسان.. وكل إنسان خطّاء.. ولديه الفرصة لأن يعود دائمًا ويتوب إلى الله.. مَنْ هو ليفعل ذلك بزوجتي؟ فمهما أخطأت هي، لا يجوز تصحيح الخطأ بالخطأ، كما قال شيخ المسجد.. ولا يجوز أن تُقتل بتلك الوحشية أبدًا.. سأقتل ذلك المُجرم عديم الرحمة.. سأقتله لا محالة.

بعد دقائق، وصل «يوسف» إلى وجهته، ثم ترجّل من السيارة، وركض مسرعًا يصعد الدّرج المؤدي إلى شقة القاتل بالطابق الثاني، وما إن وصل، حتى ظلّ يطرق الباب بعنف شديد، حتى كاد الباب ينخلع من مكانه.

فتح والد «دينا» باب شقّته، واصفرَّ وجهه من الخوف حينما شاهد «يوسف» ينظر إليه وكأنه أسدٌ جريح على وشك الفتك بمن تسبّب في آلامه من دون رحمة، أو كالثعبان

الذي أوشك على ابتلاع فريسته، وما إن فطن «فتح الباب» لنَيْتته الشرسة، حتى التفت على الفور، وركض محاولاً الهرب داخل شَقَّتِه قبل أن يفتك به «يوسف»، لكن الأخير ركض خلفه بسرعة كالبرق، ودفعه بيديه بقوة شديدة، وهو يحاول اللحاق به، ليفقد والد «دينا» توازنه ويسقط، ويرتطم جسده الهزيل بمنضدة خشبية قبل أن يسقط على الأرض في نهاية المطاف وهو يتألم بشدّة.

نظر «يوسف» حوله نظرةً مُتفحّصةً سريعةً، ثم هرول ناحية المطبخ، ودخله، ثم خرج منه مرّةً ثانيةً مُمسكاً بسكين ضخم ذي نصل فضّي لامع يُشبه أداة الجريمة التي قُتلت بها زوجته، ثم اقترب من «فتح الباب» ببُطءٍ وهو يتأمل الذُّعر في عينيه، دون أن يتفوّه أحدهما بأي شيء، ثم جلس «يوسف» فوق جسده بزُكبتِه، وشلَّ حركتَه تمامًا، وقبض على قميصه بقوة، ورفع ظهره عن الأرض قليلاً، وهو يرفع يده الأخرى المُمسكة بالسكين عاليًا في الهواء، وعزم على طعنه بكل قوته، وقبل أن ينهال بالسكين على صدره، تذكرَ الجملة التي قالها له شيخ المسجد بالأمس مجددًا:

- إوعى تصلّح الغلط بالغلط يا ابني.

اعتصر «يوسف» جفنيه، ودمعت عيناه، وهو يلهث، ويضغط على فكّيه من شدّة الغيظ وهو يُفكّر في تلك

الجُملة، ولكن سرعان ما تلاشت تلك النصيحة من ذهنه، وتذكّر ما شاهده منذ قليل على هاتفه، ودارت ذكرياته وأيامه السعيدة مع «يُسرا» بسرعة أمام عينيه، ففتح عينيه، ونظر إلى والد «دينّا»، وبدا وكأنّه قد اتخذ قراره بالانتقام من قاتل زوجته، وهو يصرخ قائلاً:

- من قتل يُقتل ولو بعد حين.

أغمض «فتح الباب» عينيه تلك المرّة وهو يُتمتم بالشهادتين، منتظرًا دخول السكين صدره، ليلفظ أنفاسه الأخيرة بعدها باستسلام تامٍّ، ودون أي مقاومة، وكأنّه ارتضى أن تكون تلك هي نهايته.. وفجأةً، أتى صوت ارتطام شديد من الخلف، فنظر «يوسف» خلفه ليجد أن باب الشقة قد كُسِر بواسطة «عاصم» ورجاله، ثم ذهبوا إلى الداخل عبره في اللحظة نفسها، مُشهرين أسلحتهم ناحيته، وما إن رأى «عاصم» ما يحدث، حتى توقّف مكانه فجأةً، وأشار لرجاله بالألا يتحركوا كذلك ناحية «يوسف» وقاتل زوجته، حتى يُعطيهم الإشارة بذلك، ثم صرخ بـ«يوسف» محذراً إيّاه:

- سيّبه يا «يوسف».. إحنا عرفنا كل حاجة خلاص.. وكدا كدا هتاخذ حَقك منه.. بسّ بالقانون.. عشان احنا هنعدمه يا «يوسف».

التفت «يوسف» إلى قاتل زوجته، واستمر على وضعيته الهجومية تجاهه، موجّهاً بصره الحادّ إليه بغضب شديد، وبعينين جاحظتين، ويد ترتجف في الهواء وهي تمسك بالسكين، وقد بدا وكأنه لن يتراجع عن موقفه، فاستطرد الضابط:

- بلاش يا «يوسف».. ماتضيّعش مستقبلك.. انت إنسان كويس.. بلاش تتسجن عشان واحد زيّ دا.. سيئه يا «يوسف».. إحنا هنقوم بالواجب ماتقلقش.. سيئه.

استمرّت تحذيرات الضابط لـ«يوسف» للحظات.. وفجأة، انهمرت الدموع من عيني «يوسف»، وأجهش بالبكاء والنحيب بصوت مسموع، وارتخت أصابعه، وسقط السكين من يده على الأرض، فهرول «عاصم» والتقطه وألقاه بعيداً، ثم ربت على كتف «يوسف» برفق وهو يساعده على النهوض بيده الأخرى، بينما انقضّت باقي القوة المرافقة للضابط على والد «دينا»، وكبّلوا يديه بالأصفاد الحديدية في اللحظة نفسها، ثم غادروا المنزل، وتوجهوا إلى قسم الشرطة.

لم يكن «يوسف» على دراية بأن أمّه في تلك اللحظة كانت تجلس على سجادة الصلاة بمنزلها رافعةً يديها إلى السماء تدعو الله له أن يُنَجِّيه من الهمّ والغمّ، ولم يُدرك كذلك أن تلك النصيحة التي قدّمها له شيخ المسجد في الليلة السابقة

- إلى جانب دعاء أمه - كانت هي المُنجية له من دخول السجن، فتلك اللحظات القليلة التي سرح بها يفكر في تلك الجملة هي نفسها التي قد وصلت خلالها الشرطة أسفل منزل القاتل، وصعدوا بعدها الدَّرَج المؤدي إلى شَقَّتِه، حتى وصلوا إلى داخل المنزل، ومنعوه من الانتقام لزوجته بنفسه، ومن أن يُصلح الخطأ بخطأ آخر كذلك.

الفصل الرابع عشر

بعد أن وصلوا جميعًا إلى قسم الشرطة، اقتيد «فتح الباب» إلى غرفة الحجز المؤقت بالقسم، تمهيدًا للتحقيق معه، وجلس «يوسف» بـضُحبة «عاصم» في مكتبه، وقَدَّم له الضابط شراب الليمون البارد، ثم قال:

- الحمد لله إن احنا وصلناك في الوقت المناسب.. دقيقة كمان وكان هيبقى عندنا قضيتين قتل مش واحدة.. بس قولِّي صحيح، هو انت عرفت منين إن «فتح الباب» هو اللي عمل كذا؟!!

حكى «يوسف» للضابط عن ذلك الحساب الشخصي باسم زوجته وبياناتها الذي أرسل إليه طلب الصداقة، ثم فتح له التسجيلين المُرسَلين إلى هاتفه ليشاهد هما بدوره، فذهش «عاصم» بشدَّة، وأدرك على الفور أنَّ هناك شخصًا آخر كان على علمٍ بما حدث، ولم يُفصح عنه، وأن القضية لم تُغلق بعد، فتحفَّظ على هاتف «يوسف» حتى يستطيع أن يفحص ذلك الحساب المذكور، ثم طلب من «يوسف» أن يُغادر القسم الآن، ويستريح قليلًا، حتى يُكمل هو ما بدأه.

نادى الضابط على أحد الشرطيين، ثم طلب منه أن يُحضر المتهم «فتح الباب» لمناقشته، كما طلب منه الاتصال بشرطة

مكافحة جرائم الإنترنت، وإفادته بمكان وهويّة مُرسِل تلك الرسائل من هاتف زوج الضحية، فور وصولهم إلى تلك المعلومات.

بعد لحظات، أحضر الشرطي «فتح الباب» إلى مكتب الضابط مُكبَّلاً بالأصفاد، وما إن جلس حتى قال له «عاصم» بابتسامةٍ ساخرة:

- حمد الله على السلامة يا عمّ «منصور».. إيه يا راجل؟ انت اصلّيت وعجّزت يعني فجأة كدا! دا انا لسه شايفك من أسبوع كنت بشعرك وصايغ ومدلّع نفسك كدا زيّ العرسان الجُداد.. إيه اللي حصل؟ احكي لي.

نظر «فتح الباب» إلى الضابط بجمودٍ تامٍّ للحظات، ثم هز رأسه بحزنٍ وقال:

- هاحكيلك.. بس أنا عايز أعرف انت وصلتلي ازاي الأول! أطلق «عاصم» ضحكة ساخرة مقتضبة من بين شفّتيه، ثم أجابه باستهجانٍ:

- اللي يسأل مايتوهش يا عمّ «منصور».. انت فاكر إن فيه حاجة بتستخبّي على البوليس المصري ولا إيه؟!

ثم أمسك الضابط بهاتفه وشغل تسجيل المشاجرة،

ووجّه شاشة الهاتف إلى وجه «فتح الباب» حتى يستطيع مشاهدته، وهو يقول:

- مش دا انت برضو؟ وَلَا تحب أوريك فيديوهات تانية عشان تتأكد وَلَا إيه يا أستاذ «فتح»؟! أنا مش عارف انت «فتح الباب» وَلَا عمّ «منصور» وَلَا الأستاذ «فتحي»، وَلَا إيه حكايتك بالضبط؟! احكي لي بقى الحكاية كلها، وبالتفصيل عشان انت تعبتنا معاك بصراحة.

نظر «فتح الباب» إلى جميع مَن حوله في الغرفة بلا مُبالاة، بينما كانوا هم ينظرون إليه بترقّب تامّ، ثم أوماً برأسه بابتسامة باهتة، وتقدّم خطوتين ناحية المكتب الخشبي الخاص بالضابط، وجلس على أحد المقعدين المجاورين له، فهرول أحد الشرطيين بسرعة ناحيته ليسحبه مجددًا من على المقعد، لكن «عاصم» أشار إليه بالتراجع، وأن يتركه يجلس.

شرد «فتح الباب» بذهنه للحظات وهو يُحدّق في اللاشيء، ولم يُدرك أحدًا من الموجودين ما كان يدور برأسه في ذلك الوقت، ربما كان يتذكّر ما حدث منذ البداية، أو ربما كان يسترجع مشهد الجريمة نفسه، وفجأةً نظر إلى «عاصم» مجددًا، وقال بهدوء تامّ:

- من حوالي ٦ شهور تقريبًا، اتبعني طلب صداقة على

«فيسبوك»، من حساب اسمه «دينا فتح الباب»، على اسم بنتي يعني.. فاستغربت جدًّا؛ لأن بنتي كان عندها حساب ثاني على نفس الموقع دا.. دا غير إنها كانت بتتعالج في المصحَّة في الفترة دي، وماكانش معاها موبايل.. قبلت الطلب، ودخلت سألتها: انت مين؟ فلقيته بعثلي فيديو لـ«يُسرا» وهي بتخط حاجة لبنتي في كوباية النسكافيه بتاعتها وهُما في الجامعة.. وفي آخر سنة في الكلية كانت بنتي حالتها بتسوء يوم بعد يوم.. فطبعا فهمت إنها كانت بتخطِّلها دوا أو حاجة شبه كدا يعني.. والحاجة دي هي اللي سببتلها الاضطرابات النفسية اللي جت لها.. وتحت الفيديو اللي اتبعث دا بقى، كان مكتوب كدا بالتفصيل:

- أنا حد اتظلم من الشيطانة دي اللي اسمها «يُسرا» زيِّك كدا.. وماينفعش بعد اللي عمَلته فينا نسيبها تعيش حياتها مبسوفة عادي بعد ما دمّرت حياتنا وحياة الناس اللي بنحبهم، لازم ننتقم منها.. والطرق العادية مش هتنفع.. محاضر وأقسام وقضايا وبهدلة، ومش هناخد حاجة في الآخر.. فكّر ورد عليّ.. وانا هابقي ابعتلك بقى ثاني وكدا يعني.

سأل الضابط «فتح الباب» عمّا إذا كانت تلك الرسالة لا تزال موجودة على هاتفه، لكن الأخير أخبره بأنه قد أزالها

من الهاتف، لكنه طبع نسخة ورقية منها وخبأها في دولاب مطبخه أسفل ورقة الجورنال التي تفتersh أحد الأرفف، فنادى «عاصم» على أحد الشرطيين، وأخبره بأن يذهب إلى شقة الجاني ليحضر تلك الورقة، ثم طلب من «فتح الباب» أن يكمل حديثه، فأردف الجاني قائلاً:

- الحساب اللي اتبعت منه الكلام دا اتقفل بعدها.. وطبعًا أنا لما شوفت الفيديو اتجئت، وقعدت أعيط من حسرتي على بنتي الوحيدة.. وماكنتش متخيل أبدًا إن يكون اللي حصلها دا بفعل فاعل.. وكنت فاكرها زعلت على مامتها اللي ماتت من كذا سنة، ومن اللي عمله فيها الأخ «يوسف» دا.. إنما إن زميلتها في الجامعة، واللي هي أصلًا أخذت الشاب اللي كانت هتجوزه منها، هي اللي تكون جنتها.. دا بقى اللي ماتوقعتوش أبدًا!

أراح «عاصم» ظهره إلى المقعد الذي يجلس عليه، رافعًا يديه الاثنتين خلف رأسه، وأشعل لفافة تبغ، ثم قال له بترقب:

- وبعدين؟ كمّل.. إيه اللي حصل؟

- طبعا كرهت العيلة دي كلها، سواء «يوسف» أو البنت خطيبته المجرمة اللي هُما كانوا سبب في جنان بنتي وحسرتي عليها وجريي على المصحّات النفسية، وكل الشقا

اللي أنا شقيته.. وطبعًا لأنّي خريج كلية الحقوق، واشتغلت محامي في بداية حياتي لمدة كبيرة، أكثر من ١٠ سنين، فكنت عارف إني لو بلغت عنها هيبقى صعب أوي إني أثبت التهمة دي عليها؛ عشان طبعًا الموضوع عدّى عليه كذا سنة، دا غير إن الفيديو اللي اتبعتلي ماكانش موضح إيه الحاجة اللي كانت بتخطها «يُسرًا» في الكوباية.. وكان سهل أوي على محامي درجة ثانية، أو حتى على بنت في ذكاء البنت دي، إنها تقول مثلاً إنها حطت إيديها على الكوباية بالغلط مثلاً، أو إنها كانت فاكراها بتاعتها، أو أي حجة ثانية تخرج بيها من الموضوع تمامًا.. وساعتها مش هاعرف آخذ حق بنتي المريضة، اللي كنت واعد مامتها قبل ما تتوفى إني هاأخذ بالي منها.. فمن الآخر، لو كنت رفعت قضية عليها كنت هاخسرها.. ولو فكّرت إني أنتقم منها بعدها فكنت هابقي أول واحد يتشكّ فيه طبعًا، فقررت إني أقتلها، وأحرق قلب عريسها عليها في ليلة فرحهم، زيّ ما حرق هو قلب بنتي عليه.. وبعدين قعدت حطيت خطة كدا مع نفسي عشان أقتلها.. دا طبعًا لو الموضوع مشي زيّ ما انا عايز.. وبعدها بشهر اتبعتلي إضافة من حساب ثاني باسم بنتي برضو.. فقبلت الإضافة، وبعثله وقُلتله أنا موافق، بسّ أنا عايز أشوفك ونتفق.. فقالّي لأ، مش هينفع أشوفك.. إحنا هنتفق هنا على كل حاجة.. فوافقته مؤقتًا، وقُلت أكيد هاعرفه

بعدين.

دفس «عاصم» لفافة التبغ في مطفأة أمامه وهو ينظر إلى «فتح الباب» بترقُب، ثم سأله قائلاً:

- وعرفت هو مين؟...

فقاطعه «فتح الباب» سريعاً وكأنه يفخر بما فعله، ولا يريد أحداً أن يقطع حديثه، قائلاً:

- ما انا جاي لحضرتك في الكلام.. أنا سألته بعدها إذا كان على صلة بـ«يوسف» أو «يُسر» أو بأي حد من العيلة، ويقدر يقنعهم بأنهم يعملوا الفرخ في فندق متوسط الجودة، ويبقى ٣ نجوم مثلاً؛ لأنني اشتغلت فترة في الفنادق دي بعد المَحاماة، وعارف إن تأمينها مش أوي زي الفنادق الخمس نجوم.. وقُلتله كمان أول ما يحجزوا في فندق معيّن يقولّي.. فقالّي ماشي من غير ما يقولّي هو هيقدر يقنعهم ولا لأ.. وقام قايلّي: بس انت ناوي تعمل إيه؟! قُلتله: لو «يُسر» هتبات في نفس المكان اللي هتعمل فيه الفرخ هاقتلها في يوم فرحها جُواً أوضتها.. بس لسه مش متأكد هاعمل كدا ازاي وجوزها موجود. فسكت شويّة وقالّي: طب أنا هاحاول أشوف حلّ كويس للموضوع دا، وهابعتك تاني. وبعدها الحساب اتقفل برضو.. وبعدها بشهر لقيته باعتلي اسم النادي اللي هيتعمل فيه الفرخ.. وقالّي إن العريس والعروسة

هياتوا غالبًا في أوضة في الدور الأرضي الليلة دي عشان هيسافروا الصبح.. ولو كدا هيسبيلي باب البلكونة موارب عشان أدخل منه.. وقالّي كمان على الوقت المناسب اللي أقدر أعمل فيه كدا وجوزها جَوّا الحَمّام.. وأنا بقى عليّ الباقي.. ولقيته باعتلي صورة منّبه جَوّاه كاميرا مراقبة صغيرة موجودة مكان المسمار اللي بيثبتّ العقارب بتاعته.. وقالّي إنه ممكن يتوصّل بالموبايل عن طريق الإنترنت وأقدر أشوف كل حاجة لايف وهي بتحصل في ساعتها.. وبعث لي معاه صورة بتوضّح طريقة تشغيله وتوصيله.

ابتسم «عاصم» بثقة حينما أدرك أن توقّعاته بشأن تلك الكاميرا كانت في محلّها، واستمر في الاستماع إلى خطة القاتل في ارتكاب جريمته، الذي استطرد:

- وبعدها بـ ١٠ أيام، لقيت مندوب شركة شحن بيخبّط على باب شقتي ويسلّمني طرد مدفوع القيمة.. ولما سألته: دا مين اللي باعتّه؟ قالّي: أنا مستلمّه من الشركة، ومطلوب منّي أوصله للعنوان دا بس، وماعرفش أكثر من كدا. طبعاّ أنا أخذت منه رقم الشركة وكلمتهم وسألتهم عن بيانات صاحب الطرد، قالولي إنه واحد اسمه «أحمد مصطفى» جابه ليهم ودفع الفلوس وادّاهم ظرف مقفول فيه بيانات المرسل إليه، وسابه ومشى.. فطبعاّ أنا فهمت إنه في الغالب اسم حركي..

المهم أخذت الطرد وفتحته ولقيت جَوَّاه المنبّه اللي جَوَّاه
الكاميرا المستخبّية...

قطع «عاصم» حديث الجاني، وقال له بحماس زائد:

- المنبّه دا كان على شكل طائر.. طائر البطريق تقريبًا، مش
كدا؟

توقّف «فتح الباب» عن الحديث فجأةً، ونظر إلى الضابط
بتعجّب وكأنّه لا يفهم عمّ يتحدث، وقال بدهشة:

- لأ، دا كان منبّه عادي.. بس في وسطه كدا فيه كاميرا.

فابتسم «عاصم»، ونظر إلى زملائه بحرج، ثم قال مسرعًا:

- طب كمل كمل.. وبعدين؟ عملت إيه؟

- ولا حاجة.. طلّعت طريقته اللي اتبعنتلي، وجزّبت أوصله
بالموبايل بتاعي، وكان الموضوع سهل.. وجزّبت كذا مرّة في
البيت عندي، ولقيته بينقل الصورة مباشرةً فعلًا، وفي نفس
اليوم بالليل، الشخص المجهول دا بعنتلي وقال: إيه الأخبار؟
قُلتله إن كل حاجة تمام.. وطبعًا كل مرّة كان بيعت لي من
حساب جديد غير اللي قبله، ويرجع يقفله.. ولمّا دخلت
على النت، وحاولت أتعلّم ازاي أتتبع أماكن الحسابات دي،
وحاولت أعرف مكانه، ماقدرتش؛ لأنه كان بيغيّر «الآي

بي» (IP ADDRESS) بتاع الجهاز اللي بيعت منه.. وكأنه بيعت من بلد تانية بَرَّا مصر؛ فكان مرة من الهند، ومرة من شنغهاي في الصين، ومرة من جنوب أفريقيا.. وهكذا، فطبعا عرفت إني مش هاعرف أوصله بالطريقة دي.. وبعدين جهّزت خطتي وقلت إني لازم أدخل الفندق دا قبل الفرح بفترة كافية وأعرف كل حته فيه.. عشان أحدد الطريقة اللي هانقذ بيها.. فخلعت الباروكة اللي كنت لابسها من ٢٥ سنة من ساعة ما شعري وقع.. ورحت القسم وعملت محضر إني فقدت البطاقة الشخصية بتاعتي.. وبعدين أخذت صورة المحضر وطلعت على الأحوال المدنية، وعملت طلب بتغيير اسمي في البطاقة الشخصية؛ لأنه اسم مركب، والأسماء المركبة الحكومة منعها خلاص.. وبعد شويّة مجهود هناك قدرت إني أغَيِّر الاسم الأول بتاعي في البطاقة من «فتح الباب» لـ «منصور» على اسم الطباخ اللي كان بيشتغل معايا في المطعم اللي كنت شغّال فيه قبل الفندق على طول؛ لأن طبعا أول اسم لي كطباخ جديد في الفندق هو بس اللي هيبقى معروف للناس ساعتها.. وأكد مش هيبقوا حافظين اسمي بالكامل يعني.. ولو قدرت الشرطة إنها تعرف إن «منصور» هو اللي عمل كدا، ووصلت كمان إنه واحد كان بيشتغل في المطعم، فممكن تلزق ساعتها في عمّ «منصور» الطباخ اللي كان في نفس سني تقريبا، وكان أصلع برضو..

واللي طبقًا الشرطة هتسيبه بعد كدا؛ لأن الفندق هيقول إن مش هو نفس الشخص، والموضوع يتوه بعدها. الغلطة اللي عملتها بقي، واللي أنا كنت متأكد إنها هي اللي هتوقعني، ووقعتني فعلاً: إني قبل ما أمشي من المطعم بيوم، سرقت موبايل الدليفري اللي سابه قُدّامي بالغلط على التراييزة قبل ما يروح يوصل «أوردر».. وبعث لـ «يُسرا» على موبايلها الرسالة دي.. وساعتها كنت واقف بائض عليها من الناحية الثانية من الشارع وهي طالعة الشركة الصبح؛ لأنني كنت عايز أشوف الرعب والخوف في عينيها وأتشفّى فيها؛ لأن المطعم اللي كنت أنا مديره ساعتها كان قُدّام شغلها الناحية الثانية.. ودا كان السبب إني اخترت الشغل في المطعم دا عشان أقدر أراقبها.. وقدرت بعدها إني أجيب نمرة موبايلها من سايس الشارع اللي فيه الشركة.

سأل «عاصم» «فتح الباب» بترقب قائلاً:

- والسايس اداك رقمها كدا عادي؟

- يا باشا واحد زي دا بيقعد طول النهار في الشارع في الحر دا عشان يلم ١٠٠ جنيه من أصحاب العربيات، لما تديله انت ١٠٠ جنيه وتقوله هات رقم فلان هيدي هولك على طول وكأنه ماشافش حاجة.

أوما الضابط برأسه موافقًا على كلامه الذي بدا واقعياً، ثم

طلب منه أن يُكمل كلامه، فاستطرد «فتح الباب» قائلاً:

- بعد ما استلمت البطاقة بقى الجديدة بالشكل الجديد، رُحت للفندق دا، وطلبت إني أقابل حدّ من الموارد البشرية عشان أتقدّم للشغل.. وقابلني موظف شاب مايتعداش ثلاثين سنة.. وطبعًا قليل الخبرة.. ففهمته إني عندي ظروف، وإني طبّاخ شاطر، وأنا بالفعل كنت كدا بحكم شغلي في مطابخ الفنادق والمطاعم على مدار سنين بعد ما سبت شغل المُحامة.. وبعدين فهمته إني محتاج أي مرتب، وطمّعتة في إنه يوظّفني في مطبخ فندق النادي.. وبالبلدي كدا ياخذ بُنطة على قفايا عند مدير الفندق بأنه جاب طبّاخ بنص المرتب اللي هياخده أي طبّاخ أو شيف تاني؛ ودا لأن طبّاخين الفنادق بياخدوا مرتبات عالية في العادي.. فبلع الطعام، وابتسم لي، ورد عليّ وقالّي:

- طيّب تشرب إيه يا عمّ «منصور»؟

- أي حاجة يا ابني.. ممكن شاي لو أمكن.

فنادى على واحد، وطلب منه ٢ شاي، وبعدين اتصل بمدير المطبخ وقاله:

- صباح الخير يا شيف «حسام»، بُصّ، أنا هابعتلك واحد طبّاخ اعمله اختبار كدا، ولو طلع تمام ابعتهولي تاني عشان

أخذ بياناته وأعيّنه في المطبخ.

وقام موصّيه عليّ كمان، وقاله:

- وهو شكله طبّاخ شاطر عامّة، وشكله راجل محترم.

وبعدها بدقايق، جه شاب صغير بصينية الشاي وخط الصينية على المكتب ومشى.. فبصّيت على سقف الأوضة والأركان ومالقتش أي كاميرات مراقبة خالص جُؤا المكتب.. فانتهزت الفرصة وموظف «الإتش آر» دا بيبّص الناحية الثانية وقُمت خبطت الكوباية اللي فيها الأقلام اللي موجودة على مكتبه ووقّعتها تحته على الأرض.. وبعدين قُمت من مكاني وقُلتله:

- معلش، أنا آسف جدّا يا فندم.

فوظّي هو عشان يلمّ الأقلام من تحت المكتب، وقعدت أمّثل إني باشيل الأقلام معاه.. وطلّعت من جيبى القطرة اللي كنت جايبها معايا من الصيدلية، واللي بتعمل إسهاال شديد، وفصّيت نُصّها تقريبا في الكوباية بتاعته.. وبعدين شِلت آخر قلم معاه.. واعتذرتله تاني، وشربت الشاي بتاعي.. وبعدها استأذنته إني أنزل المطبخ.. فبعت معايا الشاب الصغير اللي جاب الشاي، وقاله يوصلني عند الشيف «حسام» في المطبخ تحت.. فنزلت، وقابلت الراجل، وطبخت

له كذا صنف في نص ساعة تقريبًا، أو أكثر شويّة.. والراجل
اتبسط.. وقالّي: اطلع ثاني لمكتب التوظيف، وأنا هاكلّمهم.
فطلعت وقعدت في المكتب، وبعدين الموظف طلب مني
البطاقة عشان يكتب البيانات.. ولّسه باطلّعها كان الدّوا
اشتغل معاه، وقالّي: ثواني هاروح الحمّام وأرجعك. وخرج
من المكتب، وسابني جُؤًا لوحدي.. فقمّت وقفت وبصّيت
على الكمبيوتر، وعرفت هو بيحطّ بيانات العاملين فين
بالضبط.. وبصّيت على نوع الهارد ونوع الويندوز اللي عليه
كمان.. وكان جنب الكمبيوتر فيه شاشة ثانية متوصّلة
بالكاميرا اللي قُدّام باب المكتب من بَرّا، ففتحتها وعرفت
إنها بتسجّل لمدة ٣ أسابيع بس.. وبعدين رجعت قعدت في
مكاني ثاني.. ورجع هو من الحمّام وقعد يكتب البيانات
بتاعتي، وخذ صورة من البطاقة.. ولّما سألني عن رقم
موبايلي قُلتله إني مش معايا موبايل.. فطلب مني إني أبقى
أجيب واحد، وأبقى أدّيله رقمه بعد كدا.. وقالّي هتستلم
الشغل من بُكرا على طول، فشكرته ومشيت.. وطبعًا وأنا
ماشي لقيته خارج من المكتب وماسك بطنه.. فعرفت إنه
أكيد رايح الحمّام ثاني.. ومشيت وجيت ثاني يوم، وكنت
بالبس كاب دايمًا ماباقلعوش غير جُؤًا المطبخ، عشان المدير
طلب مني ألبس طاقيّة الطباخين.. واشتغلت كذا يوم،
وعرفت إن أي فرح بيتعمل في الفندق بيدّوا العريس

والعروسة دايمًا غرفة معيَّنة بتبقى بعيدة عن دوشة الصالة والغرف الثانية عشان يبقى فيه خصوصية وكدا في ليلة زي دي يعني.. طبعًا خبرتي في الشغل في الفنادق فادتني كتير في إني أعرف أنا محتاج أعمل إيه بالضبط عشان أوصل للي أنا عايزه.. وعرفت إن عندي مشكلتين في إني أنقذ الجريمة دي: أول مشكلة إني كان لازم أحدد أماكن كاميرات المراقبة اللي في الفندق كلها.. وبدأت من أول أسبوع فعلاً أي مكان بادخله في النادي والفندق بافحصه بعيني، وأعرف فين كاميرات المراقبة اللي فيه.. وطبعًا عشان الفندق كان ٣ نجوم، فكانت الكاميرات اللي فيه قليلة، وأماكنها معروفة.. وفي الغالب هتبقى كلها من نفس نوع كاميرا المراقبة بتاعة مكتب الموارد البشرية.. فقلت يبقى غالبًا هتبقى كلها مابتسجّلش أكثر من ٣ أسابيع.. بس طبعًا كان لازم أتأكد من الكلام دا.. فحددت خطوط السير بتاعتي، وكانوا من بؤابة النادي للمطبخ، ومن المطبخ لغرفة العريس والعروسة، ومن المطبخ لغرفة كاميرات المراقبة؛ عشان لو احتجت إني أدخلها يعني، ومن المطبخ لمكتب الموارد البشرية.. ولما رَوّحت البيت رسمت خريطة للمكان وأماكن الكاميرات وقعدت أحفظها، واليومين اللي بعدهم قعدت أراجعهم على الطبيعة.. وقلت أنا لازم أخلص الموضوع دا قبل الفرع بشهر على الأقل عشان الفيديوهات اللي ظهر فيها وشي وأنا بائص

على الكاميرات تكون اتمسحت تلقائي بعد شهر أو ٣ أسابيع..
المشكلة الثانية بقى إن بياناتي وصورة بطاقتي كانت
موجودة على كمبيوتر الموارد البشرية.. وباب المكتب من بَرَّا
كان متراقب بكاميرا.. بس لحسن الحظ إن الهارد بتاعها كان
منفصل عن غرفة المراقبة بتاعة الفندق.. فرحت اشتريت
«هارد» بنفس المواصفات وخطيت عليه نفس الويندوز..
وقلت إني قبل الفرح هأخُش مكتب الموارد البشرية وأبدل
الهاردات بعد ما أنقل ملف البيانات على فلاشة؛ ودا عشان
أحيانًا موظفين «الأتش آر» بيعملوا نسخة ثانية ويخبّوها
في ملف ثاني على الكمبيوتر عشان لو الأولانية ضاعت أو
باظت يبقى عندهم نُسخة استبن.. بس كان قُدّامي عقبة
واحدة: إني لازم أدخل المكتب دا الفجر مثلاً عشان أعمل
كدا.. وفكّرت إني أسرق المفتاح وأعمل عليه نُسخة.. بس
مارضيتش عشان أمن الفندق ما يقلقوش ويغيّروا الكالون
أو ياخدوا احتياطاتهم والموضوع يبقى أصعب.. وهما في
العادي أصلًا كانوا ساعات بيسيّبوه مفتوح.. المهم، بدأت إني
أنفّذ الخطة قبل الفرح بشهر تقريبًا.. وفي أول يوم رُحت
لمدير المطبخ قبل الفجر كدا بساعة وقُلتله وأنا باعيط:

- الحقني يا أستاذ «حسام».. الموبايل بتاعي اللي لسه
شاربه امبارح ضاع، ومش لاقيه.

- ضاع فين طيب؟ حاول تفتكر يا عمّ «منصور».

- مش فاكّر والله يا فندم.. مش فاكّر.. يا رب أعمل إيه دلوقتي مش هاعرف أكلم ابني أطمّن عليه كدا.. وبعدين الموبايل غالي.. دا بألفين جنيه!

- طب اهدا بس، اهدا.. تعالى نروح لمدير الشيفت اللي موجود وندخل كدا نشوف الكاميرات.. وهنلاقيه إن شاء الله.

- يا رب.. يا رب نلاقيه.. يا مُسهّل الحال يا رب.

- وبعدها بشويّة رُحنا أنا والشيف «حسام» الصالة، ودخلنا غرفة الكاميرات اللي كانت قريبة من الكاونتر بتاع الصالة.. فمدير الشيفت قالّي:

- انت كنت واقف فين؟ أو عدّيت منين؟

- مش عارف، أنا خرجت من المطبخ، ورُحت أوّدي صينية الأكل، وبعدين الصينية وقعت ولمّيت الحاجة وودّيتها.. وبعد ما رجعت المطبخ مالقيتوش.. ومش عارف بقى أنا نسيتته جُؤا المطبخ ولا ودّيته فين!

- بُصّ، هو لو وقع جُؤا المطبخ مش هنعرف نجيبه؛ عشان مفيش كاميرات جُؤا.. لكن لو بَرّا إن شاء الله هنلاقيه حتى

لو ضايع بقالهُ فترة.

فَقُلتله وأنا بافكر أسأله ازاي على مدة التسجيل دي:

- يا رب يكون ضاع برّا.. يا مسهل الحال يا رب.

وقمت مشاور له على فيديو قديم متصوّر فيه باب المطبخ من برّا.. وقلت أشوف رد فعله، فقالّي:

- لأ دا قديم دا يا عمّ «منصور»، دا من ٣ أسابيع.

- ياه، هي الكاميرات دي بتسجّل لـ ٣ أسابيع؟! طب كويس والله، الحمد لله.

- آه، أمال إيه يا عمّ «منصور»؟! دا فيه كاميرات كمان بتسجّل شهر وشهرين.

لما قالّي كدا اتخصّيت.. وقلت كدا الخطة كلها باظت.. فلقيته بيكمل كلامه، وبيقول:

- و٣ شهور كمان، بسّ الكلام دا طبعًا مش عندنا.. دا في الأماكن العالية.. لكن احنا هنا آخرنا ٣ أسابيع بسّ.

فقلت في سري: تمام.. كدا احنا ماشيين كويس.

وبعدين شغل هو الفيديو وشفت نفسي وأنا باحطّه على رفّ من الأرفف اللي عليها الصواني اللي بتتجرّ دي.. فالراجل

قالِي:

- أهو يا عمّ «منصور».. انت حطّيته، ونسيت شكلك، وقُمت شايّل الأكل اللي وقع ومشيت وسبته.. ركّز يا عمّ «منصور»، ركّز الله يكرمك.. روح بقى، وهتلاقيه هناك إن شاء الله.. وسبنا بقى ننام شويّة عشان الليل طويل الله يرضى عليك.

- متشكّر أوي يا فندم، متشكّر، الحمد لله يا رب.. أنا هاسبق أنا يا أستاذ «حسام» ألحق أجيبه من هناك.

وخرجت من غرفة المراقبة بعد ما اتأكدت إن الفيديوهاات آخرها ٣ أسابيع، واتأكدت إن كاميرا مكتب «الإتش آر» مش متوصّلة بالأوضة دي.. واتأكدت من إن خطوط السير اللي بامشي فيها مفيهاش أي كاميرات تانية غير اللي شوفتهم.. وبعدين رجعت المطبخ، والفجر أذن، وقُلت لزميلي أنا هاروح الحَمّام كدا وهاصلّي وآجي.. وطلعت عند مكتب الموارد البشرية.. وطبعًا ماكانش فيه أكرة من بَرّا.. فطلّعت طفاشة وقعدت أحاول أفتحه.. ولقيته اتفتح أسهل ما كنت متخيّل بصراحة.. ودخلت المكتب، وقفلت الباب عليّ، وفتحت الكمبيوتر ونقلت ملف الموظفين على الفلاشة.. حتى صور خلفيات الشاشة نقلتها، وبعدين قفلته، وفكّيت مسامير الكيسة اللي تحت، وفكّيت الهارد من جُوّا، وأخذته، وحطّيت

مكانه الهارد اللي اشتريته.. وبعدين فتحت الكمبيوتر غيّرت الخلفية، وخليتها هي هي، ونقلت ملف الموظفين، ومسحت صورة بطاقتي وبياناتي.. وحاولت أرّتب الدنيا زيّ ما كانت على أدّ ما قدرت.. وبعدين ركّبت غطا الكيسة، وقفلت الكمبيوتر.. ورحّحت على الشاشة الثانية بتاعة كاميرا المراقبة ودخلت عليها، ومسحت الفيديو بتاع اليوم دا.. وقمت قافل زرار مشترك الكهرباء اللي فيه فيشة الكاميرا والهارد بتاعها عشان ماتسجّلش لحظة خروجي من المكتب.. ولما اتأكدت إن كل حاجة في مكانها، خرجت من المكتب ورجعت المطبخ.. وبعد شويّة خلّصت الشيفت الليلي بتاعي ومشيت.. وقبل يوم الفرح بقى بيومين صحيت لقيت طلب صداقة جديد ورسالة جديدة من الشخص المجهول يقول:

- الأوضة بتاعة العريس والعروسة رقمها ١٠٩ في الدور الأرضي، وبتبص على السور من ورا.. ماتنساش، أنا هاسيبلك باب البلكونة موارد.. شدّ حيلك بقى.

وفي يوم الفرح كان المدير منبّه علينا نيجي بدري من ٧ عشان نخدّم على الفرح، ولما الفرح يخلص نبقى نروح بيوتنا.. فأخذت شنطة فيها كل الحاجات اللي هاستخدمها (الكاميرا، والسكينة، والمخدّر، والجوانتي، والمنديل).. ورحّحت الشغل متأخر شويّة عشان يتضايقوا مني وشويّة

شويّة يرفدونني من الشغل.. وطبعًا لأن يوم زي دا ماينفعش
أتأخر فيه، بس كنت متأكد إنهم هيصبروا عليّ لحد بعد
الفرح عشان هما محتاجني دلوقتي.. دخلت العروسة الأوضة
واتجهّزت، وعلى الساعة تمانية ونُصّ تقريبًا راحت على
القاعة.. وعلى الساعة ١٢:٣٠ تقريبًا والناس كلها مشغولة
في الفرح والرقص، شغّلت الكاميرا، ووصّلتها بالموبايل
واتأكدت إنها شغّالة تمام، وبعدين خرجت من المطبخ..
ورُحت عند بلكونة الأوضة بعد ما أمّنت إن مفيش أي
حد في المكان حواليّ، خصوصًا إن الغرفة ١٠٩ دي كانت
متطرّفة، وبتبصّ على سور النادي من ورا فعلًا زي ما
الشخص دا قالّي.. وبعيدة كمان عن الريسيبشن، ومفيش
جنبها أي غرف مشغولة.. ودا طبعًا بيبقى مقصود من الفندق
عشان خصوصيّة ليلة زيّ دي.. ففتحت الألوميتال بتاع
الأوضة اللي كان متوارب، ودخلت، وقفلت الباب ورايا..
بصّيت حواليّ عشان أشوف أنسب مكان أحط فيه المنبّه،
ويكون قُدّام باب الحمام.. فلقيت ترابيزة صغيرة كدا جنب
التسريحة، وكان عليها التورته اللي بتتقدّم هدية للعرايس
في ليلة الدخلة، ولقيتها مناسبة.. فشلت صينية التورته،
وحطّيت المنبّه على الترابيزة.. وبعدين أخذت التورته،
وخرجت، وواربت باب البلكونة زيّ ما كان، بحيث إنه يبان
مقفول.. وطلعت برّا في مكان هادي كدا جنب السور..

واتأكدت إن الكاميرا شغالة تمام مع الموبايل.. وبعدين رجعت المطبخ تاني وشلت التورته في التلاجة.. وبعد ما الموسيقى بتاعة الفرحة سكتت.. استعديت، وفتحت الموبايل، وبدأت أراقب الغرفة، وأول ما العريس والعروسة دخلوا جواها، وكان في الوقت دا كل الطبّاخين مش موجودين؛ منهم اللي مشيوا بعد «الأوبن بوفيه»، ومنهم اللي دخل يريّح في المطبخ بعد المجهود اللي بذلوه في العشا بتاع الفرحة.. فانتهزت الفرصة، وأخذت صينية التورته زيّ ما هي.. ورحت وقفت في أقرب مكان متداري من الغرفة عشان لما العريس يدخل الحمام.. ألحق أنفّذ الخطة.

ضمّ الضابط حاجبيه، وقطّب جبينه باندهاش، ثم قال بسخرية:

- يعني انت رتبّيت الخطة دي كلها، وكنت ناوي إنك تنفّذ لما العريس يدخل الحمام؟! طب افرض العريس ماخلش الحمام، الخطة تبوظ؟!!

ابتسم الجاني باستهانة، ثم قال بثقة:

- يا فندم احنا كلنا متجوزين وعارفين إن الطبيعي والعادة لكل العرسان إنه بيدخل يستحمّى بعد العرق والفرهدة والرقص بتاع الفرحة.. أما بقى لو العريس مش من النوع النضيف، فأنا برضو كنت عامل حسابي؛ لأن أنا اللي كنت

مجھڑ العصير بتاعه اللي بينزلہ في العشا بإيدي.. فاکر
حضرتك القطرة الملیئة اللي حطيت منها في كوباية الشاي
بتاعة موظف الموارد البشرية؟

فابتسم «عاصم» بشخريه وهز رأسه قائلاً:

- إلاً فاکرها! اللي دخلته الحمام اليوم كله؟

- بالظبط.. حطيت أنا بقى اللي فاضل منها في كوباية
عصير العريس.

کاد «عاصم» يضحك لولا منزلته ووضعه الحالي بوصفه
مُحققًا جنائيًا يحقق في قضية قتل، فهز رأسه، ثم قال:

- طب افرض العريس ماشربهاش، أو اتدلقت، أو العروسة
هي اللي شربتها.. كنت هتعمل إيه بقى في الحالة دي؟!

- کدا بقى يبقى مالهاش نصيب تموت الليلة دي.. والأيام
جاية كتير.

- مممم.. دا انت كنت مصمم بقى.. طب کمل يا عم
«منصور»، کمل.

- وعامةً، الموضوع مشي زي ما أنا عايز بالظبط.. وهي کان
قدرها تموت اليوم دا.. وبعدين يعني تفتكر حضرتك بعد كل
المجهود اللي أنا عملته دا، الموضوع هيبوظ بسهولة کدا؟!

لم يستطع «عاصم» منع نفسه من إطلاق ضحكة خفيفة،
ثم قال ساخرًا:

- لأما جيش برضو.. مش معقولة المجهود الكبير اللي
عملته هيروح هدر.

- بالظبط كدا.. وعامّة، أنا اتأكدت ساعتها إن العريس
شربها.. والكوباية رجعتلي فاضية.. وفعلاً من ساعة ما دخل
الأوضة كان باين عليه إن بطنه بتوجعه؛ لأنه كان داخل
مستعجل.. ودخل الحمام بعد ما دخل الغرفة بدقيقة تقريبًا..
فاظمنت إنه هيطوّل، وطبعًا أول ما دخل فتح الدش عشان
لا مؤاخذه يعني مفيش أصوات تُخرج برّا تخرجه قُدّام
العروسة في أول ليلة.. وأول ما العريس دخل الحمام قرّبت
من باب البلكونة، وخبّطت على الإزاز بالرّاحة ٣ مرّات.. وبعد
ثواني جت «يُسرا» وفتحت الستارة.. وبصّت وماشافتنيش؛
عشان أنا تعمّدت إنني أقف بعيد شويّة عشان تضطر إنها
تفتح وتطلعلي برّا.. ففتحت هي البلكونة، وخرجت برّا،
وبصّت ناحية الشمال، فشافتني وأنا واقف باصص في
الأرض جنب الحيطّة، وفي إيدي صينية التورطة.. فقالت لي
وهي مستغربة:

- أيوه.. فيه حاجة؟!

- معلش يا فندم، أنا آسف جدّا على الإزعاج.. بس مدير

المطعم كان نسي يبعث «الكومبليمون» بتاع العرايس..
فقالِي أروح بسرعة وأودِّيهِ.. وقالِي بلاش آجي من طرقة
الغرفة عشان الكاميرات.. أحسن مدير الفندق يشوفنا ويقطع
عيشنا الصبح، والنبي يا فندم سامحيننا معلش.. متق...

- خلاص خلاص، حصل خير، تعالى، ادخل بسرعة حطها
على الترابيزة.

- حاضر يا فندم.. إحنا بنعتذر تاني والله.

- بس، وقامت داخلة، ومدِّياني زهرها وهي بتشاور على
ترابيزة تانية كانت جنب باب الحمام.. وطبعًا ماكانتش مدِّيّة
خوانة.. فحطيت صينية التورتة على سور البلكونة.. وطلّعت
المنديل اللي جَوّاه المخدر من جيبِي، ودخلت وراها..
وكتفتها من زهرها.. وكتمت صوتها وحطّيت المنديل على
مناخيرها وبوقّها في نفس الوقت.. وطبعًا المخدر كان قوي
جدًا.. ونامت في ثواني..

هَبَّ الجاني واقفًا فجأةً أثناء حديثه، رافعًا ذراعيه أمامه
بعضلات متصلّبة ومُرتعشة وكأنّه يحمل جسدها الخائر بين
يديه؛ فقد كان بداخل الغرفة في تلك اللحظة، لا يسمع إلا
نبضات قلبه، ولا يرى إلا ضحيته التي يحملها بين يديه، كل

شيء حوله أصبح باهت الرؤية، ولم يلمع إلا نصل السكين في عينيه، وبدأ العرق يظهر على جبهته، وتغيّرت نبرة صوته، وبدأ أنه على وشك أن ينهار باكيًا، وارتفع صوته وهو يقول بحماس شديد:

- وبعدين حطّيتها على السرير، وضربتها بالسكينة.. مرة..
والثانية.. والثالثة.. ضربتها في قلبها اللي قدر يعمل كدا في بنتي.

ثم توقّف عن الكلام بعدها وهو يلهث، واحمرّت عيناه، واغرورقتا بالدموع، لكنه مسحها سريعًا بأصابعه قبل أن تنسال على وجنتيه، وهو يُخفي وجهه عن جميع الحاضرين بيده، فلم يُرد الأب القاتل أن يرى أيّ شخص دموعه وانكساره لما حدث لابنته.

ناول أحد الشرطيين الموجودين بالغرفة زجاجة مياه لـ«فتح الباب» بإشارة من «عاصم»، فتناول منها قليلًا، ثم وضعها على المكتب واستطرد يُكمل اعترافاته:

- بعدها، خلّيتها تمسك السكينة بإيديها عشان بصماتها تبقى عليها.. وطبعًا أنا كنت لابس الجوانتي بتاع «الويترز»..
وبعدين غطّيتها وأخذت الكاميرا من على الترابيزة، وحطّيت التورطة في شنطة بلاستيك كانت معايا، وبعدين أخذت الصينية وطلعت من الأوضة بعد ما بصّيت من ورا الستارة،

واتأكدت إن مفيش حدّ برّا البلكونة.. فخرجت، وقفلت الباب بالراحة زيّ ما كان، عشان جوزها مايسمعش.. وطبعًا هو كان لسه فاتح الميّه ساعتها جُؤا الحَمّام، ومش سامع حاجة.. ولمّا خرجت وقفلت البلكونة.. بايُصّ ورايا ناحية الشمال لقيت حدّ من الطبّاخين الرّمّلا كان واقف بيتكلم في الموبايل ومُندمج أوي في الكلام على بُعد ٢٠ أو ٣٠ متر مني تقريبًا.. فادّيته ضهري، ومشيت على طول وأنا باترعرش.. وكان على وشك إنه يشوفني يعني.. بعدها قلعت الجاكت عشان الأمن مايستغربش لبسي.. ولأنه كان عليه دم، وحطّيته في الشنطة، ورميت كيس التورته والصينية في صندوق زباله كبير جُؤا النادي، وخرجت من بؤابة النادي، ورجعت البيت.

أنصت «عاصم» وزملاؤه بعناية شديدة وتركيز تامّ إلى ما قاله الجاني.. وما إن انتهى من اعترافه حتى تبادلوا جميعًا نظرات الانبهار، بل وكاد البعض يُصَفّق له على ذكائه الحادّ في تنفيذ تلك الجريمة التي اقتربت من كونها جريمةً كاملةً.. ولا عجب أنها كانت ستصبح كذلك لولا تلك الرسالة التي أرسلها المُجرم إلى «يُسرا» من هاتف رجل التوصيل.. ويبدو أن الجاني قد اعتقد حينها - نظرًا لذكائه الحادّ - أن الشرطة لن تصل إليه.. وظنّ أنه يفوقهم ذكاءً.

كان «عاصم» يجلس مُنتشيًا بما قاله الجاني، ولكن سرعان

ما تذكّر أن هناك جانبًا آخر، وهو المُحرّض على ارتكاب الجريمة، والمُخطّط الرئيس لها كذلك، فسأل الجاني قائلاً:

- طب يعني انت ماعرفتش لحدّ دلوقتي مين اللي بعثك الرسايل دي؟

- أنا حكيت لحضرتك، واعترفت على نفسي بكل حاجة، وأنا ضميري مستريح.. ولو كنت أعرف هو مين كنت قلت عليه طبعا.. أنا واحد داخل السجن و٩٩ في الميّة هاتعدم، وأكيد مش هابقى على أي حدّ.

- وأنا مصدّقك.. بس انت مش شاكك يعني في حدّ معين؟

- والله أنا فكّرت طبعا في الموضوع دا، وحاسس إن طريقة اللي بيعت الرسايل دي بتبيّن إنه واحدة، مش واحد.. وممكن أكون غلطان برضو، والله أعلم.. بس اللي أنا متأكد منه إنه حدّ قُرّيب من العيلة دي أكيد، عشان يعرف كل المعلومات دي، ويدخل الأوضة ويخرج براحته كدا.

- وارد.. بس ليه مايكونش حدّ شغال في الفندق زيّك كدا مثلاً؟ (سأله «عاصم» ليختبره).

- ماعتقدش.. وجايز برضو، الله أعلم.

- طيّب.. الفترة اللي انت اشتغلت فيها في الفندق، كان

موبايلك بيبقى في الهرم ازاى؟ انت ليك حد في الهرم؟

هزّ «فتح الباب» رأسه وهو يبتسم ابتسامة باهتة، ثم قال:

- أنا كنت باعمل مكالماتي وأنا ماشي في شارع الهرم
وبعدها باسيب موبايلي في عربيتي، وباركنها على جنب،
وبارجع بيتي مواصلات.

نظر «عاصم» إلى كلّ من بالغُرُفة بدهشة شديدة، ثم نظر
إلى القاتل مرّة أخرى، وسأله بتعجب:

- يعني انت قعدت شهرين من ساعة ما اشتغلت في الفندق
بتسيب موبايلك في عربيتك، وتركنها في شارع الهرم،
وتروح بيتك مواصلات؟

- أيوه، شهر ونُصّ تقريبًا.

هزّ «عاصم» رأسه باستنكار، رافعًا حاجبيه وهو يبتسم
غير مُصدّقٍ لذلك التخطيط المُتقن الذي قام به قبل ارتكاب
جريمته، ثم تابع قائلاً:

- طيّب.. حاجة أخيرة بس عايز أفهمها.. هي بنتك ربّنا
يشفيها هربت ازاى من المصحّة؟

تفاجأ الجاني من ذلك السؤال، وبدا أنه لم يتوقّع سماعه،
ثم تذكّر تلك الليلة السابقة لارتكاب الجريمة، عندما ذهب

لزيارة ابنته في المصحّة، ولم تكن زيارة عاديّة كما كانت
تظنّ مديرة المصحّة، بل كانت ليلة حارّة للغاية، مليئة
بالأحاسيس والمشاعر المُمتزجة..

كان «فتح الباب» يشعر بداخله أن تلك الزيارة هي زيارة
الوداع لابنته، وقد تعمّد القيام بها قبل ارتكاب الجريمة بيوم
واحد حتى يرى الحالة المُزرية التي وصلت إليها ابنته؛ كي لا
يستطيع التراجع عن قراره بالانتقام لها، ولا تأخذه أي شفقة
بمن جعلها تصل إلى هذا الحال.

في تلك الليلة، دخل «فتح الباب» إلى مكتب الطبيبة
«علياء» التي طلبت من إحدى مساعداتها إحضار ابنته من
غُرفتها، وقضى زيارته في مكتب المديرة مع ابنته بمفردهما
بعد أن تركتهما الطبيبة، وغادرت المكتب، حتى تترك لهما
حرية الحديث، وعندما رآها أبوها مكث يُخبرها عن مدى
حبّه الشديد لها، بل وأوشك على أن يبوح لها بكلّ ما نوى
القيام به من أجلها، بينما كانت تجلس هي معه تتأمّله ببلاهة
شديدة، وكأنّها لا تسمع حديثه، ثم تبدأ في الحديث فجأةً
في أمر آخر غير الذي يتحدث فيه، وعندما تتحدث كانت
الثّراوات تخرج من بين شفّتيها، وأحيانًا تبتسم دون مبرر،
وأحيانًا أخرى تبكي.

أما عن الشيء الوحيد الذي قالته وكان مقبولاً بعض

الشيء؛ ربما لأنه لم يخرج من عقلها المضطرب، ولكن من قلبها العالق والمتعلق بحب شاب لن تتزوَّجه أبدًا، عندما أخبرت والدها برغبتها في الذهاب إلى حفل زفاف «يوسف»، كي تراه للمرَّة الأخيرة قبل أن يتزوَّج، وكأنَّ الأمل لم يُفارقها بعد.

وفي صباح اليوم التالي، وقبل ارتكاب الجريمة بساعات، اتَّصلت الدكتورة «علياء» بوالد المريضة، وأخبرته بأن ابنته قد هربت من المصحَّة، وأضافت أنها قد فقدت نُسختها من ميدالية المفاتيح الخاصَّة بالمصحَّة، بما فيها عُرف النزلاء أيضًا، فأيقن «فتح الباب» على الفور أن ابنته هي التي سرقتها من مكتب الطبيب في أثناء الزيارة؛ لأنها كانت تعلم موعد زفاف «يوسف» ومكانه، وحينما علم هو بهروب ابنته من المصحَّة ظلَّ يجول الشوارع القريبة من المصحَّة والطرق المحيطة بمكان حفل الزفاف أيضًا ذهابًا وإيابًا بحثًا عن ابنته، حتى أتى ميعاد عمله بالفندق، ولكن دون جدوى.

بالطبع، قد طارده شبح التراجع عمَّا خَطَّط لتنفيذه كثيرًا، اعتقادًا منه أن هرب ابنته كان علامة له وإنذارًا أخيرًا قبل ذهابه في طريق بلا عودة بارتكابه تلك الجريمة، لكنه قرَّر بعد تفكير طويل أنه سينفِّذ خطته، بل وزاد هرب ابنته من إصراره على الانتقام ممَّن تسبَّب في إدخالها تلك المصحَّة

منذ البداية، وحينما ألقى عليه الضابط ذلك السؤال، لم يُرد إيداء الطيبة «علياء»، واتَّهامها بالإهمال أمام الشرطة؛ نظرًا لما قدَّمته من مساعدات جمَّة، ووقوفها إلى جانبه كثيرًا في علاج ابنته، فاكتفى بالنظر إلى أسفل، وهزَّ رأسه بندم، وقال:

- مش عارف.. بس أكيد صُدفة مش أكثر.. أو علامة من ربِّنا إنِّي أهتم ببنتي أحسن، وأنسى موضوع الانتقام دا.

ثم سكت الجاني، وبدأ على ملامحه الندم، الذي لم يكن على ما فعله بـ«يُسرًا»، ولكن لما حدث لابنته في أثناء الوقت نفسه الذي كان يرتكب فيه جريمته، فاكتفى بالصمت حينها، ولم يقل شيئًا، وأومأ الضابط له برأسه حينها بحيرة، وهو يرمقه بنظرات متشككة، ثم ناوله أحد الأقلام، وطلب منه التوقيع على اعترافه، وقبل أن يصحبه الشرطي إلى خارج الغرفة التفت الجاني إلى «عاصم» مجددًا، وقال:

- أنا ما كنتش أتخيِّل أبدًا إن بنتي يحصلها كدا من الكلب دا اللي عمل كدا.. لكن واضح إن دا عقاب من ربنا لي.. ولو كنت أعرف إن هيجصلها كدا، ما كنتش قتلتها.

لم يُعلِّق الضابط على ما قاله، واكتفى بالنظر إليه بخزن على ما أصاب ابنته البريئة من كل تلك الأفعال الإجرامية التي حدثت، وبادله «فتح الباب» تلك النظرة، ثم ابتسم ابتسامة باهتة، وكأنه أراد أن يقول له: «أحسنْتَ صنْعًا..

ولكنني لا أبالي كذلك».

اقتيدَ القاتلُ إلى حجز القسم بعد ذلك، كما أمر الضابط،
لحين عرضه على النيابة العامة، وبعد قليل من المناقشة بين
الضابط وزملائه حول الأمر، غادروا جميعًا المكتب، وتركوا
«عاصم» بمفرده كما يفضلُ مُنهمًا في التفكير في ذلك
المُجرم الآخر المشترك في الجريمة.

الفصل الخامس عشر

شعر «عاصم» بتعب العمل الشديد؛ حيث إنه قد أجّل راحته الأسبوعية لحين القبض على مُرتكب الجريمة، لكنه سرعان ما تجاهل ذلك الشعور، لإدراكه أن هناك مُجرماً آخر ما زال حرّاً طليقاً في الخارج يُمارس حياته الطبيعية.

حاول التركيز مجدداً، وسرح فيما قاله ذلك المُجرم البارع كما وصفه داخل عقله، الذي استحقَّ تلك الصفة عن جدارة؛ بتخطيطه وتنفيذه المُتقن لتلك الجريمة، وأدرك الضابط أنه من الغباء أن يتغاضى عن توقُّعات تلك العقلية تجاه شريكه المجهول الذي ساعده في الانتقام لابنته المسكينة، فإن «فتح الباب» هو الشخص الوحيد الذي تحدّث معه عن طريق تلك الرسائل، ومن المُرجَّح لشخص بعقليته أن يتنبأ بهويّة شريكه، ويستشفّ من أسلوب الحوار معه إذا كان رجلاً أم امرأة.

مكث الضابط يُفكّر ويُفكّر متحدثاً إلى نفسه، قائلاً:

- إذا افترضنا أنها سيدة، وأن تلك السيدة كانت على صلة قوية بأسرة «يُسرا»، فمَن هؤلاء السيدات اللاتي دخلن غرفة الجريمة في ذلك اليوم؟!

التفت «عاصم» إلى الحاسب الآلي الموجود على مكتبه،

ووضع القرص المُدمج الذي يحتوي على تسجيلات الفندق المُفَرَّغة من كاميرات المراقبة، ثم فتحها، وظل يبحث عن ملف التسجيل الخاص بالطريقة المُطل عليها باب غرفة الجريمة، ثم شغله بـ«رِثم» سريع حتى جاءت تلك اللقطة التي دخلت فيها «يُسرًا» ووالدتها و«ليلى» وثلاث فتيات أخريات، إحداهن تحمل حقيبة كبيرة، ومكثن بداخلها ساعتين متواصلتين، حتى وصلت الساعة إلى الثامنة مساءً، وبعدها خرجن جميعًا، ولم يتبقَّ بالغرفة أحد، وظل الأمر كذلك حتى انتهى الحفل، ودخل «يوسف» وزوجته الغرفة، وأغلقا الباب خلفهما، أما عن بقية التسجيل، فكان لُطْرُقَة خالية من أي أشخاص، وأبواب غرف مغلقة، ولم يدخل أحد إلى غرفة الجريمة بعدها إلا «ياسر»، مدير الأمن، وبُصْحْبته أحد العاملين في الفندق، وكان ذلك بعد أن انتهى الجاني من تنفيذ جريمته، وخرج من شُرْفَة الغرفة التي لم تَكُن مُراقَبة بأي كاميرات من الخارج بالطبع حفاظًا على خصوصيَّة النُّزلاء.

ظَلَّ «عاصم» يفكِّر في هؤلاء السيدات الخمس اللاتي كُنَّ بداخل الغرفة بَصْحْبَة الضحية، واللاتي يُرَجَّح أن إحداهن هي التي تركت باب الشُّرفة مُواربًا للقاتل حتى يدخل منه، وينفِّذ جريمته، وكان يحاول التفكير في عدَّة سيناريوهات مُحتملة، متحدثًا إلى نفسه قائلاً:

- ثرى، هل من الممكن أن تكون والدتها، كانت تشعر بالغيرة من «يُسرا» بسبب أن والدها كان يحبها بشدة، ويفضلها على الجميع مثلاً؟! ولكن لا أعتقد أن تساعد أم في مقتل ابنتها إلا إذا كان هناك سبب أكثر جدية من ذلك.. وماذا عن شقيقتها الصغرى؟ فمن الممكن أن تكون هي أيضاً تشعر بالغيرة من أختها التي كان والدهما يُفضّلها عليها.. ولم لا تكون واحدة من الفتيات الأخريات اللاتي دخلن معها الغرفة؟

تنهّد الضابط الذي أجهدته التفكير والعمل في تلك القضية، ثم أمسك بهاتفه واتصل بـ«يوسف»، وأخبره بأن يأتي إليه في الحال، فعاد الأخير إلى القسم سريعاً على غير عادته، ودخل إلى مكتب الضابط، فأشار له «عاصم» إلى هؤلاء الفتيات الظاهرات بالتسجيل على باب الغرفة، وقال له:

- تعرف مين البنات دُول؟

- أيوه، الأولانيّة دي «سالي» اللي كانت معانا في الكلية، وكانت بتشتغل مع «يُسرا» كمان في نفس المكان، دي اللي حكيت لك عنها إني قابلتها، وحكتلي عن مدير «يُسرا» وكدا.

- تمام.. وإيه ظروف «سالي» دي؟

- من ناحية إيه يعني؟ مش فاهم!

- مش «سالي» دي اللي كانت بتكره «يُسرًا» زيّ ما حكيتلي من كلامها؟! تفتكر كان فيه مشاكل بينها وبين «يُسرًا» كبيرة مثلاً، أو كان فيه علاقة بينك وبينها؟

- أيوه، هي قالت لي إنها كانت بتخاف من «يُسرًا» وبتتجنبها زيّ ما قلت لحضرتك، لكن هي ماحكتليش عن مشكلة معينة حصلت يعني.. وماكانش فيه بيني وبينها طبعًا أي علاقة غير عادية.. كانت زميلة عادية فقط لا غير.

- طب ولا من ناحيتها هي؟ يعني ماكانتش معجبة بيك مثلاً؟ مالمحتلكش على حاجة زيّ كدا؟

- مُعجبة؟! لأ ماظنّش يعني.. كان كلامها معايا عادي جدّا.

- طب هي متزوجة أو مخطوبة؟

- لا ماعتقدش.. مش متأكد.

- مميمم.. طيب والاتنين التانيين؟

- اللي شايلة الشنطة دي الست اللي بتعمل «ميك أب» العروسة.. الثالثة دي بقى تقريبًا زميلتها في الشغل.. مش متأكد برضو.

تنهّد «عاصم» بعمق وهو مغمض العينين، متأثرًا بالمجهود الذهني والبدني الذي بذله مؤخرًا، ثم قال متسائلًا:

- انت بتشك في حد معين يكون هو اللي بعثك الفيديو
دا؟

- بصراحة لأ!

- مممم، طيب أدينا بعثنا موبايلك يتفحص، إن شاء الله
خير يا أستاذ «يوسف».. معلش تعبناك، تقدر تروّح.

- لأ مفيش تعب ولا حاجة يا «عاصم بيه».. كفاية تعبكو
معانا بصراحة.

غادر «يوسف» القسم، وأحضر «عاصم» هاتف «يُسرا»
ونوتة مذكراتها وكل الأدلة التي بحوزته، والمتعلقة بالضحية،
وجلس يتفحصها ويقلبها بين يديه، أمسك بهاتفها، وظلّ
يبحث فيه مجددًا، ولم يعثر على أي شيء جديد، ثم
التقط نوتة «يُسرا»، وفتحها، ومكث يتفحصها، ويقرأ جميع
صفحاتها مرة أخرى، وفجأة لاحظ شيئًا مهمًا، بدا وكأنه
قد غفل عنه من قبل، وهو أن جميع ما دوّنته «يُسرا» كان
مُقيّدًا بتواريخ مُتتالية ومُتتابة، بمعنى أن المدة الزمنية
التي تفصل بينها متقاربة ولا تتعدّى السنة تقريبًا، ما عدا آخر
شيء كتبتّه، الذي كان يوجد بينه وبين ما قبله فاصل زمني
أكثر من المُعتاد، ففكّر قليلًا في الأمر مُحدّثًا نفسه:

- ماذا لو كانت هناك كتابات أخرى بتواريخ أخرى تفصل

بين آخر شيء دَوْنته «يُسرا» وما قبله مباشرة؟ فهناك عام كامل لم تُدَوّن به أي شيء.. وبما أن تلك النوتة كانت من النوع الذي يمكن إزالة بعض أوراقه دون أن يُلاحظ عليها ذلك؛ نظرًا لتثبيت أوراقها بواسطة سلك معدني ملفوف، فلم لا تكون هناك صفحة أو أكثر قد أُزيلت من بين صفحاتها؟

لاحظ الضابط أن صفحات النوتة كانت مُقسّمة إلى أربعة أجزاء، كل جزء منها بلون مختلف؛ فأوّل جزء كان باللون الوردي، والثاني بالأخضر الشاحب، أما عن الثالث والرابع فكانا بالأصفر والموف.

قلب الضابط النوتة، ونظر إلى غُلافها الخلفي، ليجد أنّه يتكوّن من ٨٠ صفحة كما هو مكتوب على الغلاف، فعَدَّ صفحات كل لون على حدة، ووجد أن كل لون أو جزء يتكون من ٢٠ صفحة، ما عدا الجزء الثاني الملوّن بالأخضر، الذي دَوّنت به «يُسرا» جميع مذكراتها دون بقيّة الأجزاء الأخرى، وكان عدد صفحاته ١٩ فقط، أي إن هناك صفحة مفقودة بالفعل!

سرح «عاصم» قليلًا، وتذكّر أنّ مَن عثر على تلك النوتة كانت «ليلي»، شقيقة الضحية، كما أنها كانت من ضمن الفتيات اللائي كنّ بداخل الغرفة ليلة الجريمة، فظل يفكّر ويحدّث نفسه:

- ثرى هل «يُسرًا» هي التي قطعت تلك الورقة الناقصة، أم «ليلى» بعد أن عثرت على النوتة وقرأتها قبل أن تعطيها لـ«يوسف»، ثم قطعت الصفحة التي من الممكن أن تثير الشكوك حولها مثلًا؟ ولم لا يكون «يوسف» هو مَنْ فعل ذلك؟ ولكن أظن أنه قد يخشى القيام بذلك؛ لأن شقيقة القتيلة ستشهد ضده بعدها.

ثم فكّر قليلًا، وتذكّر أمر ذلك التسجيل الذي أرسل إلى هاتف «يوسف»، والذي يظهر فيه القاتل وهو يضع كاميرا المراقبة داخل الغرفة قبل أن ينفذ جريمته، وهذا يدل على أن مَنْ ساعده في ذلك هو نفسه مَنْ وضع كاميرا مراقبة أخرى ليلتقط «فتح الباب» وهو بداخل الغرفة، ثم يرسلها إلى «يوسف» بعد ذلك، فيشاهدها «يوسف» وينتقم لزوجته من الفاعل، ويموت سرّه للأبد بموت «فتح الباب»، أو ربما ليكون دليل إدانة قويًا على القاتل إذا قبض عليه بعد ذلك.. ولكن مهلاً، يجب أن يكون ذلك المجرم قد دخل إلى الغرفة مرّة أخرى قبل دخول العريس والعروس، وقبل حدوث الجريمة؛ كي يسترد كاميرته.. وإلا كُنّا قد عثرنا عليها بداخل الغرفة بعد أن فتشناها جيدًا، لكن الغريب أنه عندما دخل الغرفة مرّة أخرى لم يظهر وجهه أو حتى جسده في الكاميرا التي وضعها «فتح الباب»، وإلا كان قد أخبرني «فتح الباب» بذلك.. يا الله! يبدو أن ذلك المحرّض قد خطّط لذلك جيّدًا

أيضًا كما فعل القاتل.. ويبدو أننا بصدد حل لغز جريمة
يجتمع بها مجرمان شديدا الذكاء.

استرجع «عاصم» حديثه مع «يوسف» بعد حدوث الجريمة
مباشرةً، وأخرج نوتته الخاصة التي يُدَوّن بها ملاحظاته
المهمة من دُرَج مكتبه، وفتحها، وبدأ يقرأها سريعًا، حتى
استوقفته إحدى الجُمَل التي قد دَوّنها في أثناء مناقشة
الزوج حينما سأله عن الصورة الفوتوغرافية الأخيرة التي قد
التقطها مصوّر الحفل للأسرتين قبل أن يذهب «يوسف» هو
وزوجته إلى غرفتهما، وكانت الجملة هي:

- تردد «يوسف» قليلًا في تأكيد وجود «ليلي» في الصورة
الأخيرة التي التقطها مصوّر الحفل للعائلتين قبل أن يذهب
العريس والعروس إلى غرفتهما.

ابتسم «عاصم» حينما لاحظ تلك الجملة، ثم أمسك بهاتفه،
واتصل بـ«يوسف»، وأخذ منه رقم مصوّر الحفل، ثم اتصل
به، وأخبره بأن يجهّز جميع صور الحفل التي طُبعت، والتي
لم تُطبع أيضًا، وأنه سيبيع إليه بمندوب لتسلّمها الآن.

بعد قليل، أحضر المندوب جميع الصور على كارت تخزين
الذاكرة (فلاش ميموري)، وأوصله الضابط بحاسوبه، وظلّ
يبحث بعينه عن تلك الصورة التي تجمع العائلتين، والتي
الثقت أمام قاعة الاحتفال من الخارج.

كانت المفاجأة حينما وجد «عاصم» صورتين تجمعان العائلتين في المكان نفسه، وكان يبدو أن المصوّر التقطهما مُتتاليتين حتى يختار أفضلهما فيما بعد، وكانت الأولى يقف فيها جميع أفراد الأسرتين متجاورين، أما الأخرى فلم تكن «ليلي» قد وصلت إلى الوضع المناسب للتصوير بجوارهم بعد، وكانت لا تزال قادمة من الخلف في اتجاههم، فابتسم «عاصم» ابتسامة نصر، ثم تحدّث عقله قائلاً:

- لا يمكن أن تكون ضدفة.. نعم، إنها «ليلي» بكل تأكيد!

بعد دقائق، طُرق باب منزل والد القتيلة، ففتحت «ليلي» الباب، وما إن شاهدت «عاصم» أمامها ينظر إليها بابتسامة وبثقة في عينيها مباشرةً، حتى حدّقت به برعب شديد وكأنّها قد رأت شيطاناً، واحمرّ وجهها بشدة، ولم تستطع أن تتفوّه بأي شيء حينها، وكأنّها ابتلعت لسانها، فدفع «عاصم» الباب بيده على مصراعيه، ودلف إلى داخل الشقة، وكان بضحيته اثنان من مُساعديه، فخرج المهندس «شريف» هو وزوجته بخطوات ثقيلة من عُرفتتهما، وكان يجرّ إحدى قدميه خلف الأخرى، نظر «شريف» إلى «عاصم» ومن معه بدهشة، وصرخ بغضب قائلاً:

- فيه إيه؟ إنتو داخلين هنا عايزين إيه يا حضرت الظابط؟!

- إحنا معانا إذن بتفتيش الشقة يا أستاذ «شريف».

- شقّتنا احنا؟ ليه؟ فيه إيه؟ وفين الإذن دا؟

- هنقول لحضرتك حالاً.. فين أوضة «ليلي»؟

نظر «شريف» إلى عُرفتها بدهشة، فهرول الضابط ومُساعداه إلى الغرفة، وبدأ مُساعداه بتفتيشها، ومكث الضابط يفحص الغرفة بعينه لثوانٍ معدودة، ثم اقترب من دولاب «ليلي»، وفتحه، وأخرج وحدة الحفظ الخشبية الأخيرة من مكانها، فعثر بأسفلها على وحدة تخزين الذاكرة (فلاش ميموري)، التي كانت «ليلي» قد خبّأتها كما توقّع هو في المكان نفسه كما كانت «يُسرًا» تُخبئ نوتتها الخاصّة في دولابها الآخر، ثم التقط الحاسوب المحمول من أعلى أحد الأرفف المعلقة على جدار الغرفة، وأوصل به وحدة تخزين الذاكرة، ثم وضعه أمام «ليلي» التي كانت تقف مذعورةً هي وأبواها عند باب الغرفة، حتى تضع الفتاة كلمة السر الخاصّة بالحاسوب، ثم فتح وحدة التخزين الموصّلة ليعثر بداخلها على تلك التسجيلات المرئية التي أرسلت مُسبقًا إلى هاتف الجاني، فابتسم، ثم تحفّظ على تلك التسجيلات، واصطحب «ليلي» وغادر المنزل متوجّهًا إلى قسم الشرطة بعد ذلك، وسط بكاء شديد ورُعب من «ليلي» ووالدتها، وذهول تام جليّ على ملامح والدها.

وصل «عاصم» إلى القسم، وبدأ تحقيقه مع «ليلى» مباشرة،
فسألها قائلاً:

- ليه عملتي كدا في أختك يا «ليلى»؟

أجهشت «ليلى» بالبكاء والنحيب، وظهر الندم الشديد على
ملامحها، ومكثت تهزُّ رأسها يمينًا ويسارًا بحركة لا إرادية،
فانتظرها الضابط حتى هدأت قليلًا، ثم أعاد على مسامعها
السؤال نفسه مرّة أخرى، فبدأت في استرجاع كل شيء منذ
البداية.

سрحت «ليلى» في تفاصيل حياتها السابقة مع شقيقتها،
وتذكّرت كل الضرر والخذلان الذي حدث لها بسببها، وكم
كانت «يُسرا» خبيثة ومؤذية؛ فقد كانت مُصابة بداء حب
الامتلاك، كانت تهوى امتلاك كل شيء لنفسها هي فقط، هي
ومن بعدها الطوفان، كانت دائمًا تسعى إلى الحصول على كل
شيء، وإن لم تستطع كانت تُفوّت الفرصة على الجميع.

لطالما كانت تسعى إلى الحصول على اهتمام الجميع،
اهتمامهم بها وحدها بالطبع؛ فعندما ارتبطت «ليلى» بشاب
يُدعى «خالد»، حاولت هي أن تتودّد إليه، وحينما لم يُبدِ
الشاب أي اهتمام بها، أخبرت والدها بأن شقيقتها تريد
الارتباط بشاب سيئ الأخلاق، وأنه ليس إلا مُدمنًا للمواد
المخدّرة، وكأنها أرادت أن تُعاقب «ليلى» على عدم اهتمام

الشاب بها، ولم تكتفِ بذلك فقط، بل كانت تختلق الأكاذيب أيضًا عليها، وحينما تسنح الفرص كانت تخبر الناس بأن «ليلى» مضطربة نفسيًا، فلم يجرؤ أحد على الارتباط بها على الرغم من حُسنها الأخاذ.

بالطبع، صدَّقها والدها، كعادته، ورفض الشاب حينما تقدَّم لخطبة نجلته الصغرى؛ فقد كان الأب مُتيَّمًا بها، بل كان كالذميمة الصغيرة في يديها، تتلاعب به كما تشاء، كل ما تقوله مُصدَّق، وكأنه لم ينبج غيرها، وكأنها هي الأب وهو الابنة البارة التي تُلبِّي رغبات والدها دائمًا.

اشترى لها سيارة فارهة، ووضع لها مبلغًا كبيرًا من المال باسمها في أحد البنوك، ولم يهتم بفعل ذلك لابنته الأخرى، وعندما طلبت منه «ليلى» أن يشتري لها سيارة كما فعل مع شقيقتها كي تذهب بها إلى جامعتهَا، أخبرها أن تذهب بضجة شقيقتها بسيارتها إلى هناك، متحججًا بأنَّ طريقهما واحد، كما أنه لم يعد يمتلك المال الكافي الآن ليشتري لها سيارة هي أيضًا.. بالتالي كرهت «ليلى» شقيقتها بشدة، وبدأت تكره والدها الذي كان السبب في ذلك؛ لما كان يفعله من تفريق بين بنتيه؛ لذلك كانت تظن أنها لن تنعم بحياة جيدة في أحضان أبيها إلا بعد اختفاء شقيقتها، وعندئذٍ خدعها الشيطان، وبدأ في إقناعها بضرورة التخلص من

شقيقتها؛ كي ينتقل اهتمام أبيها كله إليها، ومكت يوسوس إليها مُدَّة، وكانت الأفكار تدور برأسها وكأنها تسمعه يهمس في أذنها ويقول باستمرار:

- أنتِ تعلمين كثيرًا عنها، لقد آذتكِ تلك الفتاة الوصوليَّة ذات القلب المتحجّر كثيرًا، لقد غمر قلبها الطمعُ والخُبثُ لأبعد الحدود، أخذت كل شيء لنفسها، وحرمتكِ أنتِ من أبسط الحقوق، هي لا تحبك، ولا تظنين أنها تُكنُّ لك مشاعر الأخوة، هي لا تهتم بك، ولن تهتم، كيف تسمح لنفسها بأن تتزوج بعد أشهر قليلة وتترككِ أنتِ وحدكِ مثلكِ مثل أي قطعة أثاث مُهملة بالمنزل؟ انظري كيف ستفتح الدنيا ذراعها إليك حينما تتخلَّصين منها، كيف ستقدم لك الحياة كل المميزات بين يديكِ بعد رحيلها.. انظري كيف ستعيشين في نعيم أبدي، وستحظين بحب والدكِ الذي أخذته هي كله لها طوال السنين السَّابقة.

- ولكن ماذا عن والديّ؟ سيحزنان بشدَّة على فراقها، خصوصًا أبي.

- تلك هي سُنَّة الحياة يا صغيرة، أيام أو أسابيع على الأكثر، وسيهدأ كل شيء، وسينساها والدكِ، وتصبح ذكرى منسيَّة، فقط خَطّطي لذلك جيّدًا؛ فهناك أعداءُ كُثر ستحوم حولهم الشكوك، وتتوجّه إليهم تلك التهمة، لن يعلم أحد بفعلتك إذا

تواريت بعيدة عن الأنظار، لن يتخيَّل أحدٌ أنَّ شقيقة القتيلة هي التي فعلت ذلك، صدِّقيني.

- لكنها شقيقتي، فكيف سأفعل بها ذلك؟ كما أنني لست مُجرمة، صحيح أنني أكرهها، لكني لست قاتلةً كذلك.

- أنتِ تتوهَّمين ذلك يا صغيرة، فإذا كنتِ تعتبرينها شقيقتكِ حقًّا، فتأكّدي من أنها لا تراكِ من الأساس، ألم تحُل دون ارتباطكِ أنتِ ومن تتمنين الارتباط به؟ ألم تُشوِّه سيرتكِ، وتبعد عنكِ كل من يريد أن يتودَّد إليك؟ ألم تنعتكِ بالمضطربة نفسيًّا، على الرغم من أنها هي المضطربة نفسيًّا، ولا تستحق أن تهناً بالعيش في سعادة؟ أنتِ فقط من تستحقين ذلك، كيف تنسين كل ذلك؟ لا تخافي، ستفعلين الصواب، تشجّعي وأقدمي على ذلك الفعل.. افعلي ذلك، ابدئي سريعًا الآن، وتخلّصي من تلك الفتاة التي لا تستحق أن تكون شقيقتكِ، اقتلعي ذلك الورم الخبيث من جذوره، ستقدمين خدمة كبيرة إلى كل من ستلقاهم هي يومًا، ستنهين الشر المتصاعد باستمرار من تلك اللئيمة.. تخيَّلي كم من إنسانٍ سيؤدّي إذا استمرت حياتها! كم من شخصٍ سيخيب ظنه! وكم من بريء سيؤزجُ به في السجن بسبب تلك الشيطانة! نعم، هي الشيطانة، وليس أنا كما تظنين، ليس كل ما أخبرت به من قبلُ كان صحيحًا، ولتتأكدي أيضًا أنكِ لستِ

شيطانة كذلك، أنتِ الملاك الذي سيقضي على شر الشيطانة.
- ولكني خائفة.

- لا تخافي؛ فالأمر يستحق المُجازفة.. لن يحدث شيء ضار، سيصبح كل شيء على ما يُرام، وسأكون إلى جانبك.

كان ذلك الحوار يدور بداخل عقلها وكأنّها تتحدث مع شيطانها، هو يوسوس ويحرّض، ونفسها الأُمارة بالسوء تساعد في مسعاها، فكلما ترددت هي أثنتها نفسها عن عواقب تلك الفعل، وكلما حيّدت تفكيرها عن عواقبها، ووجّهته إلى المميزات والنعيم اللذين ستحصل عليهما فيما بعد، طاردتها الفكرة في جميع الأوقات، حتى في أحلامها، وكانت تحلم كل يوم بأنها تقتل شقيقتها، وعندما كانت تستيقظ كانت تدرك أنها لن تستطيع أن تُقدّم على فعل ذلك بنفسها، فقررت أن تُراقبها، وكانت معها طوال الوقت دون أن تشعر، وذات يوم شاهدتها وهي تُلقي بشيء داخل كوب المشروب الدافئ التي تتناوله زميلتها «دينا» عن طريق الصدفة.

للوهلة الأولى، ظنّت أن بصرها قد خانها، لكن تلك الفكرة انطبعت في ذاكرتها مدة طويلة، وذات يوم عندما كانت في منزلها، استغلّت وجود شقيقتها في الحمام، وفتّشت حقيبتها، فعثرت على بعض عقاقير الهلوسة التي أدركت أنها كذلك بعد

أن بحثت عن اسمها المطبوع على العلبة من الإنترنت.

ومنذ ذلك الحين، مكثت تُراقب شقيقتها، خصوصًا حينما كانت تجلس بـُحبة «دينا»، وحينئذٍ تأكدت شكوكها، وأدركت أن شقيقتها كانت تضع تلك الأقراص داخل المشروبات التي تتناولها «دينا» كل يوم تقريبًا، تلك المشروبات التي كانت تشتريها هي بنفسها في أغلب الأوقات، وبعد مدة لاحظت أن «دينا» صارت أكثر غرابةً، وقد علمت لاحقًا أن الفتاة المسكينة قد زُجَّ بها في إحدى المصحَّات النفسية لتلقي العلاج بعد أن أصبح حالها لا يُرثى له.

وحينما أدركت أن «يُسرا» كانت تفعل ذلك، قرَّرت أن تصوِّرها وهي تُسقط تلك العقاقير في الأكواب، وفكرت في أن تجعل أباهما يشاهد تلك التسجيلات، لكنها خافت ألا يصدِّقها، ويخيب ظنها كعادته، بالتأكيد كان سيفعل؛ لأن «يُسرا» كانت تُحفته الفنية التي لا تُقدَّر بثمن، والتي لا يمكن المساس بها مهما حدث.

بعد مدة، شعرت بأن شقيقتها قد أخذت كل شيء سعت إليه، بينما هي فقدت كل شيء، شعرت بأنها اقتربت من الزواج بحب عُمرها، وستحيا معه حياة سعيدة، بينما هي فقدت حبيبها، بل وفقدت أغلب فرصها في أن تحظى بحياة

سعيدة مثلها، حينئذٍ اتخذت قرارها أخيرًا بعد تفكير عميق، وظنت أنها اتخذت القرار الصائب، وحاولت أن تعثر على طريقة ما كي تنهي حياة شقيقتها، وحينئذٍ ظهر ذلك الصوت مجددًا في أذنيها، وأوجد لها الحل التي كانت تبحث عنه:

_ سأذكرك بشيء يبدو أنك قد غفلت عنه، فماذا عن والد «دينا»؟ ماذا لو علم أن ابنته قد جُنَّت بفعل فاعل، وأن الفاعل هو الفتاة نفسها التي سرقت منها فارس أحلامها وزوجها المستقبلي المزعوم؟ ستكونين أنت بعيدة كل البعد عن القتل، أنت فقط ستهيئين للجريمة، ستساعدينه من بعيد، ستمهدين له السبل كي يثأر لابنته المظلومة، وستمدينه بكل ما يحتاج إليه فقط، وأظن أنك تعلمين كيف تفعلين ذلك.. أليس كذلك؟

- صحيح، أنا أعلم حقًا؛ فمن الممكن أن أخاطبه عن بُعد؛ فقد تطوّر العلم، وأصبح كل شيء سهلًا الآن، لقد درست تلك الأمور، والأمر ليس صعبًا، لن يصل إليّ أحد، طالما ترددت على مقاهي الإنترنت المختلفة، لن يستطيع أحد الإمساك بي.

حينئذٍ لمعت عيناها، وقررت أن تبدأ في خطتها الشيطانية، فأرسلت إلى «فتح الباب» ذلك التسجيل المرئي الخاص بابنته، فتلقّى الرجل الخبر كالشجرة الصامدة في مهبّ الريح؛ تأثر كثيرًا، لكنه قاوم انهياره، لم يكن يحتاج إلى

كثير من الوقت كي يقرر الانتقام، وفجأة أصبح يرى النار المشتعلة أمام عينيه، نارًا تلتهم كل مَنْ يقف في طريقه، فأرسل إليها وأخبرها بالموافقة، وبأنه لن يتركها تنعم بساعة واحدة مع زوجها، وحينئذ بدأ كل شيء إلى أن انتهى كل شيء.

في تلك المدة التي سبقت اليوم المُنتظر، كانت «ليلي» كلما اقترب تاريخ وفاة شقيقتها التي وضعتة هي بيديها، وأقرّه «فتح الباب»، يؤرّقها الشعور بالذنب، والخوف الشديد، ويطاردها شبح التراجع عن تلك الفكرة، وقد أوشكت على الاعتراف لشقيقتها وأهلها، لكنها لم تفعل لاعتقادها أن الأوان قد فات الآن، فقد كانت تخشى مصيرها المُنتظر بعد أن يعلم أهلها بما خططت له، بالتأكيد سيكون لذلك رد فعل عنيف تجاهها، وكل ما حلمت بتحقيقه والحصول عليه، لن يحدث، بل كل النعيم الذي تحيا فيه الآن وتغفل عنه سيصبح حلمًا جديدًا لها، فلا يُستبعد أن تُطرَد من المنزل، فكيف ستنتظر في عيني شقيقتها بعدها؟ كيف سيشعر أبوها تجاهها؟ وكيف سيُعاقبها بعد ذلك؟ كيف ستتعامل مع أمها بعد أن ينفذ مخططها المُخزي؟

لذلك، اقتنعت بأن الأوان قد فات بالفعل عن قرار الغدول عن جريمتها، ويجب أن تستمر الخطة إلى نهايتها، وستنتظر

حتى تمر العاصفة لتهدأ الريح بعدها، ويهطل المطر بكل الخير الذي ستحصل عليه هي وحدها.

جاء يوم الفرح، وكانت مشغولة البال، كانت تنظر إلى عيني شقيقتها وهي ترقص بفستان الزفاف برُعب وشفقة، داعبتها الحيرة، ودار جدال كبير داخل عقلها: يا الله، لأخبرها الآن قبل أن يحدث ما لا تُحمد عُقباه، سأخبرها سريعًا، وأهرب من المنزل بعد ذلك، ولكن إلى أين سأذهب؟! هل خططت لكل ذلك كي أهرب؟ ولماذا لا أدخل الغرفة الآن وأزيل تلك الكاميرا؟ حينها سيصبح الأمر صعبًا على «فتح الباب»، ولكن ماذا لو رأي أحد وأنا أدخل من الشرفة، أو أخرج منها؟ ماذا لو شاهدني القاتل نفسه؟ ماذا لو ارتكب جريمته بعد ذلك ولم يستخدم الكاميرا؟ ماذا لو فتح باب الشرفة وطعن ضحيته، وهرب سريعًا بعدها؟ سيُقبض عليه، وسيُخبر عمّن حرّضه.. لا، لن أفعل شيئًا، يجب أن أترك كل شيء يسير حسب الخطة، كي لا يصل إليه أحد، بل ويجب أن أشتت تفكير الشرطة والجميع تجاه الجاني، يجب أن أجد طريقة حتى لا يُلقَى القبض عليه.

انتهى الحفل، وتوجّهت شقيقتها بضحية زوجها إلى غرفتهما، ونسي والدها هاتفه المحمول داخل القاعة، فأشعرها ذلك بالتوتر الشديد.. كانت تريد أن تهرب من النادي

بكل ما أوتيت من قوة، لم تُرد أن تكون في مُحيط المكان نفسه، بينما يقوم القاتل بفعلته.. مرَّ الوقت ببُطء شديد مُربك في أثناء انتظارها أباهَا داخل سيارته، وتنقَّست الصُّعداء، واطمأنت أخيرًا بعد أن عاد إلى السيارة.

تحركت السيارة، وبعد دقائق، رنَّ هاتف أبيها، فنظر إليه بدهشة، استطاعت هي أن تسترق النظر إلى شاشته بترقُّب من مكان جلوسها بأريكة السيارة الخلفية، وارتعشت وانتفضت أطرافها حينما رأت أن ثمة رقم هاتف أرضي يتصل بهاتفه، أجاب أبوها ليؤكد شكوكها؛ فقد كان موظف الفندق.

ظهر القلق بشدة على ملامح والدها وهو يستمع إلى موظف الصالة، ثم أخبره بأنه عائد الآن، في الأغلب لم يُخبره الموظف بالخبر صراحةً، والأرجح أنه أخبره بشيء أقل حدَّة، مثل أن «نجلتك قد مرضت، ويجب أن تعود حتى تنقلها إلى المستشفى»، تلك الطريقة التي تعوَّدنا أن يُصارح بها بعضُ ممَّا الآخر في تلك الأزمات حتى لا تُصيب من نُخبرهم عنها بنوبة قلبية.

عُدنا إلى هناك، وعلمنا الخبر، ومكث والدها والدتها يصرخان بغضب في أوجه أفراد أمن النادي، وكانت والدتها تضرب وجهها بكلتا يديها بقوة، وكان والدها على وشك

أن يُصاب بأزمة قلبية.. انتفض قلبها داخل صدرها، وكأنَّ هناك مطرقة توشك على تحطيم عظام صدرها، ولم تستطع الصمود طويلاً، فبكت، وانهمرت الدموع من عينيها بغزارة.

شاهدت أباهما وهو يُمسك بإحدى رجليه ويتألم، وشاهدت أمها وهي تصرخ وتبكي بحرارة، حينها اكتنفتها رعدة قوية هزتها من أعماقها، شعرت حينها بذلك الخطأ الجسيم الذي ارتكبته، ومكثت تجلد ذاتها، وتلوم عقلها بشدة على فعلتها، وفجأةً جالت الحلول وتوالت الأفكار على رأسها، وبدأت تفيق من صدمتها وكأنها كانت مُنومة حينما خططت ونفذت خطتها طوال الفترة السابقة:

- لماذا لم أتصل بالشرطة وأخبرهم بما خططت له قبل أن تقتل شقيقتي؟ كان من الممكن أن أعترف لأمي على الأقل، وكانت هي ستنقذ ما يمكن إنقاذه دون أن تفضحني، لا يهم إن كانت ستغضب مني بشدة؛ فهي أمي في النهاية، وستغفر لي ما نويت أن أفعله عاجلاً أم آجلاً، ما دمت قد أبدت أنا ندمي قبل إتمام الأمر، ولم يحدث شيء، لماذا لم أتصل بشقيقتي وأخبرها بأنني رأيت «فتح الباب» في النادي، وأنه يخطط لشيء كي تأخذ حذرهما؟ لماذا لم أفعل أي شيء، وارتضيت بتلك النهاية البشعة لشقيقتي؟

كان من الممكن حقاً أن تفعل الكثير، لكنها وقفت مكتوفة

اليدين تنتظر تنفيذ الخطة التي كان لها اليد الأولى فيها، الآن فقط جاءت الحلول، وبدا أن الأوان لم يكن قد فات، الآن علمت أنها ارتكبت جرمًا سثعاقب عليه حتمًا حتى لو لم تقبض عليها الشرطة، فسيؤنّبها ضميرها بشدة طوال حياتها حتى الممات، ستكون مضطرة لتشاهد مرض والدها الذي أصيب به جرّاء الصدمة التي أحدثها مقتل شقيقتها، فكيف فعلت ذلك؟ وكيف كانت بذلك الشر؟ أدركت أنها أيضًا شريرة ولئيمة، وربما أشد شرًا كذلك من شقيقتها التي على الأقل لم تقتل، تمتّ حينها لو أن الزمن يعود بها إلى نصف ساعة فقط، كانت حينها ستفضح القاتل بنفسها، سثطردها وتثلام وتتلقّى العتاب والتوبيخ، وربما العقاب الشديد حينها، لكن شقيقتها كانت ستظل على قيد الحياة إلى الآن، وسيكون الجرم المُرْتَكَب أقل أثرًا، وأقل حدةً على الجميع.

وأثناء شرودها في تلك الأفكار، وفي ذلك البركان الذي انفجر داخل عقلها، خرج رجلان يحملان حاملًا معدنيًا عليه حقيبة حفظ جُثث من الغرفة، لم يحتج عقلها إلى أي جهد كي يتخيّل ما بداخل تلك الحقيبة، الآن فقط قد تأكّدت من أن الأمر قد حدث فعلاً، وأنه لا توجد أي رجعة في ذلك إلى الأبد.

كان الجثمان يمْرُّ من أمامها وكأنّه يطير، وتحمله الريح،

حُيِّلَ إليها أن شقيقتها تجلس فوقه تتوعَّدها بغضب شديد، وهزَّتها أصوات صراخ أفراد العائلتين وبكائهم من رأسها إلى أخمص قدميها، ثم بدأ الصوت يتلاشى شيئًا فشيئًا، وكأنها ابتعدت عن مصدره، أو كأن الصمم بات يطرق أذنيها.

أدخل الرجلان الحقيبة داخل سيارة الإسعاف، وتحركت السيارة إلى الأمام، وظلَّت تبتعد حتى خرجت من بوابة النادي، واختفت عن نظرها، ولكن ظلت تلك الحقيبة أمام عينيها لمدة طويلة، ومكث لونها الأسود لا يُفارق عينيها، وفجأةً بدأ السواد ينتشر في الهواء وكأنه يتبخَّر، إلى أن أحاطها من جميع الجهات، وحينها ضربها دُوار شديد مُفاجئ، وسقطت مغشيًا عليها.

مرَّت الأيام يومًا بعد يوم، كانت تستيقظ كلَّ يوم بكآبة شديدة، كانت تمضي مدة طويلة وهي تمسك بهاتفها، وتتأمل الصور التي تجمعها بشقيقتها على ذاكرة الهاتف.. كانت تبكي وتبكي حتى تُصاب عيناها بالجفاف، ويؤلمها جفناها ومُقلتاها من أثر خشونة الحركة، لكنها ما لبثت أن حاولت إعادة سيطرتها على مشاعرها، وأن تتَّزن قليلًا في حُزنها حتى لا تنهار أمام زوج شقيقتها أو أحد من أفراد أسرتها، وينفضح أمرها، لكن الدموع كانت تخونها من حين لآخر، فتبكي فجأةً وهي تتحدث، كما تكفُّ عن البكاء فجأةً أيضًا.

والآن، انتهى الأمر، وحدث ما حدث، نعم هي حزينة ونادمة أشدَّ الندم، ولكن يجب ألاَّ ينفضح أمرها على الرغم من ذلك، فحينها لن يُصبح الحزن والندم الشعورين الوحيديين اللذين يُؤرِّقانها، بل سينضم إليهما عذابُ السجن أعوامًا وأعوامًا، ستفقد حرَّيتها، وسيكرهها جميع مَنْ أحبَّوها من قبل، وستتلقَّى أشدَّ أنواع العقاب خلف قضبان السجون؛ لذلك كان يجب عليها أن تحرص على ألاَّ يحدث ذلك، وحاولت بكل الطرق المتاحة أن تمنع حدوثه، ومع ذلك حدث ما كانت تخشاه، وصارت الآن لا تفكر إلا في الانتحار، لكنها فقط كانت تنتظر أن يحين الوقت المناسب كي تفعل ذلك دون أن يمنعها أحدٌ، حينها فقط سترتاح إلى الأبد كما كانت تعتقد.

روت «ليلي» كل ما سبق للضابط وهي تبكي بحرقة، ثم أكَّدت له أنها لا تسامح أباهَا، ولا تسامح نفسها، و أثناء ذلك انهارت، وهوت على الأرض بوجهها، وظلت تضرب الأرض بكلا يديها بقوة وهي تتلوَّى بجسدها

تركها الضابط، وأشار لمساعديه بألاَّ يقترب منها أحد، تركها تُخرج كل ما كبته من مشاعر، وجعلها تُبدي ندمها، وأعطاهَا الفرصة كي تفعل ما يحلو لها قبل أن يُزجَّ بها إلى سجنها الذي لا يعلم مُدَّتَه إلا الله.

فقد شعر من داخله ببعض الشفقة تجاهها، خصوصًا أنه كان يعلم أن كل ما قالت له الآن كان صحيحًا مئة بالمئة، وأن «يُسرًا» كانت حقًا شيطانة حقيقية متجسدة في صورة إنسان، بل وربما قد تخطت تلك المرحلة كذلك، ولكن ما بيده أي حيلة؛ فإن «ليلي» قد شاركت في قتل شقيقتها، وبالتأكيد هي مُجرمة أيضًا أمام القانون، وبحكم وظيفته مُحققًا في تلك القضية، لا يستطيع البوح بتعاطفه معها، فاكتمل بالصمت وهو يتأمل انهيارها.

بعد قليل، استندت بيدها إلى أحد المقاعد المجاورة لها، وأمر الضابط أحد الشرطيين بأن يمد إليها يده، فأسندها الشرطي إلى أن أجلسها على المقعد، فجلست وهي تنتحب وتغطي وجهها بإحدى يديها، ثم ناولها أحدهم كوبًا من الماء، فتناولت منه رشفة بيد ترتعش، وكفّت عن البكاء.

حينها، بدأ الضابط بإلقاء أسئلته عليها حتى يُنهي عمله، تمهيدًا لتقديمها للعدالة بعد ذلك، لتنال عقابها الذي تستحقه على أيدي القضاء العادل، فسألها بهدوء:

- احكي لي بقي، دخلتي الأوضة إمتى؟ وعملتني إيه بعدها؟
استمرّ صمتها قليلًا، ثم مسحت دموعها قبل أن تبدأ بسرد ما حدث:

- أنا لَمَّا كنت في الأوضة مع «يُسرا» وهي بتلبس، عملت نفسي بائِص على البلكونة عشان أشوف «الفيو» اللي بَرَّا، ففتحت البلكونة وطلعت، وبعدين دخلت تاني، بس ما قفلتش البلكونة كويس.. وبعد ما «يُسرا» دخلت القاعة بشويّة والناس مشغولين في الرقص وكدا يعني، رجعت بسرعة حطّيت الكاميرا اللي معايا على ترابيزة كدا جنب الحَمّام من بَرَّا.. عشان تصوّر بابا «دينا» وهو بيحطّ الكاميرا بتاعته.. وهي كانت شنطة سهرة صغيرة فيها كاميرا مستخبّية من الجنب كدا.. فكانت باينة إنها شنطة عادية.

- وانتى جبتي الكاميرات منين؟

- اشتريتهم من واحدة صاحبتى.

- وصاحبتك دي جابتهم منين بقى؟

- صاحبتى دي بتشتغل مُضيّفة، واشترتهم من بَرَّا مصر.. وهَمَّا كان شكلهم عادى.. فمممكن يكون موظفين المطار ماخدوش بالهم منها، خصوصًا إنهم عارفينها أصلًا وكدا يعني.

- مممم.. طيّب، ومين «أحمد مصطفى» دا اللي جاب الكاميرا لشركة الشحن؟

- «أحمد» دا صديق لى.

- وهو كان عارف الموضوع؟

- لأ، هو ماكانش يعرف حاجة.. إحنا كنا خارجين بعربيته، بس أنا اللي كنت سايقة.. وأنا عدّيت قُدّام شركة الشحن، وطلبت منه ينزل يدخّل الحاجة للشركة ويدفع الفلوس، بحجة إني مش لاقية مكان أركن فيه.. وادّيته الطرد اللي فيه الكاميرا متبرشم ومقفول، وكان جُوّاه بيانات وعنوان بابا «دينا» في ظرف مقفول برضو.

- تمام.. وبعدين؟ كمّلي.

- أنا بعد ما حطّيت الكاميرا في الأوضة، رُحت القاعة عادي، وبعد شويّة شوفت على موبايلي إن بابا «دينا» حطّ الكاميرا بتاعته خلاص.. وقبل ما الفرّح يخلص بشويّة طلعت بسرعة، ودخلت الأوضة من البلكونة.. وطبعًا أنا كنت عارفة مكان الكاميرا بتاعته؛ لأنّي شوفته في الفيديو وهو بيحطّها على ترابيزة جنب التسريحة.. فمشيت جنب الحيطه اللي ورا التسريحة وحطّيت إيشارب صغير على الكاميرا.. وأخذت الكاميرا بتاعتي، وبعدين شلت الإيشارب من على الكاميرا الأوّلانيّة بنفس الطريقة، وطلعت بسرعة من البلكونة.. ورجعت على طول لبابا وماما قبل ما حدّ يحس إني ماكنتش موجودة.. واتفاجئت إن الفرّح خلص.. وكنت فاكراه هيطوّل عن كدا.. ولقيتهم بيتصوّروا قُدّام القاعة من

بَرًّا.. ولَمَّا ماما سألتني قُلتُها إني كنت في التواليت.

- طَيِّبِ وَلِيهِ صَوَّرْتِي الْقَاتِلَ بَقَى؟

- أنا بصراحة كنت خائفة إنه يتمسك، ويقول إن فيه حد كان بيحرضه، فقلت أصوره احتياطي.. يمكن أحتاج أبعث الفيديو لـ«يوسف»؛ لأنني عارفة إن «يوسف» عصبي، وبيحب «يُسرا».. و...

- وقُلتِ «يوسف» هيروح يموتُه وسرَّك يتدفن معاه، وحتى لما نعرف موضوع الفيديو مش هنعرف إن اللي صور دا هو اللي حرضه، مش كدا؟

نظرت «ليلي» إلى الأرض ولم تتفوّه بشيء، وسالت الدموع مجددًا من عينيها اللتين لم تكونا قد جفَّتَا تمامًا، فتأكد «عاصم» من صحّة ما قاله، ثم تذكّر أمر النوتة التي ساعدته على الوصول إلى «ليلي»، فأراد أن يتأكد من أن ما لاحظته كان صحيحًا أيضًا، فسألها قائلاً:

- أنا عارف إن انتي اللي قطعتي الورقة الناقصة من النوتة بتاعة أختك، بس عايز أعرف كان مكتوب فيها إيه بقى!

تنهّدت «ليلي» بعمق وهي مُغمضة العينين، ثم فتحت عينيها، وقالت:

- كانت كاتبة فيها إني اتغيّرت معها في الفترة الأخيرة،
وبقت علاقتي بيها أحسن.. وإنها اكتشفت إني باراقب
تصرّفاتها.. وإنها حاسّة إني بادبرّلها حاجة، وإنها قلقانة منّي
وكدا يعني.

- طب وانتى ليه كنتى متغيّرة معها؟

- عشان كنت حاسّة إني هانتقم منها قُرْب.. فماكُنتش
باتخانق معها زيّ الأول، وكنت باعاملها كويس.. وكمان
عشان كنت عايزة أعرف هي هتحجز فين، وهتبات في
الفندق ولّا وكدا يعني.

أخفى «عاصم» ابتسامة ثقة بين شفّتيه، واستبدل بها
إيماءة من رأسه عندما تأكّد أنه قد سلك طريقة التفكير
الصحيحة، وأن الأمر لم يكن ضدفةً، ثم تابع أسئلته قائلاً:

- انتى اللي أقنعتيها هي و«يوسف» إنهم يعملوا فرحهم في
النادي دا، مش كدا؟

- لّا، هو الموضوع جه ضدفة؛ لأن حجز الفرّح كان
«يوسف» اللي هيدفعه، وكمان كانوا هيسافروا بعدها.. فهو
اتّفق مع «يُسرّا» إنهم يخلّوه في مكان مش غالي يعني وكدا.

- طب والأوضة اللي كانوا هيباتوا فيها، انتى اللي مختارها
في الدور الأرضي، ولّا ضدفة برضو؟

- لاء، أنا.

- وعملتني كذا ازاي؟

- أنا اتصلت بالفندق وقُلتلهم إني «يُسرا»، وإني عايزة الأوضة تبقى في الدور الأرضي، وتكون فيها خصوصية وكدا.. وماقفلتش معاهم غير لما قالولي رقم الأوضة.

- مممم.. طب والرسايل اللي كنتي بتبعتيها لـ«أبو دينا»، كنتي بتبعتيها منين؟

- كنت باروح كذا إنترنت كافيه مختلف، وكان معايا «الفلاش ميموري» (flash memory) اللي عليها برنامج بيغيّر «الآي بي أدريس» (ip address) بتاعة الكمبيوتر، ويبين إن الرسالة بتتبع من دولة تانية.. وكنت باحظها على كل كمبيوتر، وبعد كذا بامسحها قبل ما أمشي.

نظر إليها «عاصم» بحيرة، ثم سألها قائلاً:

- انتي مين علّك الحاجات دي؟ من على النت ولا منين بالضبط؟

- ماهو حضرتك، أنا أصلاً مهندسة اتصالات، وبافهم في الحاجات دي كويس.

ابتسم «عاصم»، ونظر إلى أحد مرؤوسيه، ثم قال لها:

- آه صح.. أنا فاتتني دي.

شرد «عاصم» قليلاً يفكر في ملابس تلك الجريمة، وفي القاتل الذي انتقم لابنته، وفي تلك الفتاة التي خَطَّطت لقتل شقيقتها، والتي لم تكتفِ بانتقامها منها فقط، بل حرَّضت أيضاً «يوسف» على قتل «فتح الباب»، وبالتالي لم تكن ضحية شقيقتها فقط، كما زعمت، بل إن بداخلها شراً كبيراً يستبيح القتل في سبيل الوصول إلى أهدافها، ولم تختلف كثيراً عن شقيقتها؛ فالاثنتان مُجرمتان، مع اختلاف نوع الجريمة المُرتكبة من قبلهما.

نظر الضابط إليها بعدها، ثم قال:

- طيب، يعني انتي دلوقتي بتعترفي إنك ساعدتي وحرَّضتي على قتل أختك، وحرَّضتي زوج أختك كمان في إنه يقتل قاتل أختك؟

بكت «ليلي» عندما قال لها تلك الجملة الأخيرة، ولم تُجبه، فطلب منها الضابط أن تُوقِّع على أقوالها في المحضر، فوقَّعت وهي تبكي بحرقة وندم شديدين، حتى إن بعض قطرات الدموع سقطت على أوراق المحضر، وأسالت حبر بعض الكلمات قليلاً، ثم أمر الضابط أحد أفراد الشرطة بوضع المتهمه في إحدى عُرف حجز السيدات حتى إرسالها إلى

النيابة أيضًا، وحتى تأخذ العدالة مجراها، ويُعاقب كل مُجرم على ما اقترفه من جرائم.

في اليوم التالي، اتصل «عاصم» بـ«يوسف» وطلب منه الحضور لإعطائه متعلقات زوجته، فحضر الأخير وأخذ جميع متعلقاتها، وقبل أن يُغادر قال له الضابط:

- ثواني بس يا أستاذ «يوسف»، كنت عايز أقولك على حاجة قبل ماتمشي.

- آه، اتفضل طبعًا يا فندم.. تحت أمرك.

- بُص، أنا عارف إنك ممكن تكون مابتحبش الشرطة.

- لا يا فندم خالص.. ليه بتق...

قاطعه «عاصم» سريعًا، وقال بجديّة:

- معلش ثانية واحدة بس، ماتقاطعنيش.. عامّة انت مش مطلوب منك ولا من أي حدّ إنه يحبنا.. بس إنك تتعمّد تخبّي عني حاجات في القضية دي، زيّ كدا أمّا قُلتلي إنك ماكلمتش الرقم اللي كان بيعت لموبايل المجني عليها رسالة.. طب ليه؟ وفي مصلحة مين؟ ما علينا.. أنا عاذرك برضو عشان الظروف اللي بتتمّر بيها.. جايز يكون دا كان رد فعلك لأنك حسيت إني باشكّ فيك مثلاً.. الفكرة بقي اللي انت

ماتعرفهاش إن موضوع الشك دا طبيعي جدًا.. والظابط اللي بيحقق في قضية قتل زي دي، شكّه بيكون أقوى حوالين جوزها، اللي هو حضرتك.. فطبيعي جدًا إنك تحس دا منّي.. وكدا كدا انت وكل المحيطين بالمجني عليها لازم تتحطوا تحت الاختبار والضغط المسموح، وطبعًا دون مخالفة القانون؛ عشان الجاني دايماً يبقى خايف، وقلقان، ومهزوز.. ولما بيتضغط عليه بيغلط، وبيبان عليه.. وبيتبقى بقى بعد كدا إني أثبت الجريمة عليه بعد ما اتأكدت إن هو فعلاً اللي عملها..

أخرج «عاصم» لفافة تبغ من علبة الفضيّة وأشعلها، ثم استطرد:

- خلاصة الكلام يا أستاذ «يوسف»، إن المجهود والرسالة والتضحيات اللي احنا بنقدّمها المفروض تتقدّر أكثر من كدا. نظر «يوسف» إلى الضابط بحرج، ثم قال له بابتسامة خجلة:

- حضرتك عندك حق في كل كلمة قلّتها.. وأنا فعلاً عرفت قيمتكم من قبل حتى ما أسمع الكلام دا.. كفاية إنكم جبتولي حقّ الإنسانية اللي شئت أم أبيت كانت مراتي ومحسوبة عليّ.. وأنا سعيد جدًا إني اتعرّفت على حضرتك.. ولو إني كنت أتمنى إنها تكون في ظروف أحسن من كدا.

- ماشي يا أستاذ «يوسف».. بتثبّتي هاه.. وأنا كمان أسعد يا سيدي.

في أثناء حديثهما معًا، طرق أحد الشرطيين الباب، ثم دخل وأعطى الضابط تلك الرسالة المطبوعة التي أرسلتها «ليلي» إلى هاتف القاتل من قبل، واعتذر له عن تأخّره في إحضارها، مُعلِّلاً بأنه قد استغرق وقتًا طويلًا في البحث عنها، فنظر إليه «عاصم» بغضب، ثم التقط الورقة من يده، وقرأها.

حاول «يوسف» أن يسترق النظر إلى تلك الورقة خلسةً وهو يجلس على مقعده، فلمحه «عاصم» وابتسم، ثم قال:

- دي الرسالة اللي كانت باعناها أخت المجني عليها، الله يرحمها، لـ«فتح الباب»، خُذ شُفها لو عايز.

التقط «يوسف» الورقة من الضابط، وتأمّلها قليلًا، ثم تنهد بعمقٍ وقال:

- دا هو نفس أسلوب «ليلي» في الكلام.. «كدا يعني» دي لازمة عندها في الكلام.. وبتقولها دايماً في آخر كل جملة تقريبًا.

ابتسم الضابط، وقال له:

- لا والله؟! بعد إيه بقى؟! مش تقول من الأوّل يا عمّ

«يوسف»! عامّةً، مش مشكّلة، هنحطّهاها في المحضر برضو.
شكر «يوسف» الضابط، ثم غادر المكتب، واستقلّ سيارته متوجّهاً إلى منزل أسرة زوجته، حتى يُعيد إلى أهلها الأشياء الخاصّة بها، فقد قرّر «يوسف» بعد أن قبض على قاتليها ألا يحتفظ بمُتعلقاتها الشخصية، خصوصًا هواتفها ونوتتها الصغيرة، وتلك الأشياء التي ستذكّره دائماً بجانبها المظلم الذي لا يُريد أن يتذكّره أبداً، فكان يُريد أن يتذكّر تلك الأوقات الجميلة فقط، وتلك الفتاة البريئة التي قابلها منذ سنوات طويلة، حتى يستطيع أن يتناسى - كما كان يفعل دائماً - كل ما يكرهه في حبيبته، أمّا عمّا علمه بعد يوم زفافهما، فقد نوى أن يمحوه تماماً من ذاكرته، وكأنه لم يحدث قط.

كان «يوسف» يقود سيارته وهو شارد الذّهن في أثناء طريقه إلى هناك يُفكّر فيما آلت إليه الأمور، وكيف نجا هو من بين كل ما حدث دون ضرر كبير، وتعجّب كثيراً من تلك الطريقة المماثلة التي اقتصّ بها القدر من كل من أخطأ، فكما آذت «يُسرا» كثيراً من الناس، قُتلت بعد ذلك، ومثلما حرّضت شقيقثها الصّغرى «فتح الباب» على قتلها، حرّضت أيضاً «يوسف» على قتل «فتح الباب»، ثم أُلقي القبض على الاثنين بعد ذلك، ومثلما دلّل «شريف» ابنته، وفرّق في

مُعَامِلَة بِنْتِيهِ، حَتَّى تَسَبَّبت ابْنَتُهُ فِي إِحْدَاثِ شَلْلٍ بِصُورَةٍ
غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ لَوَالِدِ «طَارِقٍ»، أُصِيبَ هُوَ الْآخِرُ بِشَلْلٍ فِي إِحْدَى
قَدَمَيْهِ حُزْنًا عَلَى مَقْتَلِ ابْنَتِهِ، فَقَدْ فَعَلَتْ «يُسْرَا» وَشَقِيقَتُهَا مَا
شَاءَتَا، وَفَعَلَ «فَتْحُ الْبَابِ» وَ«شَرِيفُ» مَا شَاءَا أَيْضًا، رُبَمَا كَانَ
مِنَ الْأَفْضَلِ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ،
وَأَنَّ الذَّنْبَ لَا يُنْسَى مَهْمَا طَالَ الزَّمَنُ، فَقَدْ كَانُوا مُخَيَّرِينَ
دَائِمًا فِيمَا فَعَلُوهُ، وَقَدْ اخْتَارُوا طَرِيقَ الشَّرِّ، وَبِالتَّالِي دَفَعُوا
ثَمَنَ ذَلِكَ، وَبِالطَّرِيقَةِ نَفْسَهَا تَقْرِيبًا، فَحَقًّا إِنَّ الدِّيَانَ لَا يَمُوتُ،
وَكَمَا تَدِينُ ثَدَانُ.

دَخَلَ «يُوسُفُ» بِسَيَّارَتِهِ حَيَّ «الزَّمَالِكَ»، وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَ
إِلَى مَنْزِلِ زَوْجَتِهِ، مَرَّ مِنْ أَمَامِ الْمَسْجِدِ الَّذِي كَانَ قَدْ أَدَّى
فِيهِ صَلَاتَهُ مِنْذُ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، فَلَمَحَ بِطَرَفِ عَيْنَيْهِ أَحَدَ الْمَشَاهِدِ
الْمُبْهَجَةِ، الَّذِي لَمْ يَتَوَقَّعْ رُؤْيِيَهُ أَبَدًا، وَالَّذِي أَنْسَاهُ لِبُرْهَةِ تِلْكَ
الْأَيَّامِ السَّابِقَةِ الصَّعْبَةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا؛ فَقَدْ رَأَى شَيْخَ الْمَسْجِدِ
الَّذِي التَّقَاهُ هُنَاكَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَقِفُ أَمَامَ الْمَسْجِدِ مِنْ
الخَارِجِ، وَبِجَوَارِهِ شَابٌ وَسِيدَةٌ فِي مُقْتَبِلِ الْعَمْرِ، وَثَمَّةٌ طِفْلَةٌ
صَغِيرَةٌ لَا يَتَعَدَّى عُمرُهَا سَبْعَ سِنَوَاتٍ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِجَسَدِهَا
فِي رَقَبَتِهِ تَحْتَضِنُهُ بِقُوَّةٍ وَدَفْءٍ قَدْ طَالَ انْتِظَارُهُ، بَيْنَمَا هُوَ
مُنْحِنٌ تَجَاهَهَا يَحْتَضِنُهَا بِدَوْرِهِ، فَهَذَا «يُوسُفُ» مِنْ سُرْعَةِ
سَيَّارَتِهِ لِيَتَأَمَّلَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ الْجَمِيلَةَ.

وعندما لمحہ الشيخ أثناء مروره، لَوَّح له بيده بابتسامَةٍ مُبهجة، وفرحةٍ عارمةٍ لا تُنسى، شعر بها «يوسف» من مكانه، دون أن يُغادر سيارته، واقشعرَ بدنه، وحينئذٍ تذكَّر على الفور شيئًا مهمًّا كان ينوي القيام به فيما بعد، فالتقط هاتفه، واتَّصل بـ«سالي»، ثم أخبرها بأن تذهب لزيارة «ديننا»، وتستعلم من الطبيبة هناك عن تكاليف إقامتها في تلك المصحَّة، وعن أي شيء آخر قد تحتاج إليه فيما بعد، ومن ثمَّ تُخبره بذلك على الفور، فكان يعلم في قرارة نفسه أنه لن يستطيع أن يذهب إلى هناك بنفسه مُجدَّدًا، حيث إنه لم يَكُن على وفاقٍ مع تلك الطبيبة، كما أنه لم يشأ أن تراه «ديننا»، حتى لا تُثمِّن نفسها بأشياء لن تحدث.. تلك الفتاة التي أصبحت يتيمة الأبوين الآن، والتي لم يَكُن لها أي ذنب في كل ما حدث، بل كانت هي الضَّحيَّة الحقيقيَّة الوحيدة في تلك الرِّواية.

تَمَّت بحمد الله

عن الكاتب:

محمد أنور: كاتب روائي يكتب في أدب الغموض والجريمة.

من مواليد القاهرة ١٩٨٧م، صدرت له رواية بعنوان «الحروف المفقودة» في نهاية عام ٢٠١٩م وتلك الرواية هي العمل الثاني له.

للتواصل مع الكاتب

[https://www.facebook.com
/byMohamedAnwar](https://www.facebook.com/byMohamedAnwar)